

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي  
جامعة العربي بن مهدي \* أم البواقي\*  
مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير بعنوان:

"سجع الكهان" للبشير  
الإبراهيمي  
- دراسة نصّية -

إنجاز الطالب:

إشراف:

بوخاري عماد

الدكتور: علي منصور

أعضاء لجنة المناقشة:

جامعة العربي

- أ.د لخضر عيكوس

بن مهدي أم البواقي

رئيسا

جامعة العربي

- أ.د العلمي لراوي

عضوا

بن مهدي أم البواقي

- أ.د محمد العيد تاورته

جامعة منتوري قسنطينة

عضوا

- د. علي منصور

جامعة الحاج لخضر باتنة

مشرفا

السنة الجامعية: 2008 - 2009

# الإهداء

:.سافر لفظي ببضائع فكري من أرضي  
قلبي إلى بادية فمي، فسلم ثمار  
العمل إلى ذوي الفضل... 9

المقدمة

### المقدمة

ليس من المبالغة القول إنّ دراسة الخطاب الإبراهيمي تحتاج إلى فريق عمل يتكوّن من مختصين في مجال فقه اللغة، و البلاغة و النحو، و الثقافة الإسلامية، و الفكر السياسي، و التصوف، و الفلسفة، و التاريخ؛ يعمل كلّ حسب اختصاصه لاكتشاف النسيج الفريد لهذا الخطاب، فالبشير الإبراهيمي قبل أن يكون مفكراً مصلحاً، و سياسياً محنّكاً، كان أدبياً شاعراً، و خطيباً مفوّهاً، عالماً فقيهاً في العربية، خبيراً بأسرارها، متضلّعاً في آدابها و فنونها؛ و ليس ذلك بعزيز على رجل ولد في بيت من بيوتات العلم و الدين، عاش بين المشرق و المغرب يمتح من معين الأدباء و العلماء و الشعراء.

و تعدّ مقالات الإبراهيمي التي نشرت في (عيون البصائر) صوراً من إبداعه الأدبي، و سمو بيانه العربي، نحتت كلماتها من لآلئ النثر الفني، و رسمت عباراتها بروائع الذوق الشعري، فهي تضرب بجذورها في أعماق التراث العربي القديم، في الوقت الذي تبسط فيه أغصانها المتعددة على فروع المعرفة الحديثة.

من بين تلك المقالات، ما نُشر في الفترة الممتدة من 28 فيفري 1949 إلى 25 جويلية 1949، وقد وسمها الكاتب بـ"سجع الكهّان"، و قال عنها: "إن لا تكن فيها روح الكاهن ففيها من الكاهن سجعه، و إن لا يجلب في جوانبها صدى الكهانة ففيها من ذلك الصدى رجعه، فيها الزمزمة المفصحة، و التعمية المبصرة، و فيها التقرّيع و التبكيث، و فيها السخرية و التنكيث، و فيها الإشارة اللاحة، و فيها اللفظة الجاحمة، و فيها العسل للأبرار، و ما أقلهم، و فيها اللسع للفقار، و ما أكثرهم. فلعلّها تهزّ من أبناء العروبة جامداً، أو تؤزّ منهم خامداً، فنحني شيئاً من ثمرة النية، و نغيّر أواخر هذه الأسماء المبنية"<sup>(1)</sup>.

و في ضوء هذا كلّه كان جديراً بالدارسين أن تكون لهم وقفة بل وقفات متأنية عند هذا الأديب، بوصفه أمير البيان و مفخرة الجزائر عبر الأزمان على حدّ تعبير عبد الملك مرتاض، و هو ما حملني على المشاركة بهذه الدراسة المتواضعة لإبراز سمو الخطاب الإبراهيمي، هذا الأخير -محمد البشير الإبراهيمي- سعى إلى جعل اللغة أداة فاعلة يهدف من خلالها إلى إبلاغ رسالة على نحو ما إلى المتلقي بحيث يمكنه من إدراك تلك الرسالة كما يقصدها و يريدتها في مناسبة معينة؛ الأمر الذي فرض علينا مقارنة (نصية أو نصّانية كما يسمّيها البعض)، تتمثّل مهمّتها في وصف العلاقات الداخلية و الخارجية للأبنية النصّية بمستوياتها المختلفة و المتمثّلة في: المستوى النحوي، و المستوى الدلالي، و المستوى التداولي؛ هذه المستويات نرى أنّها تتجسد في معايير النصّانية التي تحدث عنها (دييوغراندي و دريسلار) و هي: السبك (cohesion)، الحبكة (coherence)، القصص (Intentionnalité)، المقاميّة (Situationalité)، التناس (Intertextualité)، الإخباريّة (Informative)، و الاستحسان (Acceptabilité). لكننا اقتصرنا في هذا البحث على أربعة معايير و هي: السبك، الحبكة، المقامية، و التناس، و ذلك بعدّها أكثر

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997. ص518.

أهمية و أدق تجسيدا للمستويات التي أشرنا إليها؛ كما أننا نرى أنّ هذه المعايير تشتمل في مضمونها على المعايير الباقية و هي: القصد و الإخبارية و الاستحسان.

وإذا كانت "البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص، إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص و تحديد وظائفها المتعددة، [فإننا] نؤثر [في هذه الدراسة] مصطلح علم النص، لأنّ كلمة البلاغة ترتبط حالياً بأشكال أسلوبية خاصة، كما كانت ترتبط بوظائف الاتصال العام ووسائل الإقناع."<sup>(1)</sup> بل "إنّ إحلال مصطلح علم النص محل البلاغة أو وضعه بجوارها بعد تحديدها على الأقل، مؤشر ضروري للتحويل في التاريخ العلمي، و انعطاف نحو أفق منهجي مخالف للمسار القديم، مما تفرضه نظريات العلم و نماذجه، و تدعو إليه بقوة حركة الإبداع في النصوص المنتمية للأجناس المختلفة، و الفكر الذي يدور حولها، و يتمثل كيفية إنتاجها"<sup>(2)</sup>.

لقد بُني هذا البحث على مدخل و ثلاثة فصول، يبدأ كل فصل منها بتمهيد و ينتهي بخاتمة تعرض فيها و من خلالها أهمّ النتائج المتوصل إليها.

أبان المدخل عن نبذة موجزة من حياة الأديب و عوامل نبوغه الأدبي و ذكر لأهم مؤلفاته؛ بالإضافة إلى التطرّق إلى دور الصحافة في تطور النثر الجزائري، و الإشارة إلى الفرق بين المقالة الصحفية و المقالة الأدبية.

أمّا الفصل الأوّل فقد خُصّص للحديث عن "السجع"، حيث تعرّضنا إلى مفهوم السجع كشكل من الأشكال البلاغية، و أقسامه، و الفرق بينه و بين سجع الكهّان، و مكانته في الخطابات الأدبية المعاصرة، ثم بيان مدى تجلّيه بأنواعه في مدوّنة البحث.

و بما أنّ جميع التعريفات تراهن على أنّ النص وحدة متكاملة تشدّها خاصية الترابط، فقد أردنا أن يكون الفصل الثاني بحثاً عن "خاصية الترابط في سجع الكهّان" سواء أكان هذا الترابط من خلال السبك (cohésion) أي الترابط الرصفي القائم على النحو في البنية السطحية، بمعنى التشكيل النحوي للجمل وما يتعلّق بالإحالة والحذف والاستبدال وغيره؛ أو من خلال الحبك (cohérence) وهو حبك عالم النص، أي الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص، و ذلك من خلال الترتيب الزمني أو تعالق العوامل الممكنة، أو الربط المنطقي للأفكار التي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية الخطاب، و غيره مما سنشير إليه في متن البحث. ثم حاولنا الكشف عن هذه المظاهر في مقالات "سجع الكهّان".

و قد تولّى الفصل الثالث الوقوف عند معيارين هاميين من معايير النصّانية وهما "التناس و المقامية في سجع الكهّان"؛ بمعنى البحث عن علاقة نصّ الكاتب بنصوص غيره، بالإضافة إلى كيفية تحكّم المقام

(1) صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992. ص253.

(2) المرجع السابق. ص253.

في دلالات بعض مفردات و تراكييب النص؛ و أشرنا في هذا الفصل إلى نشأة التناص، و مفهومه عند الغرب ثم العرب، كما تطرقنا إلى أنواعه، بالإضافة إلى الحديث عن السياق أو المقام و أقسامه. ثم درسنا بعد ذلك مدى تمظهرهما في المقالات موضوع الدراسة.

أما خاتمة البحث فقد كانت معرضا و بجمعا لأهمّ النتائج المتوصل إليها في خواتم الفصول، و ليس معنى ذلك تكرار كل ما ورد في تلك الخواتم، و إنما اقتصرنا على ما رأيناه مفيدا للقارئ و معيناً له إذا ما أعياه التنقل بين الصفحات و حال دون قراءتها ضيق الأوقات.

ولستُ بهذه الدراسة ممن يدّعي استقصاء جميع جوانب الموضوع، فلربّما طرقت بابا و أهملت أبوابا، و ليس ذلك تكاسلا مّي و إنما هي ندرة المراجع و أخصّ التطبيقات منها، و صعوبة فهم الكتب المترجمة التي غالبا ما تكون ترجمة حرفية لا غير. أضف إلى ذلك تعنت بعض المكتبات و صرامة قوانينها.

و إذا كان لا بدّ من الإقرار بالفضل لأهل العقل و من التنويه بذويه، فإنّي أخصّ بالشكر الجزيل أستاذي الفاضل الدكتور علي منصور، الذي كان نعم الموجه و نعم المعين، رغم بعد المسافات و كثرة الانشغالات؛ و الشكر موصول أيضا إلى أساتذتي الأفاضل بقسم اللغة العربية و آدابها بالمركز الجامعي سوق أهراس، و أساتذتي بقسم اللغة العربية و آدابها بجامعة أم البواقي، و جميع أعضاء لجنة المناقشة، و كل من ساهم في إنجاز هذا البحث.

# المدخل

أولاً: التعريف بالإبراهيمي و جوانب نبوغه الأدبي  
ثانياً: دور الصحافة في تطور النشر الجزائري  
ثالثاً: الفرق بين المقالة الصحفية و المقالة الأدبية

### المدخل

أولاً: التعريف بالإبراهيمي و جوانب نبوغه الأدبي:

محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي، نسبة إلى قبيلة عربية كان لها شأن عظيم، و هي قبيلة "أولاد إبراهيم" بإقليم "ريغة" في مقاطعة قسنطينة من القطر الجزائري، و بالتحديد في دائرة سطيف.

يقول عن مولده: "ولدت عند طلوع الشمس من يوم الخميس الرابع عشر من شوال 1306 هـ الموافق للثالث عشر من جوان 1889م، سمعت ذلك من عمّي [الشيخ محمد المكي الإبراهيمي]، و قرأته بخط جدّي الأدني على ظهر كتاب من كتبه سجّل فيه مواليد الأسرة و وفياتها، و فيها مواليد أخواتي اللاتي ولدن قبلي، و لم يعيش لوالدي من الذكور غيري"<sup>(1)</sup>.

ينحدر الإبراهيمي من أسرة عريقة، كانت تقوم بوظيفة المدرسة، فيأوي إليها المنقطعون لطلب العلم عشرات و مئات، و تتكفل الأسرة بإطعام الغرباء منهم مهما كان عددهم، و يقوم عالم الأسرة بتعليمهم دروساً منظمة على ساعات اليوم.

نشأ هذا الأديب في بيت من بيوتات العلم، إذ تعهده عمّه الشيخ محمد المكي الذي كان علامة زمانه و فريد عصره في إتقان علوم اللسان العربي، و عن هذه النشأة يقول الإبراهيمي: "فلما بلغت سبع سنين استلمني عمّي من معلّمي القرآن و تولى تربيّتي و تعليمي بنفسه، فكنت لا أفارقه لحظة حتى في ساعات النوم، فكان هو الذي يأمرني بالنوم، وهو الذي يوقظني منه، على نظام مضطرد في النوم و الأكل و الدراسة، و كان لا يخلّيني من تلقين حتى حين أخرج معه و أماشيهِ للفسحة، فحفظت فنون العلم المهمّة في ذلك السنّ مع استمراري في حفظ القرآن، فما بلغت تسع سنين من عمري حتى كنت أحفظ القرآن مع فهم مفرداته و غريبه، و كنت أحفظ معه ألفية ابن مالك و معظم الكافية له، و ألفية ابن معطي الجزائري، و ألفيتي الحافظ العراقي في السير و الأثر، و أحفظ جمع الجوامع في الأصول، و تلخيص المفتاح للقاضي القزويني، و رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب، و أحفظ الكثير من شعر أبي عبد الله بن خميس التلمساني، شاعر المغرب و الأندلس في المئة السابعة، و أحفظ معظم رسائل بلغاء الأندلس مثل: ابن شهيد، و ابن برد، و ابن أبي الخصال، و أبي المطرف بن أبي عميرة، وابن الخطيب، ثم لفتني عمّي إلى دواوين فحول المشاركة، و رسائل بلغائهم، فحفظت صدرا من شعر المتنبي، ثم استوعبته بعد رحلتي إلى الشرق، و صدرا من شعر الطائيين، و حفظت ديوان الحماسة، و حفظت كثيرا من رسائل سهل بن هارون و

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997. ص163.

## المدخل

بديع الزمان، و في عنفوان هذه الفترة كنت حفظت بإرشاد عمّي كتاب كفاية المتحفظ للأجدابي الطرابلسي، و كتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني، و كتاب الفصيح لثعلب، و كتاب إصلاح المنطق ليعقوب السكيت، و هذه الكتب الأربعة هي التي كان لها معظم الأثر في ملكتي اللغوية<sup>(1)</sup>؛ لقد كان - رحمه الله - صاحب ذاكرة و حافظة خارقتين للعادة حتى إنّه كان يحفظ عشرات الآيات من سماع واحد.

ولما بلغ أربع عشرة سنة أجازته عمّه الإجازة المعروفة وهو على فراش المرض الذي توفي فيه سنة 1903، فأمره أن يخلفه في التدريس "فعلت و وفق الله و أمدتني تلك الحافظة العجيبة بمستودعاتها، فتصدرت دون سن التصدر، و أرادت لي الأقدار أن أكون شيخا في سن الصبا"<sup>(2)</sup>.

رحل البشير الإبراهيمي إلى المدينة المنورة ملتحقا بوالده سنة 1911، فأقام بالقاهرة ثلاثة أشهر التقى خلالها علماء الأزهر، كما زار الشعاعين أحمد شوقي و حافظ إبراهيم؛ و أثناء وجوده بالقاهرة، انبهر علماء مصر و أدباؤها بشخصية الإبراهيمي و بعلمه الواسع و تبخره الذي لا نظير له في اللغة العربية و علوم التفسير و الفقه الإسلامي، و في إحدى الندوات التي كان الأديب يلقي فيها خطبته، بحضور عدد كبير من أئمة الأدباء المصريين، وقع حادث طريف له دلالاته العظيمة، "فما كاد ينتهي الإمام الراحل من إلقاء كلمته، حتى نهض الدكتور منصور فهمي\*، و خلع حذاءه، و أمسكه بيديه، و التفت إلى الجميع قبل أن يخطو نحو المنبر الذي كان يخطب من فوقه الإمام البشير، و قال لهم بصوت عال: لقد نزعت حذائي لكي أتقدم إلى المنبر الذي يقف عليه الشيخ الجليل، لأني أعتبر هذا المنبر ساحة مقدسة ينبغي أن يدخلها الناس كما يدخلون الحرم أو أي مسجد آخر"<sup>(3)</sup>.

و أضاف منصور فهمي: "إني لم أسمع و لم أر في حياتي من هو أفصح أو أبلغ من الشيخ البشير، و إني أدعو جميع العلماء و الأدباء في الوطن العربي إلى أن يلقوا إليه بمقاليد اللغة و البيان، ثم التفت الدكتور منصور فهمي نحو الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي و قال له: أنت ملك اللغة العربية في هذا العصر، لقد ملكت كافة نواصيها"<sup>(4)</sup>.

و في المدينة المنورة، تلقى البشير الإبراهيمي علم التفسير و علم الحديث رواية و دراية، و علم الرجال و أنساب العرب، فمكث فيها قريبا من ست سنين، درّس خلالها بالحرم النبوي الشريف؛ "خلال

(1) المصدر السابق. ص 165.

(2) المصدر السابق. ص 273 - 274.

\* أستاذ كل من : طه حسين، و زكي مبارك.

(3) عادل نويهض: البشير الإبراهيمي، ط 1، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1986. ص 35 - 36.

(4) المرجع السابق. ص 36.

## المدخل

ذلك وصل إلى هناك ابن باديس من الجزائر (1913م)، فتمّ التعارف بينهما، جمعهما حبّ الوطن و وحدة الآمال، فتواصلت لقاءاتهما و اتصلت مدّة إقامة ابن باديس هناك يتحدثان عن الوطن و مستقبله" (1).

ثم انتقل الأديب إلى دمشق رفقة والده في النصف الأخير من سنة 1916م، فما لبث شهرا حتى انخالت عليه الرغبات في التعليم بالمدارس الأهلية، فاستجاب لبعضها و أصبح يلقي دروس في الوعظ و الإرشاد بالجامع الأموي بمناسبة حلول شهر رمضان، و بعد خروج الأتراك من دمشق و قيام حكومة الاستقلال العربي، دعت الحكومة الجديدة إلى تدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية - وهي المدرسة الثانوية الوحيدة إذ ذاك - مشاركا للأستاذ اللغوي الشيخ عبد القادر المبارك... فتخرّج على يديه جماعة من الطلبة هم اليوم عماد الأدب العربي في سوريا منهم: جميل صليبا، أديب الروماني، المحايري، و عدنان الأتاسي. (2).

عاد البشير الإبراهيمي إلى الجزائر في أوائل سنة 1920م ليجد الشيخ عبد الحميد بن باديس قد اتخذ خطوات فعّالة في تنفيذ المخطط الذي رسمه معاً أثناء لقاءهما بالمدينة المنورة، يقول عن هذه المرحلة: "في هذه الفترة ما بين سنتي 1920 و 1930م، كانت الصلة بيني و بين ابن باديس قوية، و كنا نتلاقى في كلّ أسبوعين أو كلّ شهر على الأكثر، يزورني في بلدي (سطيف) أو أزوره في قسنطينة، فنزن أعمالنا بالقسط، و نزن آثارها في الشعب بالعدل، و نبي على ذلك أمرنا، و نضع على الورق برامجنا للمستقبل بميزان لا يختل أبداً، و كنا نقرأ للحوادث و المفاجآت حسابها، فكانت هذه السنوات العشر كلّها إرهاصات لتأسيس جمعية العلماء الجزائريين" (3).

و في الخامس من ماي 1931م، تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كردّ فعل على احتفال الاحتلال بمرور قرن كامل عن وجوده في الجزائر، و انتخبت الجمعية عبد الحميد بن باديس رئيساً و البشير الإبراهيمي وكيلاً نائباً عنه، فأصبحت الجمعية حقيقة مجسّدة في الواقع، و شرعت في العمل، حيث "واصل الإبراهيمي نشاطه ضمن الجمعية كشخصية بارزة، مؤثرة، حتى كانت الحرب العالمية الثانية، فأبعدت السلطات الاستعمارية بعض أعضاء الجمعية، و فرضت على بعضهم الإقامة الجبرية، كما اعتقلت آخرين في السجون، فأوقف ابن باديس في قسنطينة، و أبعده الإبراهيمي إلى (آفلو) بالغرب الجزائري، حيث أوقف

(1) عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993. ص210.

(2) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5. ص277.

(3) المصدر السابق. ص280.

## المدخل

أيضا، و بعد نحو أسبوع فقط توفي ابن باديس<sup>(1)</sup>. فاجتمع المجلس الإداري للجمعية و رؤساء الشعب يوم موته و انتخبوا الإبراهيمي رئيسا للجمعية بالإجماع، فأصبح يدير أعمالها من المنفى بواسطة الرسائل المتبادلة؛ و بعد إطلاق سراحه أول ثلاث و أربعين، كانت فاتحة أعماله تنشيط حركة إنشاء المدارس، فأنشأ في سنة واحدة ثلاث و سبعين مدرسة في مدن و قرى القطر كله...<sup>(2)</sup>، كما أحيا جميع الاجتماعات التي عطّلتها الحرب، و منها الاجتماع السنوي العام، و أحيا جريدة (البصائر) التي أوقفت باتّفاق بينه و بين ابن باديس لحكمة يقول عنها: "أننا لا نستطيع تحت القوانين الحربية أن نكتب ما نريد، و لا يرضى لنا ديننا، و همّتنا، و شرف العلم، و سمعة الجمعية في العالم، أن نكتب حرفا مما يراد منا، فحكمتنا عليها بالتعطيل، و قلنا: بيدي لا بيد عمرو، و حسنا فعلنا، كذلك عطّلتنا مجلة (الشهاب) الناشرة لأفكار الجمعية"<sup>(3)</sup>.

ثم خرج البشير الإبراهيمي من الجزائر في السابع من مارس 1952م، في رحلة إلى الشرق زار خلالها القاهرة و باكستان و العراق و سوريا و الأردن و القدس، ألقى في جميعها كثيرا من المحاضرات الاجتماعية و الدروس الدينية، و كان الغرض من هذه الرحلات - كما يقول - أمران رئيسيان: "الأول مشاركة دعاة الخير في هذا الشرق في ما يدعون إليه، و أنا أرى أنّ هذا فرض عليّ يجب أن أؤديه، و الثاني التعريف بالجزائر المنسيّة من إخوانها، و دعوة الحكومات الإسلامية و العربية على الخصوص إلى إعانتها في نهضتها الثقافية"<sup>(4)</sup>.

و في ظهر يوم الخميس الموافق للعشرين من ماي 1965م، توفي الإبراهيمي في داره بمدينة الجزائر، و قد شهد جنازته جمع غفير، غمرهم حزن أليم.

لقد كان - رحمه الله - أديبا شاعرا، خطيبا مفوها، قال ارتجالا، فأبهر أجيالا، و ألف للجزائر رجالا؛ و كان أعظم ما دوّنه ملحمة رجزية نظمها لما كان مبعدا في ( آفلو)، و هي تبلغ ستة و ثلاثين ألف بيت تضمّنت مواضيع شتى منها: تاريخ الإسلام، و وصف لكثير من الفرق التي حدثت في عصره، و للمجتمع الجزائري بجميع فرقه، و محاورات أدبية رائعة، بالإضافة إلى فضح للاستعمار و مكائده و دسائسه. كما كانت للأديب بعض الكتابات التي يقول عنها: "فمن أجلّ ما كتبت:

- عيون البصائر: وهي من المقالات التي كتبها بقلمه في جريدة (البصائر) في سلسلتها الثانية.

(1) عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث. ص 211.

(2) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 5. ص 285.

(3) المصدر السابق. ص 285.

(4) المصدر السابق. ص 169.

## المدخل

- كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر، ( و التزمت فيها اللهجة السائدة اليوم في مواطن هلال بن عامر).
- كتاب النقايات و النقايات في لغة العرب: جمعت فيه كل ما جاء على وزن فعالة (من مختار الشيء أو مردوله).
- كتاب أسرار الضمائر في العربية.
- كتاب التسمية بالمصدر.
- كتاب الصفات التي جاءت على وزن فعل بفتح العين.
- كتاب نظام العربية في موازين كلماتها.
- كتاب الاطراد و الشذوذ في العربية: (رسالة في الفرق بين لفظ المطرد و الكثير عند ابن مالك).
- كتاب ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة.
- رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان.
- رواية: كاهنة أوراس بأسلوب مبتكر يجمع بين الحقيقة و الخيال.
- رسالة في مخارج الحروف و صفاتها بين العربية الفصيحة و العامية.
- كتاب حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام بدأت فيه من أيام إقامتي في دمشق بعد الحرب الأولى، و أتمته بعد ذلك في فترات، و بحثت فيه ينابيع المال في الإسلام، و استخرجت ينابيع أخرى غير منصوصة يلتجئ إليها جماعات المسلمين إذا حَزَنَهُم أمر، أو فاجأتهم حادثة.
- كتاب شُعب الإيمان: جمعت فيه الأخلاق و الفضائل الإسلامية.
- و هناك محاضرات و أبحاث كتبها عني التلامذة في حين إلقائها، و هناك فتاوى متناثرة<sup>(1)</sup>.
- إنَّ كلَّ ما عرضناه من سيرة هذا الأديب الكبير ما هو إلا غيض من فيض، و القارئ لهذه السيرة سيقف عند حقيقة مفادها " أن الحياة في سبيل الله أصعب من الموت في سبيل الله".
- لقد تضافرت عوامل عديدة ساهمت في تكوين الإبراهيمي أدبيا، و جعلته يتبوأ منزلة يعلو بها على سائر علماء و مفكري عصره في الجزائر، من بينها:
- حفظه للقرآن الكريم في سن مبكرة.
- نشأته في بيت عريق من بيوتات العلم.
- تلقية علوم الدين و العربية على يد عمِّه الذي كان علامة زمانه في العلوم العربية.

(1) المصدر السابق. ص 288-289.

## المدخل

- حافظة خارقة و ذاكرة عجيبة أعانتاه في تحصيل العلوم و حفظ الكثير من المتون.
- توليه مهمة التدريس في سنّ مبكرة أيضا.
- رحلاته المتعددة إلى المدينة و القاهرة و الشام و باكستان، و الالتقاء بعلماء تلك البلدان و ملازمتهم.

### ثانيا: دور الصحافة في تطور النشر الجزائري:

لما كان موضوع بحثنا (سجع الكهان للبشير الإبراهيمي) فإننا آثرنا الحديث عن النشر الجزائري خلال هذه الفترة -أي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية- انطلاقا من صدور جريدة (البصائر) الثانية سنة سبع و أربعين و تسع مئة و ألف (1947)، و التي نُشرت فيها هذه المقالات بداية من العدد التاسع و الستين بتاريخ 28 فيفري 1949 إلى غاية العدد الثامن و الثمانين بتاريخ 25 جويلية 1949.

و بداية نقرر أنّ الظروف الاجتماعية و السياسية و العقائدية في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج تفرض على الأديب أن يكون واعيا بما يحيط به، و أن يجسّد هذا الوعي في إبداعه شعرا كان أم نثرا، فهو يعيش وسط هذا المجتمع فمن الطبيعي أن يعيش أيضا آماله و آلامه، "لهذا لا يمكن تصوّر الأدب بخاصة و الفن بعامة منفصلين عن المجتمع و مشاكله، لأنّ الأدب و الفن كليهما يستمدان مادتهما من هذا المجتمع"<sup>(1)</sup>.

غير أنّ نجاح الأديب في هذه المهمة مرهون بأمرين أساسيين هما: الجرأة و الحرية، و إذا كان الأول لا يكاد يخلو منه أديب، فإنّ الثاني لا يغدو أن يكون حلما سعيد... !  
و عليه، كان لزاما على كل مبدع أن يتّخذ الأسلوب المناسب للتعبير عن قضايا وطنه و أمته شأنه في ذلك شأن الناقد الأدبي الذي ينظر إلى النصوص بعين الموضوعية، بحيث يتحرى العدل في أحكامه و آرائه و ذلك بأن لا يجمال الأصدقاء و لا يتحامل على الأعداء.

و الأديب الجزائري -على غرار غيره من الأدباء في المشرق أو المغرب- لم تتح له فرصة نشر نتاجه في كتاب و إذاعته بين الناس، "فالدولة كانت استعمارية و كانت لا تشجّع قدر ما تثبط و تحارب، كما أنّ المطابع و دور النشر لم تكن ذات وجود في الجزائر"<sup>(1)</sup>. و لذلك اتجه الأديب الجزائري إلى الصحافة، يعبر عن إحساسه و مشاعره سواء فيما تعلق بالمجتمع و قضاياها أو فيما يتعلق بالطبيعة و الحياة على العموم.

(1) محمد مصايف: النشر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983. ص93.

(1) عبد الملك مرتاض: نخبة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 - 1954، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983. ص11.

## المدخل

و يرى الدارسون أنّ الصحافة العربية في الجزائر حديثة العهد بالظهور، و ذلك راجع إلى أسباب كثيرة، كانهدام الحرية في ظلّ الاحتلال، و انعدام وسائل الطباعة و النشر و غيرها، و لعلّ أهمّ الصحف التي كان لها شأن في إذكاء النشاط الفكري و الأدبي في الجزائر صحيفة (المنتقد) الأسبوعية التي كان يصدرها عبد الحميد بن باديس ابتداء من سنة خمس و عشرين و تسع مئة و ألف، إلى أن قرّر الاحتلال تعطيلها بعد ثمانية عشر عددا، حيث اعتبرها خطرا يهدد بقاءه في الجزائر؛ فهي صحيفة "تحمل فكرة الإصلاح الديني عمّا أحدثه فيه المبتدعون و حرّفه الجاهلون، و بيانه كما جاء في القرآن العظيم و السنّة المطهرة، و عمل به السلف الصالحون، معلنة أنّ المسلمين بذلك وحدة تصفو عقائدهم، و تزكو نفوسهم، و تستقيم أعمالهم، و ينبعثون عن قوة و بصيرة في الأخذ بأسباب الحياة الراقية و المدنية الطاهرة، مشاركين أمم الدنيا في خدمة الإنسانية و ترقية الحضارة، و توسيع العمران... برزت جريدة المنتقد تحمل هذا، و تلفت الجزائريين المسلمين إلى حقيقة وضعيتهم بين الأمم، بأنهم أمة لها قوميتها و لغتها و دينها و تاريخها"<sup>(2)</sup>.

و في السنة نفسها و بعد تعطيل جريدة (المنتقد)، أصدر ابن باديس جريدة أخرى وسمها ب(الشهاب)، كانت "أطول الصحف عمرا، و أعظمهن خطرا، و أبعدهن أثرا، و أغناهن فائدة و نفعاً، فقد كانت تتناول الفكر الإسلامي في عمقه و أصلته، و كانت كثيرا ما تنصب أثناء ذلك على الإنساني بما فيه من سعة و شمول"<sup>(3)</sup>؛ و قد استمرت (الشهاب) في الصدور أسبوعيا طيلة أربع سنوات ثم أصبحت تصدر شهريا إلى غاية تسع و ثلاثين و تسعمائة و ألف.

و بتأسيس جمعية العلماء المسلمين في سنة إحدى و ثلاثين و تسعمائة و ألف (1931)، أصدرت هذه الأخيرة جريدة (البصائر) الأولى سنة خمس و ثلاثين و تسعمائة و ألف، "و لم تظهر البصائر حتى كانت صحف ثلاث أخرى سبقتها و هن: السنة و الشريعة و الصراط، و كانت كلّ منهن تصدر من قبل الاحتلال الفرنسي، فكانت الجمعية تضطر إلى إصدار صحيفة أخرى سريعا و هلمّ جراً... و البصائر بصائران اثنتان: أولى، و قد كان يديرها في السنتين الأوليين الطيب العقبي، و في سنة سبع و ثلاثين عينّ المبارك المليي بقرار من المجلس الإداري لجمعية العلماء مديرا لها طوال سنتين اثنتين حتى توقفت عن الصدور إبان الحرب العالمية الثانية، فالبصائر الأولى عاشت سنوات خمس فقط"<sup>(1)</sup>.

(2) المرجع السابق. ص98.

(3) المرجع السابق. ص99.

(1) المرجع السابق. ص108.

## المدخل

أما (البصائر) الثانية فقد صدرت سنة سبع و أربعين و تسعمائة و ألف (1947)، و قد ظلّ الإبراهيمي مسؤولاً عن إدارتها إلى أن توقّفت في سنة ست و خمسين.

لقد كان لهذه الجرائد و جرائد أخرى\* دور كبير في إثراء النهضة الأدبية و الثقافية في الجزائر، " و قد ظلّت الشهاب و البصائر بمثابة المعين الثرثار للزلال ماؤه، تستمد منه جميع الصحف الأخرى أو بمثابة القطب الذي تدور عليه الأشياء و تقوم حوله، و كيف لا تكونا أساساً لهذه النهضة و دعامة من دعائمها المتينة الثابتة، و قد عرفنا أكبر كتاب الجزائر و أعظمهم خطراً في حياتنا الفكرية و الاجتماعية معاً، خلال النصف الأول من هذا القرن [القرن العشرين] بواسطتهما و على أعمدتهما؟ فلولا الشهاب لما عرفنا ابن باديس و نتاجه، و تفكيره و أعماله، و مذهبه الفلسفي في الإصلاح، ثم لولا البصائر لما عرفنا الإبراهيمي و أضرابه من قادة النهضة الأدبية في وطننا"<sup>(2)</sup>.

إنّ أصول الحداثة في الأدب الجزائري ترجع إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر حيث كان ارتباط الحركة الأدبية في المغرب بالمشرق العربي قائماً<sup>(3)</sup>، إلّا أنّها -الحداثة- أصبحت شيئاً ملموساً وواقعاً لا شكّ فيه عقب الحرب العالمية الثانية، إذ ظهرت أنواع أدبية مختلفة كالقصة و المسرحية، بالإضافة إلى مقالات أدبية و إصلاحية و قصائد متنوعة تناولت قضايا الحرية و العروبة و الإسلام و الشخصية الوطنية و الحياة اليومية و الاجتماعية.

" و إذا كانت مضامين النثر الجزائري الحديث قد انحصرت أو كادت في هذه المحاور، فإنّ ظروف الصراع الذي كان الشعب الجزائري يخوضه ضد القوات المحتلة هي التي فرضت هذه المضامين"<sup>(4)</sup>، و قد كانت مواقف أصحاب هذه الكتابات واضحة و بخاصة في كتابات عبد الحميد بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي و محمد السعيد الزاهري و رمضان حمود و عمر راسم و أحمد رضا حوحو و أبو القاسم سعد الله و غيرهم من كتّاب تلك الفترة؛ ومعظم هؤلاء كانوا ينشرون نتاجهم في جريدة (البصائر) و غيرها من الصحف الوطنية.

و يرى (عبد الملك مرتاض) في مقارنته بين كتّاب (البصائر) و كتّاب (الشهاب) أنّ "كتّاب البصائر من الناحية الأدبية أقوى تعبيراً، و أجمل تصويراً، و أغزر مادة من كتّاب الشهاب، فقد كانت الشهاب

---

\* أحصى عبد الملك مرتاض ثمان و عشرين صحيفة صدرت في معظمها خلال الفترة الممتدة ما بين 1925-1954 أو أنها صدرت من قبل لكنّها كانت لا تزال تصدر في سنة 1925.

(2) عبد الملك مرتاض: نغمة الأدب العربي المعاصر في الجزائر. ص 121.

(3) عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995. ص 15.

(4) محمد مصاييف: النثر الجزائري الحديث. ص 117.

يغلب عليها الطابع الديني و الفكري، أما البصائر فقد كان يميّزها الأسلوب الأدبي المشرق البليغ...و [لم تكن] من جنس الصحف التي ترضى بالإسفاف في أسلوبها، و الاضطراب في لغتها، والسطحية في أفكارها، بل هي صحيفة لمعرض العربية الراقية في الألفاظ و المعاني و الأساليب"<sup>(1)</sup>.

أما عن كتاب (البصائر) فإننا نجد في طليعتهم محمد البشير الإبراهيمي، فقد كان "يجمع بين العناية بالصياغة و بين التعبير عن العاطفة و الشعور المتقدم، كما يجمع بين الفكرة الإصلاحية في مضمونه و بين الجمال الأدبي في تعبيره، كما يعنى بالصورة البيانية بشكل جلي، و تظهر الثقافة العربية بمختلف فروعها و تنوع منابعها في لغته و أسلوبه، و هو من الكتاب الذين يحتفلون بالقلب اللغوي و يصبّون فيه حواظهم و أفكارهم، فاللغة عنده ليست فقط وسيلة و لكنّها هدف أيضا"<sup>(2)</sup>.

و للكاتب مقالات مختلفة في الدين و الإصلاح و الاجتماع و السياسة، و أسلوبه هو نفس الأسلوب الذي لو احتذاه الناشئون من الكتاب لارتقت أساليبهم و استحكمت ملكاتهم، و لغته هي دائما لغة العرب الأقحاح منذ عصورها الأولى.

لقد كان الإبراهيمي يتناول مواضيعا يكتب حولها سلسلة من المقالات مثلما هو الحال في "فصل الدين عن الحكومة"، و "التعليم العربي و الحكومة"، و "سجع الكهان"، هذه الأخيرة صادفت إعجابا شديدا و نجاحا بالغا، و هي أحاديث قصيرة أدبية كتبت على طريقة المقامات من حيث كثرة السجع، و لعلّها أوضح فنّ بدا فيه الإبراهيمي أدبيا بالمفهوم الدقيق للكلمة.

و جدير بالذكر أنّ هذه المقالات – و عددها سبع – لا تتمثل إلا فصولا قصيرة من كتاب مستقل ألفه الإبراهيمي في "نقد لاذع للحكومات العربية و الشعوب العربية و ملوكهم، على مواقفهم الذليلة، المهينة المترددة في فلسطين، و كنت كتبت كثيرا في التنديد بهم، فلم يؤثر ذلك في هذه الصخور الجامدة، فاستخدمت هذا الأسلوب و نزعت فيه منزع القدماء في السجع و عزوته إلى كاهن الحي"<sup>(1)</sup>، و يرى الإبراهيمي أنّ في غير المنشور منها "ما هو أبلغ في التصوير و ألدع في التقدم مما نشر"<sup>(2)</sup>.

### ثالثا: الفرق بين المقالة الصحفية و المقالة الأدبية:

إنّ قارئ هذه المقالات قد يتبادر إلى ذهنه التساؤل الآتي: تحت أي لون يمكن أن تُصنّف هذه السلسلة، هل هي مقالات أدبية أم صحفية، أم هي (فصول) كما سمّاها صاحبها؟

(1) عبد الملك مرتاض: نغمة الأدب العربي المعاصر في الجزائر. ص 111-110-113.

(2) عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983. ص 149.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. ص 583.

(2) المصدر السابق. ص 503.

قبل الإجابة عن هذا التساؤل نشير إلى أنّ كلمة (مقالة) لم تكن تستعمل في المعنى الذي تستخدم فيه اليوم، و مع ذلك فقد اشتمل الأدب العربي في العصور المتقدمة على ضروب مختلفة من الكتابة النثرية التي صيغت صياغة أدبية واضحة، توخّى كتابها أن يجمعوا بين روعة المعنى و جمال الصياغة، و أطلقوا على ما يبدعونه من فنون النثر مسميات مختلفة مثل (الفصل) و (الرسالة) و (المقامة)، في حين "استخدم لفظ (المقالة) بمعنى البحث في مسألة أو مذهب من المذاهب، أو لتقسيم الكتاب إلى (مقالات) يعالج كلّ منها بحثا دينيا أو فلسفيا أو علميا، كما قسّم كتاب صبح الأعشى مثلا إلى عشر مقالات"<sup>(3)</sup>.

"و يذهب العقاد إلى أنّ (الفصل) هو أصل المقالة الأول في الآداب العربية"<sup>(4)</sup>، و هو المصطلح الذي ارتضاه الإبراهيمي لهذه السلسلة، و لا مندوحة في ذلك، فالكاتب تشبّع بالثقافة العربية، يعترف من معينها في بلد حاول الاستعمار مسخ هويته و عرويته.

و يرى بعض الدارسين أنّه "ربّما كانت الكتب العربية عند أوّل نشأتها فصولا مجموعة على شيء من الصلة في موضوعها أو بغير صلة بينها على الإطلاق، فإذا فتحت الكثير منها قرأت فصلا في الأخلاق إلى جانب فصل في أخبار الشجعان و البلغاء إلى جانب فصل في الدعاء و الدهاء إلى أشباه ذلك من الموضوعات"<sup>(5)</sup>.

لقد تواضع رجال النقد على أن يطلقوا كلمة (مقالة) على كلّ ضروب الكتابة النثرية إن قصر طولها و عاجلت موضوعا واحدا؛ "و يذهب مؤرخو الآداب إلى أنّ الكاتب الفرنسي (مونتاني) *Montaigne* (1533-1592) منشئ المقالة في القرن السادس عشر، كان يكتب مقالاته و يعلم أنّه ينشئ شيئا جديدا لم يسبقه إليه أديب آخر، فقد أحسنّ في نفسه رغبة في أن يكتب شيئا يختلف في جوهره عمّا ألف السابقون أن يكتبه، أراد صورة أدبية، تجمع خليطا من الصفات التي و إن تكن متناقضة في ذاتها، إلا أنّها مع ذلك تصوره لأفكارها قوامه و جوهر كيانه"<sup>(1)</sup>.

لقد تطوّر أدب المقالة منذ عهد (مونتاني)، و لكنّه مع ذلك لا يزال محتفظا بأبرز مميزاتة، و هي تناول الموضوعات من وجهة النظر الشخصية.

(3) عبد العزيز شرف: أدب المقالة، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997. ص 19.

(4) المرجع السابق. ص 02.

(5) المرجع السابق. ص 02.

(1) المرجع السابق. ص 30.

## المدخل

أما كتاب المقالة في الأدب العربي الحديث، فقد كانوا على اتصال وثيق بنموذجها الأوروبي، الذي أرسى دعائمه (مونتاني) في فرنسا و (باكون) في إنجلترا، و كان هؤلاء ينشرون مقالاتهم في الصحافة العربية الأمر الذي أدى إلى اقتران ظهور المقالة الأدبية و المقالة الصحفية.

"ظهر المقال الأدبي إذن إلى جانب المقال الصحفي في الصحافة العربية، و اتجه الأخير إلى تناول المشكلات القائمة و القضايا العارضة من الناحية السياسية، في حين ذهب الأول -المقال الأدبي- إلى عرض مشكلات الأدب و الفن و التاريخ و الاجتماع. و يذهب الكاتب المقالي (علي أدهم) إلى أنّ المقالة الأدبية كانت أقرب إلى طبيعة المقالة و فنّها الأصيل من المقالة الصحفية. و من أعلام الأدب المقالي في الصحافة العربية كتّاب أجادوا في النوعين مثل (عباس محمود العقاد) الذي اشتهر في مقالاته السياسية بجمالاته على خصوص (الوفد) الذي كان يدافع عن سياسته، و (محمد حسين هيكل) الذي امتازت مقالاته الصحفية بالفقه القانوني و التأثير بالمذاهب السياسية و الاجتماعية الحديثة، و (طه حسين) الذي كانت مقالاته الصحفية حافلة بنفائس اطلّاعه على الأدب العربي و التاريخ الإسلامي. و من كتّاب المقالة الأدبية الخالصة: ميخائيل نعيمة، و جبران خليل جبران، و الآنسة مي زيادة، و مصطفى لطفى المنفلوطي، و الرافعي، و زكي نجيب محمود، و محمد عوض محمد، و علي أدهم، و محمد حسن الزيات، و أحمد أمين و غيرهم من الكتّاب أصحاب الأساليب، الذين احتفظوا للمقالة الأدبية بأبرز مميزاتّها، و نعني التعبير عن وجهة النظر الشخصية و الإيجاز، و مراعاة الانسجام بين الفكرة و أسلوب الأداء"<sup>(2)</sup>.

و مما يقال في شروط المقالة الحديثة "أنّها ينبغي أن تكتب على نمط المناجاة، و الأسمار و أحاديث الطريق بين الكاتب و قرائه، و أن يكون فيها لون من ألوان الثثرة، و الإفشاء بالتجارب الخاصة و الأذواق الشخصية"<sup>(3)</sup>.

و إذا كان المقال الأدبي يعبرّ قبل كل شيء عن تجربة معينة مسّت نفس الأديب فيحاول أن ينقل ذلك الأثر إلى نفوس قرائه مستندا إلى البيان و البديع ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ فإنّ المقال الصحفي يتّصل أكثر ما يتّصل بأحداث المجتمع الخارجية عامة، و نادرا ما يلتفت إلى تنميق العبارة بالبيان و الزخرف.

ويرى بعض الدارسين "أنّ البلاغة الجديدة في فنّ المقال الصحفي تبعد به عن البلاغة الجمالية في المقال الأدبي، التي تجعل من هذا الأخير فناً جمالياً، في حين تنظر البلاغة الوظيفية للمقال الصحفي على أنّه فن تطبيقي، و كلاهما فنّ لا شكّ فيه، إلا أنّ البلاغة الجمالية تستعمل خامات اللّون و اللفظ للوصول

(2) المرجع السابق. ص 71-72.

(3) عباس محمود العقاد: فرنسيس باكون، المكتبة العصرية، بيروت، د ت. ص 82.

## المدخل

إلى الجمال، في حين تدخل البلاغة الوظيفية في فنّ المقال الصحفي في اعتبارها أمورا عملية فنية اجتماعية. فالمقال الصحفي يجب أن يراعي مستوى القراء و ثقافتهم و سياسة الصحيفة، و قوانين المطبوعات و الرقابة، و التعبير المبسّط عن الأفكار المعقدة، ليلائم السواد الأعظم من الجماهير المتصلة بها. و لذلك يهتم المقال الصحفي بتفاصيل ما يجري من الأحداث اليومية في المجتمع، و بتسجيل الإحصاءات و الأرقام التي جمعت، و الكلمات التي قيلت، و الأحداث التي وقعت، كأنّه يثبت جسم الحقيقة، في حين ينفذ المقال الأدبي إلى روح تلك الإحصاءات و الأرقام و الكلمات و الأحداث من خلال اهتمامه بالقيم؛ فالفرق إذن بين الأديب و الصحفي في فن المقال هو في نزوع أحدهما إلى أعماق النفس البشرية، و نزوع الثاني منزع الناقد الاجتماعي الذي يعنى بالواقع و التفاصيل<sup>(1)</sup>.

لقد سعت المقالة بأنواعها المختلفة و فنونها المتباينة و محاولاتها الناجحة تصوير "ما نحتاج إلى أن يصوّر لنا من ضروب الحياة التي نحيها، ناقدة مرّة و مقرضة مرة أخرى، معلّمة مرّة و معنية بالإمتاع الفني مرة أخرى، متناولة للسياسة على اختلاف ألوانها، و للحياة الاجتماعية على تباين أشكالها، و للحياة العقلية على تنوّع فروعها"<sup>(2)</sup>.

و عليه فإننا نتفق مع الإبراهيمي في تسمية هذه السلسلة بالفصول، ذلك أنّ الفصل هو البداية الأولى لفن المقالة، كما أنّه يجوز لنا تسميتها بالمقالات لأنّ الكاتب اهتم بقضايا تخصّ الأمة العربية، و دعا الشعوب إلى وحدة الصف، وضرورة الوقوف في وجه الاحتلال؛ و هذه الوظيفة النقدية من وظائف المقال الصحفي بالتحديد؛ بالإضافة إلى تديبها بما أوتي من روعة بيان و جمال صياغة، كما أنّها اشتملت على معظم الشروط التي أوجبها النقاد في فن المقالة؛ "و ليس من اللازم أن تتوافق المقالات جميعا على السنة الشائعة في عرف النقاد و القراء، ففي غير النمط الشائع مجال للخصوصيات المتفردة على حسب القرائح و الطباع و الموضوعات"<sup>(3)</sup>.

إنّ الخاصية الأساسية في هذه المقالات التي كتبها الإبراهيمي هي السجع، فهو من عرفوا به و أصبح من ميزاته الواضحة، "على أنّ الإبراهيمي لم يلبث أن تحلّل من الأسجاع حين تقدمت به الكتابة في هذه الأحاديث أو هذه المقامات، و لم يجيء ذلك الإبراهيمي اقصارا عن السجع، أو قصورا عن الإيحاء بين خواتم الفواصل، فمثل هذا الأسلوب كان قد استقام له استقامة تامة، و ألفه قلمه ألفة شديدة، و كان يظاهره على ذلك محفوظ وفير، و إمام بالعربية وسيع، و إنّما عزف الإبراهيمي عن السجع رغم أنّه

(1) عبد العزيز شرف: أدب المقالة. ص 158 - 159.

(2) طه حسين: جنة الشوك، ط11، دار المعارف، القاهرة، د.ت. ص8.

(3) عباس محمود العقاد: فرنسيس باكون. ص87.

## المدخل

كان قد التزم به مع نفسه في المقدمة التي أذاعها بين القراء، لأنه كان يدرك أنّ السجع أحياناً ليس أثقل منه إلا الجبال الشامخات، و أنّ التكلف الأدبي ليس أقبح منه إلا النفاق، و أنّ الدوران و الروغان بالألفاظ في غير طريقها التي هيئت لها ليس أشنع منه إلا الجهل باللغة التي يكتب بها الكاتب للناس، فكان الإبراهيمي يسجع، و لكنّه إذا تعدّر عليه بحيث يفسد معنى حديثه، يعزف عنه و لا يلوى عليه، و لكن ذلك لم يكن إلا قليلاً<sup>(1)</sup>.

لكن، ما مفهوم السجع؟ و ما هي أقسامه؟ و ما الفرق بين السجع كشكل من الأشكال البلاغية و بين سجع الكهان؟ ثم لماذا وسم الإبراهيمي مقالاته بهذا الاسم؟ و ما هي مكانة السجع في الخطابات الأدبية المعاصرة؟

هذه الأسئلة و غيرها أردناها أن تكون موضوع حديثنا في الفصل الأول من هذا البحث، لنصل بعد ذلك إلى شرح و تحليل بعض تلك المقالات على ضوء ما سيُقدم.

---

(1) عبد الملك مرتاض: نمضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر. ص131.

# الفصل الأول

تمهيد

أولاً: السجع

1/ مفهوم السجع و سجع الكهّان

2/ أقسام السجع

ثانياً: السجع في الخطابات الأدبية المعاصرة

ثالثاً: التحليل (السجع في الخطاب الإبراهيمي)

خاتمة الفصل الأول

## الفصل الأول: السجع

### تمهيد

إنّ الجمال في العمل الأدبي عناصر محقّقة يمكن البحث عنها و كشفها، من بينها الإيقاع، فلا شكّ أنّ هذا الأخير يعتمد بالدرجة الأولى على الظواهر الصوتية، و هي ظواهر يمكن أن يكون لها حضور واضح في الخطاب على نحو من الأنحاء، فبنية اللغة العربية "بنية إيقاعية بما فيها من نبرات و سكنات تظهر أثناء القراءة من خلال تشكل الجمل و تجاورها بما يخلق علاقات إيقاعية"<sup>(1)</sup>. و لذلك يقول ابن الأثير: "و من له أدنى بصيرة يعلم أنّ للألفاظ في الأذن نعمة لذيدة كنعمة أوتار، و صوتا منكرا كصوت حمار، و أنّ لها في الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل، و مرارة كمرارة الحنظل، و هي على ذلك تجري مجرى النغمات و الطعوم"<sup>(2)</sup>.

لكنّ إشاعة التماثل الصوتي في الخطاب عملية تتجنّبها اللغة العادية بينما تستعملها اللغة الأدبية\* إلى أقصى الحدود، لأنّ الإيقاع في هذه الحالة لا يدلّ على مجرد لعب أو إضافة عناصر ثانوية بقدر ما ينتج تأثيرا دلاليا يعلّق بموجبه المعنى على الصوت، أي أنّ " الإيقاع الصوتي في تحالف موقعه أو تشابه موضعه يؤدي -بالضرورة- إلى تحولات و تبادلات في بنية الشكل اللغوي و في دلالة العلاقات"<sup>(3)</sup>؛ فهو "الذي يبرز تأثير البنية الصوتية بوضعها في قوالب زمنية تمارس من خلالها الإيحاء"<sup>(4)</sup>.

و تجدر الإشارة إلى أنّ الإيقاع لا يعني الوزن، "فالإيقاع هو حركة الأصوات الداخلية التي لا تعتمد على تقطيعات البحر أو التفاعيل العروضية؛ و توفير هذا العنصر أشقّ بكثير من توفير الوزن، لأنّ الإيقاع يختلف باختلاف اللغة و الألفاظ المستعملة ذاتها، في حين لا يتأثر الوزن بالألفاظ الموضوعية فيه، تقول (عين) و تقول مكانها (بئر)، و أنت في أمن من عشرة الوزن، أما الإيقاع فهو التلوين الصوتي الصادر عن الألفاظ المستعملة ذاتها، فهو أيضا يصدر عن الموضوع، في حين يفرض الوزن على الموضوع، هذا من الداخل و هذا من الخارج"<sup>(5)</sup>.

(1) آصف عبد الله: مجلة الموقف الأدبي، العدد 416، أكتوبر، 2005.

(2) ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ت: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، ج1، ط1، مطبعة نضمة مصر، القاهرة، 1959. ص221.

\* تشير الأدبية (littéralité) إلى وضع سيميائي نوعي للنصوص الأدبية، و قد شكلت مدارا لكثير من بحوث الشكلانيين الروس الذين جعلوا منها موضوعا لعلم الأدب، يتقصى الكيفيات الفنية التي تجعل من خطاب لغوي ما نصا أدبيا مميزا/ يوسف و غليسي: الشعرية و السرديات، منشورات مخبر السرد العربي، قسنطينة/الجزائر، 2006. ص27.

(3) رجاء عيد: القصيدة الجديدة بين التجديد و التجدد، مجلة فصول، العدد الثاني، ج1، م15، القاهرة، 1996. ص172.

(4) صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد العربي، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1998. ص314.

(5) عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992. ص315.

## الفصل الأول: السجع

---

و الأدب العربي أدب يعنى أشدّ العناية بالناحية الصوتية المسموعة، و ذلك راجع إلى تاريخه و تاريخ الأمة العربية، فلقد كان أدب إلقاء و رواية و مشافهة و قد تجلّى ذلك في أشعارهم و أرجازهم و حكمهم و أسجاعهم و وصاياهم و خطبهم، إلى أن جاء عصر التدوين...

لكن هذا لا يعني عدم الاهتمام بالناحية الصوتية المسموعة في عصرنا الحديث، فالأدب العربي لا يزال "يسرّ الأذن بما فيه من جرس محبب و بما فيه من إيقاع و قافية و اختيار كلمات و توافق مخارج، و هو أدب يسرّ النفس بما فيه من تجارب وجدانية إنسانية لا تقصر دون الاستحواذ على النفس، ثم هو أدب يسرّ العقل بما فيه من جمال الفكرة و سرعة البديهة و النادرة، و هو بكونه متعة للنفس و العقل أدب يُقرأ، و بكونه متعة للأذن أدب يُسمع"<sup>(1)</sup>.

---

(1) تمام حسان: مقالات في اللغة و الأدب: ج1، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2006. ص410.

### 1/ مفهوم السجع و سجع الكهان:

إذا كان ابن الأثير يرى أنّ حاسة السمع هي الحاكمة بحسن ما يحسن من الألفاظ و قبح ما يقبح منها<sup>(1)</sup>، فإنّ هذا الصوت لن يؤدي دوره المنوط به إلا ضمن سياق تركيبى، و على الرغم من أن لكلّ كلمة مفردة صوتا فعليا يساهم في تحديد دلالتها، فإنّ الكلمة إذا ما ركّبت مع كلمات أخرى أنتجت مجموعة من الأصوات توجه معنى النص ضمن السياق في نظام تركيبى و ترتيبى للجمل<sup>(2)</sup>، و بذلك تصبح "الكلمات القبيحة هي الكلمات التي لا تجد مكانها الملائم بين أخواتها" على حد تعبير توماس إلبوت<sup>(3)</sup>.

إنّ كثيرا من المتلقين يميزون الخاصية الأدبية لنص ما اعتمادا على البعد الصوتي؛ و تتجلى فاعلية الأصوات في قدرتها على إضافة طبقة دلالية - إن جاز التعبير- من خلال الطبقة الصوتية، و هي -في ذلك- كأثما إيماء مكثّف يختزل إضافات وصفية أو تشبيهية أو سواهما، و كأثما -لذلك- معنى فوق المعنى<sup>(4)</sup>.

و يعدّ السجع من أهم الأشكال الصوتية التي تؤدي إلى تكرار الأصوات في الخطاب الأدبي، مما جعله يحتل مكانة مرموقة في كثير من أنماط النثر الفني على اختلاف العصور.

مما لا شكّ فيه أنّ السجع من مميزات البلاغة العربية، و لا تكاد تجد لبلوغ كلاما يخلو منه و إن كان يسيرا؛ و السجع في اللغة بمعنى "استوى و استقام و أشبه بعضه بعضا، و السجع الكلام المقفى، و الجمع أسجاع و أساجيع... قال ابن جني: سمي سجعا لاشتباهه أوآخره و تناسب فواصله. و سجّع الحمام: هدل على جهة واحدة، و سجّع الحمامة: موالاة صوتها على طريق واحد"<sup>(5)</sup>، و ربط الخليل السجع بالفواصل فقال: "سجّع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن"<sup>(6)</sup>.

و السجع أو التسجيع - كما يسمّيه البعض - هو "تواطؤ الفواصل\* في الكلام المنثور على حرف واحد"<sup>(7)</sup>، و هو ما قاله القزويني أيضا في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة"، و أشار إلى معناه السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" حيث جعل الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر.

(1) ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ج 1. ص 224.

(2) محمد تحريشي: أدوات النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000. ص 26.

(3) عبد الكريم مجاهد: اللفظ و المعنى عند النقاد و البلاغيين، مجلة أقلام، العدد التاسع، بغداد، أيلول، 1981. ص 29.

(4) رجاء عيد: القصيدة الجديدة بين التجديد و التجدد، مجلة فصول، العدد الثاني، ج 1، م 15، القاهرة، 1996. ص 172.

(5) ابن منظور: لسان العرب، م 7، ط 1، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، د.ت. ص 128.

(6) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ت: عبد الحميد هندواوي، م 2، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002. ص 217.

\* الفاصلة: الكلمة التي تأتي في آخر الفقرة.

(7) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ج 1. ص 271.

## الفصل الأول: السجع

و من نافلة القول أنّ السجع حليلة قديمة عند العرب، سبق ظهوره مجيء الإسلام، و قد تجلّى ذلك في خطبهم و حكمهم و أمثالهم... إلخ، و هو من المحسنات التي لا ينفرد بها الخطباء و الكتاب، بل إنّنا نجد له أثرا في كثير من حكم العامة و أمثالهم.

أمّا في لغات الأمم الأخرى كالفرنسية مثلا، نجد أنّ "السجع (assonance) يتألف من تكرار الحروف الصائتة أو المتحركة (les voyelles)\*، و هو من قواعد العصور الوسطى." (1)

كما يعرفه بعضهم بقولهم: "هو التماثل الصوتي للحرف الأخير المشدّد في البيت أو الجملة أو في عدد من الجمل" (2)، و يمكن أن يوجد عندهم في الشعر أو النثر على حد سواء، كما أنّ الحروف التي تشكّل السجع يمكن أن توجد في بداية أو وسط أو آخر الكلمة، لكنّ المتواتر و المتكرر بكثرة هو ورودها في آخر الكلمة، و تجدر الإشارة إلى أنّه لا يشترط في الحروف المتحركة أن تكون مكتوبة بنفس الشكل، مثال:

- L'aurore grelottante en robe rose et verte. (Baudelaire)
- Sous le ciel grand ouvert la mer ferme ses ailes. (Éluard)
- Ainsi, toujours poussés vers de nouveaux rivages. (Lamartine)
- Je fais souvent ce rêve étrange et pénétrant. (Verlaine)
- Les vendredis sanglants et lents d'enterrements. (Apollinaire)

[كما] لا يجب الخلط بين السجع و القافية اللذان ينتجان عن تكرار الصوت الأخير في الكلمات، ذلك أنّنا في السجع لا نهتم سوى بتكرار الحروف المتحركة (les voyelles)، لكن في القافية نكرر أيضا الحروف الساكنة (les consonnes) التي تسبق أو تلحق هذه الحروف المتحركة (3). كما يذهب البعض إلى القول بأن القافية " أعقبت/خَلَقَت السجع في القرن الثالث عشر" (4).

و عليه فإنّ السجع يمكن أن يعتبر كقافية ناقصة أو غير مكتملة، فهو لا يشترط سوى تشابه الأصوات أو الحروف المتحركة دون أن يأخذ في الحسبان الحروف الساكنة التي تسبقه أو تلحقه، مثال: "chaste-frappe" تشكّلا سجعاً، أمّا كلمتي «frappe- nappe» فتشكّلا قافية.

\* les voyelles sont : a , o, e, i, u, y.

(1) Jacques Durrenmatt : Stylistique de la poésie, édition Belin, Paris, 2005. p106.

(2) Henri Morier : Dictionnaire de la poétique et de rhétorique, 5<sup>e</sup> édition, Presses Universitaires de France, 1998. p136.

(3) www.oqlf.gouv.qc.ca.com

(4) Michel Pougeoise : Dictionnaire de rhétorique, Armand Colin, Paris, 2001. p58.

## الفصل الأول: السجع

كما تشير بعض الدراسات إلى أنّ القصيدة الفرنسية في العصور الوسطى لم تكن تعرف القافية و إنما كانت تعرف السجع فقط بحيث كان عنصراً أساسياً في شعرهم؛ "ففي عصر النهضة اكتشف بعض الشعراء أنّ لاستعمال السجع قيمة جمالية كبيرة، حيث يزيد الإيقاع رونقا في البيت الذي يتكون من اثني عشر مقطعا\*.

و عند الوصول إلى الشعراء المحدثين بداية من القرن التاسع عشر، نجدهم يفضّلون السجع عن القافية، إذ سمحوا بتسجيع المقاطع، و ذلك كردّ فعل على تقديس القافية.

كما تواصل استعمال السجع في أوروبا خلال القرن العشرين، سواء أكان ذلك في أسبانيا ( وهي الأصل الذي ينحدر منه هذا المصطلح) أو في الدول الأخرى كإنجلترا التي نجد فيها شاعرا اسمه (Wilfred Owen)، هذا الأخير لفت الانتباه إليه من خلال استعماله للسجع في أبيات من قصيدته المسماة "Exposure"<sup>(1)</sup>.

و أمّا الفرق بين السجع (assonance) و الجناس اللفظي (allitération) - في اللغة الفرنسية- فإنّ الأول مختص بتكرار الحروف المتحركة أمّا الثاني فيقع بتكرار الحروف الساكنة.<sup>(2)</sup>

لذلك يرى بعض الدارسين أنّ السجع في الواقع باب من أبواب الشعر، والمرحلة الأولى من مراحلها، والبذرة التي أنبتت الشعر العربي، و هو ما أشار إليه الإبراهيمي بقوله: "...عمر صحائف من ديوان العرب، و كان من شعرهم كالكرب من القرب، بل كان هو الشعر في أول أدواره، و كان قارع البيان و قارع أسواره..."<sup>(3)</sup> و إذا أخذنا الشعر البدائي الذي يكون المرحلة الأولى من الشعر، نرى أنّه لا يختلف اختلافاً كبيراً عن السجع؛ "و الكلام المسجّع، هو ضرب من ضروب الشعر عند غير العرب، و قد طوّر الشعراء السجع، وأوجدوا منه الشعر، وإذا درسنا أول الشعر العبراني، أو أوليات الشعر عند الشعوب السامية، وعند الشعوب الآرية، نجد أنّه نمط من أنماط هذا الكلام الذي نسمّيه السجع؛ و هو لا زال يعدّ شعراً عند كثير من شعوب هذا اليوم... لأنّ في السجع من الوصف والعاطفة والحس ومعالجة الموضوع، ما يجعله شعراً، وفي بعضه نغم يجعله صالحاً لأن يتغنى به، وبين الغناء والشعر صلة ونسب"<sup>(1)</sup>.

و من الشواهد على شيوع السجع في أمثلتهم قولهم:

"La nuit, tous les chats sont gris"، "Qui va à la chasse, perd sa place"... إلخ.

\* L'alexandrin : vers de douze syllabes.

(1) www.ditl.info.com

(2) www.franccparler.org

(3) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص519.

(1) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8-ج9، ط2، جامعة بغداد، 1971. ص746-ص124.

## الفصل الأول: السجع

إذن فالسجع غير مقصور على العرب وحدهم و لا على الغرب، بل هو خاصية إنسانية، و لعلّ وروده في أمثالهم و حكمهم دليل على سبب خلودها - الأمثال - في الذاكرة الإنسانية منذ ظهورها إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، يقول ابن جني: "ألا ترى أنّ المثل إذا كان مسجوعاً لَدَّ لسامعه فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديراً باستعماله، و لو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النفس به و لا أنقت لمستمعه، و إذا كان كذلك لم تحفظه، و إن لم تحفظه لم تطالب نفسها باستعمال ما وضع له و جيء به من أجله"<sup>(2)</sup>.

و مما يدل على إثبات السجع أيضاً ما قاله عبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي و قد سئل: "لم تؤثر السجع على المنثور و تلزم نفسك القوافي و إقامة الوزن؟ فأجاب: إنّ كلامي لو كنت لا أمل فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك، و لكنني أريد الغائب و الحاضر و الراهن و العابر، فالحفظ إليه أسرع، و الآذان لسامعه أنشط، و هو أحقّ بالتقييد و بقلة التفلّت، و ما تكلمت به العرب من جيّد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيّد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، و لا ضاع من الموزون\* عشره"<sup>(3)</sup>.

فهذا جواب صريح للدلالة على أنّ الكلام المسجوع حقيق بأن يحفظ و يروى لدى الغائب و الحاضر، أمّا إذا أردت مخاطبة الحاضرين فلا ضير من استعمال الكلام المرسل الخالي من الوزن القافية.

لكن هناك من ذهب إلى ذمّ السجع لأنّ الرسول -صلى الله عليه و سلم- نهى عن سجع الكهّان و ذمّه، "فعن أبي هريرة قال: اقتتل امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها، فاختصموا إلى رسول الله -صلى الله عليه و سلم- ففضى رسول الله -صلى الله عليه و سلم- دية جنينها غرّة عبد أو وليدة، و قضى بدية المرأة على عاقلتها و ورثها ولدها و من معهم، فقال حمل بن النابغة الهذلي: يا رسول الله كيف أغرم دية من لا شرب و لا أكل، و لا نطق و لا استهل، فمثل ذلك يطل\*، فقال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- إنّما هذا من إخوان الكهّان من أجل سجعه الذي سجع"<sup>(1)</sup>؛ و في رواية أخرى قال -صلى الله عليه و سلم- "أسجع الجاهلية و كهانتها؟ أدّ في الصبي غرّة"<sup>(2)</sup>.

غير أنّ ابن الأثير يرى أنّ هذا الحديث لا يتضمّن التّهي عن السجع نفسه، و إنّما كان النهي عن حُكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع، يقول: "وإنّما المنهي عنه هو الحُكم المتبوع في قول الكاهن، فقال

(2) أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، ت: عبد الحميد هندراوي، م1، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003. ص237.

\* حسب فهمنا لهذا القول فإنّ الرقاشي يستعمل لفظ "الموزون" للدلالة على النثر المسجوع و الشعر معا.

(3) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان و التبیین، ت: درويش جويدي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 2003. ص175.

\* يطل: لا تُدفع ديبته.

(1) أبو داود: صحيح سنن المصطفى، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، دت. ص256.

\* الغرّة: قال أبو داود، قال ربيعة: الغرّة خمسون ديناراً/ المرجع السابق. ص257

(2) المرجع السابق. ص256.

## الفصل الأول: السجع

رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: أسجعا كسجع الكهّان، أي أحكما كحُكم الكهّان، و إلاّ فالسجع الذي أتى به ذلك الرجل لا بأس به"<sup>(3)</sup>.

و هو ما ذهب إليه أبو هلال العسكري، إذ علّل الاستنكار بما عُرف في سجع الكهّان من التكلف فيقول: "و لو كرهه -عليه الصلاة و السلام- لكونه سجعا لقال: أسجعا ثم سكت، و كيف يذمه و يكرهه و إذا سلم من التكلف و برئ من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه"<sup>(4)</sup>.

أمّا الجاحظ، فيرى أنّ النهي عن سجع الكهّان وقع "لِقرب عهدهم بالجاهلية، و لبقيتها فيهم و في صدور كثير منهم، فلمّا زالت العلة زال التحريم، و قد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلم ينهوا منهم أحدا"<sup>(5)</sup>.

فهو بذلك يدافع عن السجع و يرى بأنّه من خصائص لغة العرب، و إنّما كان الذي كرهه الأسجاع بعينها "أنّ كهّان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم، و كانوا يدعون الكهانة و أنّ مع كل واحد منهم رثيا من الجن مثل حازي جهينة، و مثل شقّ و سطيح و عزى سلمة و أشباههم، و كانوا يتكهنون و يحكمون بالأسجاع"<sup>(6)</sup>؛ مما سبق من كلام الجاحظ يمكن أن نستخلص ثلاث حقائق هي:

- أنّ السجع عنصر كريم في بلاغة العرب.
- أنّ الذين كرهوا السجع من أهل القرن الأول و الثاني إنّما كرهوه لأنه يذكر بأساليب الكهّان.
- أنّ جمهور الخطباء و القصّاص و الوعاظ كان يسجع، و لم ينكر الخلفاء على أحد منهم أن يتكلم بين أيديهم بكلام مسجوع.

و هذا الصنف من الكهّان أرفع سائر أصنافهم كما يقول ابن خلدون، و ذلك "لأنّ معنى السجع أخفّ من سائر المغيبات من المرثيات و المسموعات، و تدلّ حقّة المعنى على قرب ذلك الاتصال و الإدراك و البعد فيه عن العجز بعض الشيء"<sup>(1)</sup>؛ أي أنّ الكهّان كانوا يروّجون الأباطيل بأسجاع تروق السامعين، فيستملون بها القلوب، و يخدعون بها السائلين؛ يقول الإبراهيمي: "...اصطنع الكهّان السجع ليروّقوا السامع و يروّعوه، و ليسهل على الناس فيحفظوه و يعوه، و لهم في حوك الكلام مقامات حسان،

(3) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ج 1. ص 275.

(4) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ت: مفيد قميحة، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989. ص 286.

(5) الجاحظ: البيان و التبيين. ج 1. ص 177.

(6) المرجع السابق، ج 1. ص 176 - 177.

(1) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ت: حامد أحمد الطاهر، ط 1، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2004. ص 137.

## الفصل الأول: السجع

أخذ منها ابن دريد و الحمداني تلك المقامات الحسان، سبقوا في السجع فما سبقهم إلا الحمائم، و أخذوه طبعاً فما لحقهم فيه صنعا إلا بعض ذوي العمائم<sup>(2)</sup>.

لقد سبق (الكهّان) إلى النطق بالسجع، حتى غلب على كلامهم، واختص بهم، كما اختص الشعر بالشعراء، فعرف لذلك بـ (سجع الكهّان)؛ وقد كان الكهّان حكّاماً كذلك، يفصلون في الخصومات بين الناس، يأتي إليهم المتخاصمون، وبعد أن يؤكّدوا لهم رضاهم وقناعتهم بحكمهم، يحكمون بينهم فيما يرونه. و ينسب الناس إلى الكهّان إدراك الغيب برئي يأتي إليهم فيلقي لهم بما يراه ويعلمهم من المغيبات عمّا يسألون، ولذلك ورد: أنّ الكهانة هي ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع، و ورد: الكاهن: القاضي بالغيب، وكلّ من أدلّ بشيء قبل وقوعه<sup>(3)</sup>.

و يفهم من روايات أهل الأخبار ومن كتب الحديث والموارد الأخرى، أنّ الكهانة كانت شائعة في الناس، فكانوا يقصدونهم في كلّ شيء لاستشارتهم ولأخذ برأيهم وللفضل في الخصومات والنزعات، إلى أن حرّمها الإسلام، و قد أشار الكاتب إلى ذلك في قوله: "فلما جاء 'محمد' بالحق، فاء الناس إلى ضمائرهم، و حكّموا هديه في سرائرهم، وردّوا الغيب إلى عامله فاستراحوا؛.." <sup>(4)</sup>.

و نجد في القرآن الكريم آيات تنفي الكهانة عن الرسول -صلى الله عليه و سلم- منها قوله تعالى: (فَدَكَّرَ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ) [سورة: الطور - الآية: 29]، و قوله عزّ و جل: (وَلَا يَقُولِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ) [سورة: الحاقة - الآية: 42]؛ فقد زعموا أنّه كاهن، وزعموا أنّه مجنون، فؤجّحوا لزعمهم هذا، وقيل لهم إنّ محمداً ليس بكاهن فتقولوا هو من سجع الكهّان.

"و في اتّهامهم الرسول بأنّه كاهن، وبأنّ القرآن هو من سجع الكهّان، دلالة على وجود السجع عند الجاهليين، وأنّه كان من نمط الكلام الذي اختصوا به. فلا مجال إذن للشك في وجود السجع عندهم، وإن كنّا نشكّ في صحة نصوص السجع المنسوب إليهم<sup>(1)</sup>.

كما نجد في بطون الكتب أمثلة من سجع الكهان، وهو يستحقّ الدرس والبحث، لتحليل عناصره، وبيان صدقه من كذبه، وصحيحه من فاسده؛ وفي بعضه مثل ما نسب إلى (زبراء الكاهنة)، محاكاة لأسلوب السور القصيرة من القرآن الكريم، فهاهي -زبراء- تنذر (بني رثام)، عن أبناء ستقع، فتقول: "واللوح الحافق والليل الغاسق، والصبح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوادق، إنّ شجر الوادي ليأدو ختلا، ويحرق أنياباً عُصلا، وإنّ صخر الطود لينذر ثكلا، لا تجدون معه معلا، فوافقت قوماً أشارى

(2) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص519.

(3) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص740.

(4) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص519.

(1) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8. ص741.

## الفصل الأول: السجع

سكاري، فقالوا: ريح خجوج، بعيدة ما بين الفروج، أنت زبراق بالأبلق النتوج. فقالت زبراء: مهلاً يا بني الأعزة، والله إني لأشم ذفر الرجال تحت الحديد، فقال لها فتى منهم يقال له هذيل بن منقذ: يا خذاق، والله ما تشمين إلا ذفر إبطيك، فانصرفت عنهم وارتاب قوم من ذوي أسنانهم، فانصرف منهم أربعون رجلاً وبقي ثلاثون فرقدوا في مشربهم، وطرقتهم بنو داهن و بنو ناعم فقتلوهم أجمعين" (2).

و الملاحظ أنّ في القرآن الكريم قسم بالسماء، و النجوم وبالعاديات، وبالتين والزيتون، و بغير ذلك، ذهب المفسرون في سبب القسم بها مذاهب، ففسروا وتأولوا، وهو بالإضافة إلى ذلك أسلوب من أساليب العرب في القسم قبل الإسلام، فالقرآن إنما نزل بلسان العرب، لذلك خاطبهم بلغتهم و على قدر عقولهم. "وهذا كاهن بني أسد (عوف بن ربيعة)، يأتيه (رئيه)، فيتكهن لقومه قائلاً: (يا عبادي قالوا: لبيك ربنا، قال: من الملك الأصهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأثما الربرب، لا يعلق رأسه الصخب، هذا دمه ينثعب، وهذا غداً أول من يسلب، قالوا: من هو يا ربنا؟ قال: لولا أن تجيش نفس جاشية، لأخبرتكم أنّه حجر ضاحية. فركبوا كلّ صعب و ذلول فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر فهجموا على قبته). وهذا (خنافر بن التوءم) الحصري الكاهن، وكان قد أوتي بسطة في الجسم، وسعة في المال، وكان عاتياً، يأتيه (رئيه) بعد غيبة طويلة، فيقول: (خنافر) فيجيبه: (شصار)؟ فقال: 'اسمع أقل'، قال خنافر: قل اسمع، فقال: عه تغنم، لكلّ مدة نهاية، وكل ذي أمد إلى غاية. قال خنافر: أجل، فقال: كلّ دولة إلى أجل، ثم يتاح لها حول، انتسخت النحل، ورجعت إلى حقائقها الملل، إنك سحير موصول، و النصح لك مبذول، وإني آنست بأرض الشام، نفرا من آل العذام، حكاماً على الحكام، يذبرون ذا رونق من الكلام، ليس بالشعر المؤلف، ولا السجع المتكلف، فأصغيت فزجرت، فعاودت فظلفت، فقلت بم تهمنون، وإلام تعترون؟ قالوا: خطاب كبار، جاء من عند الملك الجبار، فاسمع يا شصار، عن أصدق الأخبار، واسلك أوضح الآثار، تنج من أوار النار، فقلت: وما هذا الكلام؟ فقالوا: فرقان بين الكفر و الإيمان، رسول من مضر، من أهل المدر، ابثعث فظهر، فجاء بقول قد بهر، وأوضح نهماً قد دثر، فيه مواعظ لمن اعتبر، ومعاذ لمن ازدجر، ألفت بالآي الكبر، قلت: ومن هذا المبعوث من مضر؟ قال: أحمد خير البشر، فإن آمنت أعطيت الشر، وإن خالفت أصليت سقر، فأمنت يا خنافر، وأقبلت إليك أبادر، فجانب كل كافر، و شابع كل مؤمن طاهر، و إلاّ فهو الفراق، لا عن تلاق، قلت: من أين أبغي هذا الدين؟ قال: من ذات الآحرين، والنفر اليمانيين، أهل الماء والطين، قلت: أوضح، قال: لحق بيثرب ذات النخل، والحرّة ذات النعل، فهناك أهل الطول والفضل، والمواساة والبذل، ثم أملس عتي، فبت مذعوراً أراعي الصباح، فلما برق لي النور امتطيت راحلتي، وآذنت أعبدي، واحتملت بأهلي حتى وردت الجوف، فرددت الإبل على أربابها

(2) المرجع السابق. ص742.

## الفصل الأول: السجع

بحولها وسقايها، وأقبلت أريد صنعاء، فأصبت بها معاذ بن جبل أميراً لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، فبايعته على الإسلام وعلمني سوراً من القرآن، فمن الله عليّ بالهدى بعد الضلالة، والعلم بعد الجهالة. وهكذا أسلم على حدّ قول أهل الأخبار والفضل يعود في ذلك إلى (رئيّه) (شصار) الذي أسلم قبله، وهو من الجنّ، والجنّ مثل البشر، منذ ظهر الإسلام بين مسلم وكافر. ولما أسلم (حنافر)، قال شعراً يحمّد الله فيه على أن من عليه بالإسلام، ويذكر (رئيّه) (شصار) بالخير، إذ لولاه لكان في نار جهنّم" (1).

لقد أمت الإسلام (الكهانة)، فقد اجتثها وحاربها، وحثّ على نبذ سجع الكهّان و أساليب الكهّان في الملابس، فكان منهم من قاوم، ثم انخدل، بدخول قومه في دين الله، فدخل معهم فيه؛ قال الأزهري: "و كانت الكهانة في العرب قبل مبعث سيدنا رسول الله -صلى الله عليه و سلم- فلما بُعث نبيا و حُرست السماء بالشهب و مُنعت الجن و الشياطين من استراق السمع و إلقائه إلى الكهنة، بطل علم الكهانة، و أزهد الله أباطيل الكهّان بالفرقان الذي فرّق الله عزّ وجل به بين الحق و الباطل، و أطلع الله سبحانه نبيه -صلى الله عليه وسلم- بالوحي على ما شاء من علم الغيوب التي عجزت الكهنة عن الإحاطة به، فلا كهانة اليوم بحمد الله و منه و إغنائه بالتنزيل عنها" (2). وفي كتب أهل الأخبار قصص على نمط قصة إسلام (حنافر)، وكلام دار بينهم وبين (رئيهم)، دوّنه أهل الأخبار بشكل يدعو الباحث المحقق إلى القول "وكأنهم كانوا كتّاب ضبط محضر جلسات أمروا بتدوين كل محضر ساعة وقوعه" (1).

إنّ "السجع الكهّان طريقة خاصة به، ميّزته عن سجع غيرهم، فهو قصير الفقرات، يلتزم التقفية و تساوي الفواصل من كل فقرتين أو أكثر، يعتمد إلى الألفاظ العامة المبهمة المعماة، و إلى تكوين الجمل الغامضة ليتمكن تأويلها تأويلات متعددة، و تفسيرها بتفاسير كثيرة لا تلزم الكاهن فيقع في حرج... أما السجع المنسوب إلى الخطباء، فقره أطول، و كلمه أوضح، طويل النفس، متحرر نوعا ما من قيود سجع الكهّان، بين الفقر تطابق في الطول، و في فقره بيان مشرق، فواصله كفواصل الشعر من دون وزن، جهد صاحبه أن يجعل الفواصل واضحة صافية، ذات مقاطع مستقلة في الغالب بمعناها، و ينتهي الكلام بانتهائها من غير التزام قافية، و قد يكون مرسلا خالصا من تساوي الجمل و التزام القافية، فهو بين سجع و ازدواج و ترسل، و قد يكون مزدوجا، فهو سجع خفيف مقبول" (2).

الفرق، إذن، بين السجع و سجع الكهّان يكمن في أنّ هذا اللون من السجع الممقوت يتوارى من خلفه المعنى، و تفتقد قيمته بين بهرج الصنعة، إذ يعتمد أصحابه إلى خداع الناس و تضليلهم؛ في المقابل

(1) المرجع السابق. ص 742-744.

(2) ابن منظور: لسان العرب، م13، ط3، دار صادر، بيروت، 1994. ص363.

(1) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص744.

(2) المرجع السابق، ج8. ص745.

## الفصل الأول: السجع

نجد أن السجع المنسوب إلى جمهور الخطباء يعدّ عنصراً كريماً في البلاغة العربية حيث يزيد الكلام رونقاً بما فيه من إيقاع وجمال الفكرة.

لعلّ هذا ما يفسّر تسمية الإبراهيمي مقالاته بـ"سجع الكهّان"، فالكاتب أراد أن يجلب أسماع الحكومات و الشعوب العربية و يلفت انتباههم إلى حسن الديباجة تارة، و إلى مواقفهم الذليلة تارة أخرى، متتبعا في ذلك طريقة الكهّان من حيث استخدام السجع القصير، و الألفاظ المبهمة، إلى غير ذلك مما سنشير إليه لاحقا في حديثنا عن سبب نهجه لهذا الأسلوب.

لقد اتهم ابن الأثير خصوم السجع بالعجز عن الإتيان بمثله، و لو كان السجع مذموماً لما ورد في القرآن الكريم، يقول: "وقد ذمّه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، و لا أرى لذلك وجهها سوى عجزهم أن يأتوا به، و إلاّ فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم، فإنّه قد أتى منه بالكثير، حتى أنّه ليؤتى بالسورة جميعاً مسجوعة، كسورة الرحمن، و سورة القمر، و غيرها. و بالجملة فلم تخل منه سورة من السور"<sup>(3)</sup>. ثم سرد ابن الأثير أمثلة من الآيات المسجوعة و انتقل إلى الحديث الشريف فذكر شواهد من سجع الرسول -صلى الله عليه و سلم-.

أشار ابن الأثير في حديثه السابق إلى قضية أخرى كانت محلّ جدل و نقاش بين العلماء في ذلك العصر وهي إثبات أو نفي وجود السجع في القرآن الكريم!؛

فالباقلائي يعارض ابن الأثير و من ذهب مذهبه، و يرى أنّ "الذي يزعمونه غير صحيح، و لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، و لو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز. و لو جاز أن يقولوا: هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز. و كيف و السجع مما كان يألفه الكهّان من العرب، و نفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأنّ الكهانة تنافي النبوات، و ليس كذلك الشعر"<sup>(1)</sup>.

و يرى الباقلائي أنّه يمكن التعبير عن هذا اللون في القرآن بمسميات أخرى، "فربما كان ذلك يسمّى قافية، و ذلك إنّما يكون في الشعر، وربّما كان ما ينفصل عنده الكلامان مقاطع السجع، وربما سمي ذلك فواصل، و فواصل القرآن مما هو مختص بها لا شركة بينه و بين سائر الكلام فيها، و لا تناسب"<sup>(2)</sup>؛ ثم يعرف الفواصل مفرّقا بينها و بين الأسجاع تارة، و بينها و بين القوافي تارة أخرى فيقول: "و أمّا الفواصل فهي حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني، و فيها بلاغة. و الأسجاع عيب، لأنّ

(3) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ج. 1. ص 271.

(1) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي: إعجاز القرآن، ت: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، 1964. ص 57-58.

(2) المرجع السابق. ص 61.

## الفصل الأول: السجع

السجع يتبعه المعنى، و الفواصل تابعة للمعاني،... ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة، كما قد تقع على حروف متقاربة؛ و لا تحمل القوافي ما تحمل الفواصل؛ لأنها ليست في الطبقة العليا في البلاغة، لأنّ الكلام يحسن فيها بمجانسة القوافي و إقامة الوزن<sup>(3)</sup>.

كما فرّق بعضهم بين الفواصل و رؤوس الآي، و هو ما فعله الإمام أبو عمرو الداني حيث قال: "أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، و الكلام المنفصل قد يكون رأس آية و غير رأس، و كذلك الفواصل يكتن رؤوس آي و غيرها، و كل رأس آية فاصلة، و ليس كل فاصلة رأس آية؛ فالفاصلة تعمّ النوعين، و تجمع الضريين"<sup>(4)</sup>.

أما الزركشي، فيرى أنّ الفاصلة "تقع عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها؛ و هي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام. و تسمّى فواصل لأنّه ينفصل عندها الكلامان، و ذلك أنّ آخر الآية فصل بينها و بين ما بعدها، و لم يسمّوها أسجاعاً. فأما مناسبة فواصل، فلقوله تعالى: (كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [سورة: فصلت - الآية: 3]. و أمّا تجنب أسجاع، فلأنّ أصله من سَجَع الطير، فشُرّف القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظٌ هو أصلٌ في صوت الطائر، و لأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام آحاد الناس، و لأنّ القرآن من صفات الله عز و جلّ فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها و إن صحّ المعنى"<sup>(1)</sup>.

إلا أنّ ابن سنان الخفاجي قد فصل في هذه المسألة فقال: "و أمّا الفواصل التي في القرآن فإنّهم سمّوها فواصل و لم يسمّوها أسجاعاً و فرّقوا فقالوا: إنّ السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، و الفواصل التي تتبع المعاني و لا تكون مقصودة في أنفسها، و قال علي بن عيسى الرماني: إنّ الفواصل بلاغة، و السجع عيب، و علّل ذلك بما ذكرناه من أنّ السجع يتبعه المعاني و الفواصل تتبع المعاني، و هذا غير صحيح، و الذي يجب أن يحزّر في ذلك أن يقال: إنّ الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول على ما ذكرناه، و الفواصل على ضربين: ضرب يكون سجعا و هو ما تماثلت حروفه في المقاطع، و ضرب لا يكون سجعا و هو ما تقابلت حروفه في المقاطع و لم تتماثل... و لا يخلو كل واحد من هذين القسمين أعني المتماثل و المتقارب من أن يكون يأتي طوعاً سهلاً و تابعا للمعاني، و بالضد من ذلك حتى يكون

(3) المرجع السابق. ص 270 - 271.

(4) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت. ص

53-54.

(1) المرجع السابق. ص54.

## الفصل الأول: السجع

متكلفا تتبعه المعاني، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة و حسن البيان، و إن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض<sup>(2)</sup>.

و يصنّف الخفاجي القرآن ضمن القسم الأول المحمود لعلوه في الفصاحة، و يضرب أمثلة عن فواصل القرآن سواء أكانت متماثلة أو متقاربة، فما كان منها متماثلا كقوله تعالى: (وَاطَّورِ # وَكِتَابِ مَسْطُورِ # فِي رَقِّ مَنَشُورِ # وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ #) [سورة: الطور - الآية: 1، 2، 3، 4]؛ فيجوز تسميته سجعا، لأن فيه معنى السجع و لا مانع في الشرع يمنع ذلك، و أمّا إن كانت فواصله متقاربة كقوله تعالى: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ # مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [سورة: الفاتحة - الآية: 3، 4]. فهذا لا يسمّى سجعا.<sup>(3)</sup> و سواء أكان التكلّف في الفواصل أو الأسجاع فهو عيب في نظره.

كما يرى الخفاجي أنّ "الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل و لم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبتهم في تنزيه القرآن عن الواصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة و غيرهم، فأما الحقيقة فما ذكرناه، لأنّه لا فرق بين مشاركة القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعا و بين مشاركة جميعه في كونه عرضا و صوتا و حروفا و كلاما و عربيا و مؤلفا... و لا فرق بين الفواصل التي تماثلت حروفها في المقاطع و بين السجع. فإن قال قائل: إذا كان عندكم أنّ السجع محمود، فهلاّ ورد القرآن كلّ مسجوعا؟ قيل: إنّ القرآن أنزل بلغة العرب و على عرفهم و عاداتهم و كان الفصيح من كلامهم لا يكون كلّ مسجوعا لما في ذلك من أمارات التكلّف و الاستكراه و التصنع، سيما فيما يطول من الكلام، فلم يرد مسجوعا جريا به على عرفهم في الطبقة العليا من كلامهم"<sup>(1)</sup>.

و هو ما ذهب إليه حازم القرطاجني إذ يقول: "و كيف يعاب السجع على الإطلاق؟ و إنّما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب، فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلام العرب، إنّما لم يجيء على أسلوب واحد لأنّه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد لما فيه من التكلّف، و لما في الطبع من الملل عليه، و لأنّ الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد، فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع، و بعضها غير متماثل"<sup>(2)</sup>.

و خلاصة القول " أن أكثر البلاغيين يسمّون هذا الفن سجعا، و هو فن أصيل عُرف في الجاهلية و صدر الإسلام و شاع و انتشر في العصر العباسي أيّما انتشار، و أسرف بعضهم فيه، و لذلك نزه

(2) ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ت: النبوي عبد الواحد شعلان، دار قباء، القاهرة، 2003، ص 254.

(3) المرجع السابق، ص 256.

(1) المرجع السابق، ص 256.

(2) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 60.

## الفصل الأول: السجع

الأشعرية كتاب الله من هذا الفن البديعي الذي أصبح من المحسنات اللفظية عند المتأخرين، و سمّوا نهاية الآيات فواصل، و هي تسمية دقيقة من أجل أن يكون هناك فرق بين سجع البشر و آيات الله العزيز<sup>(3)</sup>. إنّ الأصل في السجع الاعتدال في مقاطع الكلام، و هو ما أجمع عليه أهل البلاغة و النقد، و الاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، و النفس تميل إليه بالطبع؛ و ليس الوقوف عند الاعتدال فقط، و لا عند تواطؤ الفواصل هو المراد من السجع في نظر ابن الأثير، بل ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حارة، طنّانة رنانة، لا غثّة و لا باردة، و أعني بقولي: غثّة باردة، أنّ صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة و ما يشترط لها من الحسن، و لا إلى تركيبها و ما يشترط له من الحسن، و هو في الذي يأتي به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش أثوابا من الكُرسف [القطن]، أو ينظم عقدا من الحزف الملون<sup>(4)</sup>.

إنّ شرط الحسن في الألفاظ المسجوعة و في تركيبها يتحقق إذا كانت تلك الألفاظ مما يتعارفه الناس في استعمالهم و يتداولونه في زمانهم، و لا يكون وحشيا غريبا، و أن يكون لتأليفها في السمع حسن و مزية على غيرها، و هي -فضلا عن ذلك- متى وضعت في تركيب معين ألّفت ضربا خاصا من التأليف، فلا يكون في الكلام أحسن منه.

و شرط السجع الحسن أن يكون اللفظ تابعا للمعنى، فإنّك لا تجد -على حد تعبير عبد القاهر الجرجاني- "تجنيسا مقبولا، و لا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه و استدعاه و ساق نحوه، و حتى تجده لا تبتغي به بدلا، و لا تجد عنه حولا"<sup>(1)</sup>.

كما أنّ للسجع سرّ بيّنه ابن الأثير بقوله: "و اعلم أنّ للسجع سرّا هو خلاصته المطلوبة، فإن عُرّي الكلام المسجوع منه فلا يعتد به أصلا، و هذا الشيء لم ينبّه عليه أحد غيري... و الذي أقوله في ذلك هو أن تكون كلّ واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها، فإن كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه، لأنّ التطويل إنّما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها. و إذا وردت سجعتان تدلان على معنى واحد كانت إحداها كافية في الدلالة عليه، و جلّ كلام الناس المسجوع جار عليه"<sup>(2)</sup>.

(3) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2000. ص 314.

(4) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ج 1. ص 276.

(1) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ط 1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2004. ص 14.

(2) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ج 1. ص 278.

## الفصل الأول: السجع

لقد استطاع ابن الأثير من خلال نظريته هذه أن يضع مقياساً نستطيع من خلاله معرفة الحسن أو القبيح من الأسجاع، و نجد بعد تصفحه للكثير منها - الأسجاع - يضع لنا أربعة شروط ينبغي مراعاتها وهي:

1/ اختيار مفردات الألفاظ على الوجه الصحيح، و ذلك بمراعاة شروط حسنها.

2/ اختيار التركيب الحسن.

3/ أن يكون اللفظ تابعا للمعنى لا المعنى تابعا للفظ.

4/ أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير الذي دلّت عليه أختها.

و يمكن أن يضاف إلى هذه الشروط ما أشار إليه ابن سنان الخفاجي، إذ جعل المحمود من الأسجاع ما أتى طوعاً و سهلاً دون تكلف؛ أو كما قال ابن الأثير "...و أما إذا كان محمولاً على الطبع غير متكلف فإنه يجيء في غاية الحسن، و هو أعلى درجات الكلام، و إذا تهيأ للكاتب أن يأتي به في كتابته كلها على هذه الشريطة فإنه يكون قد ملك رقاب الكلم، يستعبد كرائمها، و يستولد عقائمها، و في مثل ذلك فليتنافس، و عن مقامه فليتقاعس، و لصاحبه أولى بقول أبي الطيب المتنبي:

أنت الوحيد إذا ركبت طريقةً و من الرديف و قد ركبت غصنفاً"<sup>(3)</sup>

فإذا خالف السجع هذه الشروط عدّ تطويلاً "كقول الصابي: 'الحمد لله الذي لا تدركه الأعين بأحظها، و لا تحده الألسن بألفاظها، و لا تخلقه العصور بمرورها، و لا تهرمه الدهور بمرورها، ثم انتهى إلى الصلاة على النبي عليه السلام فقال: لم ير للكفر أثراً إلا طمسه و محاه، و لا رسماً إلا أزاله و عفاه؛ إذ لا فرق بين مرور العصور و مرور الدهور، و كذلك لا فرق بين محو الأثر و عفاء الرسم"<sup>(1)</sup>.

## 2/ أقسام السجع

قسّم ابن الأثير السجع حسب درجة اعتداله في الكلام إلى ثلاثة أقسام:

- الأول: أن يكون الفصلان متساويين لا يزيد أحدهما عن الآخر، كقوله تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ # وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) [سورة: الضحى - الآية: 9، 10]، ويرى أنّ هذا القسم هو أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه.

- الثاني: أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول، لكن يشترط في هذا الأول أن لا يخرج به عن الاعتدال و إلاّ عدّ عيباً، كقوله تعالى: (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا # إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ

(3) المرجع السابق. ص 277.

(1) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ت: عبد الرحمن البرقوقي، ط2، دار الفكر العربي، دت. ص 398.

## الفصل الأول: السجع

بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا# وَ إِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ تَبُورًا [سورة: الفرقان - الآية: 11، 12، 13].

- الثالث: أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول، و هو عنده عيب فاحش، و سبب ذلك أن السجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله، ثم يجيء الثاني قصيرا عن الأول، فيكون كالشيء المبتور، إذ يبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها<sup>(2)</sup>.

ثم قسّمه من حيث الطول و القصر إلى ضربين:

- أحدهما يسمّى السجع القصير، " و هو أن تكون كلّ واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة"<sup>(3)</sup>. فهو يجعل قلة الألفاظ شرطا لحسن هذا النوع من الأسجاع و ذلك لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع، و يرى أن هذا الضرب أوعر السجع مذهبا و أبعد من تناولها، و لا يكاد استعماله يقع إلا نادرا. و هو ما ذهب إليه (العلوي) أيضا، إذ رأى أن السجع القصير أحسن و "أوعر مسلكا، و أصعبها مدركا، و أحقّها على القلب و أطيبها على السمع، لأنّ الألفاظ إذا كانت قليلة فهي أحسن و أرق، لأنّها إذا كانت أطرافها متقاربة لذت على الآذان لقرب فواصلها و لين معاطفها"<sup>(1)</sup>؛ أمّا الآخر فيسمّيه السجع الطويل، و هو ضدّ الأول و أسهل منه تناولاً.

بل يذهب ابن الأثير إلى أبعد من ذلك عندما حصر السجع القصير فيما دون العشرة ألفاظ، و ما زاد عنها فهو من الطويل.

كما أضاف (القزويني) قسما ثالثا سماه "السجع المتوسط"<sup>(2)</sup> كقوله تعالى: (اقتربت الساعة وانشق القمر# وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ) [سورة: القمر - الآية: 1، 2].

أمّا المتأخرون فقد قسّموا السجع إلى عدّة أقسام بعده غير مختص بالنثر، و إنّما يمكن أن يلتبس في الشعر أيضا؛ من ذلك ما أحصاه أحمد مطلوب في معجمه (معجم المصطلحات البلاغية و تطورها)، إذ وجد أن هناك ثمانية أنواع من التسجيع هي: الحالي، العاطل، المرصع، المشطر، المطرف، المتماثل، المتوازن، المتوازي؛ لكنّه عدّ تقسيم ابن الأثير "أكثر وضوحا و أقرب إلى روح الفن"<sup>(3)</sup>.

(2) المرجع السابق. ص333.

(3) المرجع السابق. ص335.

(1) يحيى بن حمزة العلوي: كتاب الطراز، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ص23.

(2) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، ج4، ط3، دار الجيل، بيروت، 1993.

ص109.

\* القزويني، ابن شيث القرشي، الكلاعي، الرازي، السيوطي... إلخ.

(3) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها. ص313.

## الفصل الأول: السجع

فالتسجيع الحالي هو كل كلمتين جاءتا في الكلام المنشور على زنة واحدة، و قد سمّي بهذا الاسم لأنه "حُلِّي بحسن العبارة و لطف الإشارة و بدائع التمثيل و الاستعارة"<sup>(4)</sup>. و أمّا التسجيع العاطل فهو الكلام الذي لا يحفل بالسجع إلا في المواضع القليلة، و يكون ذلك بأن تقابل اللفظة أختها و لا تجمع بينهما القافية، و عليه فإنّ المراد بالسجع في هذا النوع هو الاستواء و الاستقامة و الاعتناء بحصول المعنى إلى المخاطب، دون الالتفات إلى تناسب فواصله و تشابه أواخره.

و يكون التسجيع متماثلاً إذا تساوت الفاصلتان في الوزن دون التقفية، و كان في القرينة ( الفقرة) الأولى من الألفاظ ما يقابلها في الثانية من حيث الوزن، كقوله تعالى: (وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ# وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [سورة: الصافات - الآية: 117، 118]. فكللمات هذه الآية متقابلة من حيث الوزن كالاتي:

أتيناها ← هديناها  
الكتاب ← الصراط  
المستبين ← المستقيم

و يُدرج ابن الأثير هذا التسجيع ضمن (الموازنة) و يرى أنّ "هذا النوع من الكلام أخو السجع في المعادلة دون المماثلة، لأنّ في السجع اعتدالا و زيادة على الاعتدال، و هي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد"<sup>(1)</sup>.

أمّا التسجيع المتوازن فيتمثل في اتفاق اللفظان في عدد الحروف و لا يتفقا في الحرف الأخير، و هو ما قاله (الرازي) و يمثل ذلك عرّفه (السيوطي) أيضا، و مثاله قوله تعالى: (وَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ# وَزَرَابِي مَبْثُوثَةٌ) [سورة: الغاشية - الآية: 15، 16].

فكلمتي ( مصفوفة - مَبْثُوثَةٌ) متساويتين من حيث العدد، مختلفتين من حيث الحرف الأخير من القافية؛ إذ لا عبرة ببناء التأنيث لما هو معروف من علم القوافي<sup>(2)</sup>.

و يعرف هذا النوع عند (القزويني) بـ"الموازنة"، و يجعلها من المحسنات اللفظية فيقول: "و هي أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية"<sup>(3)</sup>، ثم أورد الآيتين السابقتين.

بالإضافة إلى ذلك نجد التسجيع المتوازي "و هو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن و الروي"<sup>(4)</sup>، كقوله تعالى: (فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ# وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ) [سورة: الغاشية - الآية: 13، 14]. و

(4) المرجع السابق. ص314.

(1) ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ج.1. ص378.

(2) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني: التلخيص في علوم البلاغة. ص404.

(3) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص112.

## الفصل الأول: السجع

إذا وُجد هذا اللون في الشعر سُمِّي (تصريعا)، و هو عند (القزويني) "جعل العروض مقفاة تقفية الضرب"<sup>(5)</sup>.

و هناك من التسجيع ما يعتمد على مقابلة كلِّ لفظة بلفظة على وزنها و رويها، كقوله تعالى: (إِنَّ الْأُبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) [سورة: الانفطار - الآية: 13، 14].  
و سُمِّي هذا اللون بـ'التسجيع المرصع'!

لكنَّ ابن الأثير يرى أنَّ هذا النوع لا يوجد في القرآن الكريم، و ردَّ على من استدلَّ بالآيتين السابقتين بقوله: "...فليس الأمر كما وقع له، فإن لفظة (لفي) قد وردت في الفقرتين معا، و هذا يخالف شرط الترصيع الذي شرطناه، و لكنّه قريب منه"<sup>(6)</sup>. ثم ضرب لنا مثلا بقول الحريري: (فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه)؛ فمن خلال هذا المثال يتضح لنا أنَّ كل ألفاظ الفقرة الأولى مساوية لألفاظ الفقرة الثانية وزنا و قافية كالآتي:

يطبع ← يقرع  
الأسجاع ← الأسماع  
بجواهر ← بزواجر  
لفظه ← وعظه

و على غرار ابن الأثير فإنَّ هذا النوع يعرف عند (القزويني) و (أبي هلال العسكري) بـ(الترصيع)، و هو عند هذا الأخير "أن يكون حشو البيت مسجوعا..."<sup>(1)</sup>.

كما يأتي التسجيع مشطرا، و ذلك بأن يكون لكلِّ نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الأخير<sup>(2)</sup>، و يسمّيه القزويني (التشطير)، أي "جعل لكلِّ من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها"<sup>(3)</sup> كقول أبي تمام:

تدبير معتصم، بالله منتقم      لله مرتقب، في الله مرتقب

(4) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها. ص 315.

(5) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 111.

(6) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ج 1. ص 361.

(1) أبو هلال العسكري: كتاب الصنائع. ص 416.

(2) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها. ص 315.

(3) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ص 402-403.

## الفصل الأول: السجع

و هذا التشطير يختلف عن الذي ذكره أبو هلال العسكري في كتاب (الصناعتين) و عزّفه بقوله: "و هو أن يتوازن المصراعان و الجزآن و تتعادل أقسامهما مع قيام كل واحد منهما بنفسه و استغنائه عن صاحبه"<sup>(4)</sup>. و يضرب لنا أمثلة عنه في النثر و الشعر على حدّ سواء.

أمّا النوع الأخير من التسجيع حسب تقسيم المتأخرين فقد وُسم ب(المطرّف)، ويقع حين يأتي المتكلم في أجزاء كلامه أو بعضها بأسجاع غير متزنة بزنة عروضية و لا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون رويّ الأسجاع رويّ القافية<sup>(5)</sup>، كقوله تعالى: (ما لكم لا ترجون لله وقاراً# وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً) [سورة: نوح - الآية: 13، 14].

كما يشير القزويني إلى أمر مهم، وهو ضرورة الوقوف عند الحرف الأخير من الفاصلة ساكناً، يقول: "و اعلم أنّ فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفا عليها، لأنّ الغرض أن يزوج بينهما، و لا يتم ذلك في كل صورة إلاّ بالوقف، ألا ترى أنّك لو وصلت قولهم (ما أبعد ما فات، و ما أقرب ما هو آت)، لم يكن بدّ من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب؛ فيفوت الغرض من السجع"<sup>(6)</sup>.

كانت هذه إذن أهمّ أنواع السجع، و قد اختلفت باختلاف رؤية كل ناقد قديماً و حديثاً.

### 3/السجع في الخطابات الأدبية المعاصرة:

إنّ المتلقي لا يزال مفتوناً بالصوت، يحركه و يشكّل استجابته، و هو في تأمله لقصيدة النثر أو الشعر الحر مثلاً، يتتبع نبض الإيقاع المكتوم حيناً و التطريب الحسي و الوجداني حيناً آخر؛ "فالشعر العربي الحديث، عامة، يفصح عن دفء غنائي دفين، يتجلّى في نزعة الشاعر العربي إلى استثمار الإيقاع و الاندفاع به إلى وديانه المرهفة، و قد لا يقف هذا الوله عند الإيقاع وحده بما له من رفيف سري هادئ، بل إنّ البعض ممن يكتبون القصيدة الحديثة بحسّ تقليدي، يتجاوزون ذلك إلى تفجير ضجة النغم و دبيبها المخدّر، مبتعدين عما تمنحه الزخافات و الكسرات العروضية، مثلاً، من ثراء و ترويض للصخب العروضي الراكض"<sup>(1)</sup>.

كما أنّ دوافع التلقي و محاولة التأثير في القارئ تدفع بالشاعر الحديث أحياناً إلى "فتح بعض الفجوات الغنائية في قصائده المركبة كما يتضح، بجلاء مؤثر، في بعض قصائد أدونيس و البياتي، التي تعتبر

(4) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين. ص463.

(5) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها. ص316.

(6) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص110.

(1) علي جعفر العلاق: الشعر و ضغوط التلقي، مجلة فصول، العدد الثاني، ج1، م15، القاهرة، 1996. ص160.

## الفصل الأول: السجع

التدوير أساسا إيقاعيا لها، حيث تلعب تلك النوافذ الغنائية عبر هاجسها الإيقاعي، و تقفيتها و نبرتها الذاتية، دورا واضحا في إثراء القصيدة و تنميتها"<sup>(2)</sup>.

و ربما كانت العناية بالمفتتح الشعري من أكثر مظاهر هذه الغنائية تجليا، فالسياب، مثلا، يستهل "أنشودة المطر"<sup>(3)</sup> على هذا النحو:

عينك غابتا نخيل ساعة السحر  
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر  
عينك حين تبسمان تورق الكروم  
و ترقص الأضواء.... كالأقمار في نهر  
يرجّه المجداف وهنا ساعة السحر  
كأنما تنبض في غوريهما، النجوم...

حاول الشاعر في هذه الأسطر أن يخلق إيقاعا لقصيدته، معتمدا على تسجيع أواخر التفعيلات، فالأسطر(الأول و الثاني)، و(الرابع و الخامس)، و(الثالث و السادس)، تشكل تسجيعا مطرفا أو ما يسمّى (التصريع) في الشعر، فلو جاز لنا إعادة كتابتها على شكل القصيدة العمودية لتحصلنا على الأبيات الآتية:

عينك غابتا نخيل ساعة السحر  
عينك حين تبسمان تورق الكروم  
كأنما تنبض في غوريهما، النجوم  
و ترقص الأضواء.... كالأقمار في نهر  
يرجّه المجداف وهنا ساعة السحر

و بذلك يتضح لنا أنّ السياب أراد أن يبحث عن إيقاع خاص، من خلال استخدام جديد للتفعيلة الخليلية، و وضعها ضمن سياق إيقاعي جديد، إذ يتوحد الإيقاع بالصورة في نسق شعري يتجه إلى البحث و التجربة عن لغته الجديدة.

أما بالنسبة إلى النشر، فقد أصبح السجع نادر الاستعمال من قبل الكتاب في العصر الحديث سواء أكان ذلك في الخطابة، أو الرواية أو القصة أو المقالة...، بل إنّ البعض يراه "قيدا يعطل حركة الفكر و العقل في كثير من الأحيان"<sup>(1)</sup>، و لعلّ ذلك راجع إلى أنّ هؤلاء رسخت في أذهانهم صورة السجع بعد

(2) المرجع السابق. ص162.

(3) بدر شاكر السياب: ديوان بدر شاكر السياب، م1، دار العودة، بيروت، 1971. ص474-481.

(1) زكي مبارك: النشر الفني في القرن الرابع، ج1، دار الجيل، بيروت، د.ت. ص121.

## الفصل الأول: السجع

القرن الرابع الهجري؛ فالقارئ حين يجاوز هذا القرن سيرى " أن لغة الرسائل و التأليف وقعت تحت نير من السجع الثقيل، حتى وجدنا السجع يلتزم في موضوعات بعيدة عن الأدب" (2).

إلا أن الأصل في السجع - كما أشرنا إلى ذلك سابقا- الاعتدال، و متى استقام و خلا من التكلّف كان آية في البلاغة و لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه كما صرّح بذلك أبو هلال العسكري و كثير من النقاد الأقدمين كقدامة بن جعفر، و ابن الأثير، و ابن أبي الحديد، هذا الأخير ردّ على من يرون السجع بابا من التكلّف بقوله: " فأما قولهم: إنّ السجع يدل على التكلّف، فإنّ المذموم هو التكلّف الذي تظهر سماجته و ثقله للسامعين، فأما التكلّف المستحسن فأى عيب فيه؟ ألا ترى أنّ الشّعْر نفسه لا بدّ فيه من تكلف إقامة الوزن، و ليس لطاعن أن يطعن فيه بذلك؟" (3).

و صفوة القول إنّه " إذا احتكمت في السجع إلى الأقدمين من علماء البلاغة، ثم إلى المحدثين من النقاد وجدت الأقدمين يستحسنونه بشروط، والمحدثين يرغبون عنه، ويزهدون فيه، و يتّهمون بالتكلّف و التصنّع كلّ من يزينون كلامهم به وبغيره من محسنات البديع من جناس و طباق و تورية، و ربّما أزروا به وبالمحسنات عامة كما فعل ميخائيل نعيمة في الغريال إذ شبّه هذا النمط من القول بنقيق الضفادع" (4).

إنّ السجع حلية أصلية في اللغة العربية، و الفصيح من العرب من لا يكون كلامه كلّهُ مسجوعا لما في ذلك من أمارات التكلّف و الاستكراه و التصنّع، و إنّما يجسّن-السجع- حين يوجب المعنى و الغرض، لكننا اليوم " في هذا العصر نهرب من السجع و المزاحجة\* عامدين، حتى في المواطن التي يفرض فيها المعنى أن نسجع أو نزواج، و ليس خطأنا في هذا بأقلّ من خطأ من يجنون على المعنى بالتزام السجع، و لكلّ عصر آفته: فالتأنّق المُعرب آفة، و التحرّر المسرف آفة، و الصواب أن تكون السيادة للمعنى، و أن يكون له السلطان المطلق في فرض ما توجهه الألوان النفسية من مختلف الصور و الأساليب" (1).

### 4/السجع في الخطاب الإبراهيمي:

عُرف الإبراهيمي ببيانه الجزل و أسلوبه المتين، و لعلّ ذلك مردّه إلى كثرة محفوظه من أشعار المتقدمين و المتأخرين، و حفظه للقرآن الكريم و الأحاديث النبوية في سنّ مبكرة مثلما أشرنا إلى ذلك في المدخل؛ و قد شهد له بهذه المنزلة كبار المفكرين و العلماء و الأدباء قديما و حديثا، فمحمد سعيد رمضان البوطي

(2) المرجع السابق. ص122.

(3) ابن أبي الحديد: شرح نوح البلاغة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2004. ص127.

(4) غازي مختار طليعات: أبداع السجع ما أمتع السمع، [www.gulflobby.com](http://www.gulflobby.com)

\* المزاحجة: ازدوج الكلام و تراوج: أشبه بعضه بعضا في السجع أو الوزن، أو كان لإحدى القضيتين تعلق بالأخرى، و التراوج: أن يزاوج بين معنيين في الشرط و الجزاء./أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها. ص309-310.

(1) زكي مبارك: النشر الفني في القرن الرابع. ص122.

## الفصل الأول: السجع

يقول بعد أن تحدّث عن إعجابه بالأفكار التي ينادي بها الإبراهيمي و القيم التي يدعو إليها: "... على أيّ لا أزال مأخوذاً بالبيان العربي الجزل لهذا العالم الثائر الجليل، و لعلّي لا أشرد إلى الغلو إن قلت: إنّها مزينة يعلو بها الشيخ الإبراهيمي على سائر علماء و مفكري عصره في الجزائر"<sup>(2)</sup>.

و لعل أبرز خاصية طبعت أسلوب هذا الأديب هي السجع، فهو ممن عرفوا به و أصبح من مميزات الواضحة سواء أكان ذلك عفو الخاطر أو مقصوداً، و هذا "أمر طبيعي بالقياس إلى أديب ينبغي أن يكون قد حفظ أطرافاً صالحة من نهج البلاغة، و متون المقامات و أحاديث الأعراب"<sup>(3)</sup>.

إنّ من أشهر الأعمال التي قصد فيها الإبراهيمي إلى السجع سلسلة المقالات التي كتبها تحت عنوان "سجع الكهّان"، فبالإضافة إلى كونها مسجوعة فإنّها لم تخل من الألفاظ الغريبة؛ لكنّ الكاتب كان يتحدّى معاصريه بأن يكون ما يكتب يدخل في النتائج ذي الألفاظ الغريبة، و كان يعتبر أنّ ما يراه الناس غريباً، ليس غريباً إلا على الغرباء عن العربية، و لو أحسنوا استعمال تلك الألفاظ و أقرّوها في مواضعها من كلامهم لتيسّر لهم فهمها، يقول: "و في هذه الفصول من لبوس الألفاظ ما يعدّه المتخلفون من كتّابنا غريباً، و ما غرابته في أذواقهم إلا كغرابة الأغلاق النفيسة في أسواقهم، و لو حفظوه ووعوا معانيه و أقرّوه في مواضعه من كلامهم و أحسنوا إجراءه في ألسنتهم و أقلامهم لأحيوه فحيوا به، و لأصبح مأنوساً لا غريباً، و أصبحوا به من لغتهم قريباً، و لكن أعيانهم الإحسان فعقروا في وجوه الحسان، و عجزوا في جني الثمرة عن المصير، فرضوا من اللغة بما يباع في سوق العصر"<sup>(1)</sup>.

لقد تنوّعت الأسجاع في هذه المقالات، فمنها ما كان فيها الفصلان متساويان لا يزيد أحدهما عن الآخر كقوله: "ما أكثر الملوك و أهون العنا، و ما أكثر السيوف و أقل الغنا"<sup>(2)</sup>؛ و قوله أيضاً: "أيها العرب: أطعمتم الكبراء فأضلوكم، و خضعتهم للأمراء فأذلوكم"<sup>(3)</sup>.

فالقارئ لهذين المثالين يلاحظ مدى الاعتدال الذي استحسنته ابن الأثير و غيره من النقاد، إذ وجّه الكاتب حديثه في كلا المثالين إلى الشعب العربي، معبراً عن تحاذل الملوك و الأمراء دون أن يدفعه ذلك إلى التكلّف في السجع، ويبدو هذا الأخير -السجع- واضحاً في قوله "العنا، الغنا"<sup>\*</sup>؛ أما في المثال الثاني، فإننا

(2) محمد سعيد رمضان البوطي: نقاط هامة استوقفتني في فكر الإمام الإبراهيمي. [www.binbadis.net](http://www.binbadis.net)

(3) عبد الملك مرتاض: نخضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر. ص 127.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3. ص 518.

(2) المصدر السابق. ص 522.

(3) المصدر السابق. ص 525.

\* العنا: العاني هو الأسير الخاضع المتذلّل. / الغنا: ضد الفقر، إذا فتح مُدّ. / ابن منظور: لسان العرب، م 15. ص 101-136.

## الفصل الأول: السجع

نجد كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن و القافية كالآتي:

أطعمتم ← خضتم

الكبراء ← الأمراء

أضلّوكم ← أذلّوكم

و هذا ما يسميه ابن الأثير بالترصيع، و هو مأخوذ من ترصيع العقد، و ذاك أن يكون في أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل ما في الجانب الآخر<sup>(4)</sup>.

كذلك نجد من السجع في هذه المقالات ما طالت فقرته الثانية بحسب تقسيم ابن الأثير، و ذلك في قول الكاتب: "أيها الأعراب: هل فيكم بقايا من حرب أو محارب؟"<sup>(5)</sup>، و قوله أيضا: "ويل للعرب، من حبل قد اضطرب، و شرّ قد حلّ و لا أقول قد اقترب"<sup>(6)</sup>.

و على العموم فقد غلب على هذه المقالات السجع القصير الذي يمتاز بقلّة الألفاظ المكوّنة لفقره، و قد أجمع النقاد على أنّ هذا الضرب من أوعر السجع مذهبا و أبعدّه متناولا و أحسنه استعمالا، و ذلك لأنّ الفواصل المسجوعة كلّما كانت متقاربة كلما سلكت أقصر الطرق إلى سمع السامع، و تمكّنت من الولوج إلى قلبه دون استئذان، و من أمثلة ذلك قوله: "أيها الهائمون في البيد، النائمون على الذل المبيد، الراضون بعيشة العبيد..."<sup>(1)</sup>. و قوله أيضا: "أي جيران الشمال، و معاهد الآمال، أعيدكم بالعروبة و هي الأم، و بالوطن و هو الهم و الأم..."<sup>(2)</sup>.

أما تقسيمات السجع التي توصل إليها المتأخرون، فقد وجدت هي الأخرى مكانا لها في هذه المقالات، من ذلك قوله في المقالة الخامسة: "و العتاق الضمّر، و العقبان و الحمّر، و الهامة و دُمّر، و الزامر إذا زمّر، و الخادع و ما دمّر، و العامر إذا عمّر، و الشمريّ إذا شمّر، و من حبس الجيوش جمّر، و من دخل ظفار فحمّر، إنّ للظماء مآرب في ماء مارب، إنّها تلوب على مطلوب، كونه الحيا، فكون به الحياة، فلا تجد إلا السراب و الخراب و الغراب"<sup>(3)</sup>. فهذا مثال عن التسجيع الحالي يعتمد على ورود كلّ كلمتين على زنة واحدة "الضمّر-الحمّر"، "العامر-الخادع"، "زمر-دمّر"، "عمر-شمّر"، "دخل-حبس"، "جمّر-حمّر".

(4) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ص361.

\* حرب، محارب: قبيلتان من العرب.

(5) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص524.

(6) المصدر السابق. ص522.

(1) المصدر السابق. ص532.

(2) المصدر السابق. ص534.

(3) المصدر السابق. ص530.

## الفصل الأول: السجع

إنَّ قَسَمَ الإبراهيمي بهذه الأمور المختلفة هو في الحقيقة اقتداء بما كان يفعله الكهّان، "فبالإضافة إلى السجع واستعمال الألفاظ الغامضة المبهمة، والإيماءة والرموز والتكنية عن الأشياء، تهرباً من التصريح، وحذر افتضاح الأمر، كان الكاهن، يلحف في الأسئلة ويمعن في الاستفسار، حتى يستنبط من ذلك بفطنته وذكائه ما يريد السائل، فيعطيه جواباً مائعاً، شأن جواب السحرة والعرافين، كما كان يعمد إلى القسم بظواهر الطبيعة من كواكب ونجوم، و شمس وقمر، و رياح و عواصف و سحب، و ليل و نهار، و شجر و حجر، و أمثال ذلك مما نجد في خطبهم وأقوالهم، وهو شيء يلفت النظر، ويبعث على التعجب من قسم القوم بهذه الأمور. ولكنّ المتتبع الدارس لعقائد القوم في الجاهلية، ولحياتهم الاجتماعية لا يعجب من ذلك، كما لا يعجب من قسمهم بالخبز، والملح، واللبن، والقوس، والعصا، فإنّ لهذه الأمور وأمثالها معاني عميقة عند أهل الجاهلية، فقدت أكثريتها معانيها في الإسلام، بسبب إبطاله لتلك العقائد، وإن بقي حشد منها في نفوس الناس إلى هذا اليوم، بسبب رسوخه في العقل والدم"<sup>(4)</sup>.

لكنّ الكاتب لم يكن يعبأ بالسجع في بعض المواضع مراعاة لاستقامة المعنى ووصوله إلى المخاطب، و إنّما كان يقابل بين اللفظة و أختها في التركيب كقوله: "فأصبحوا لا يباليون برضاكم لأنه لا ينفع، و لا يأبهون لسخطكم لأنه لا يضر، إنّ الغضبة لا تعقيها وثبة هي غضبة الذليل العاجز، و لو افترت كل بارقة منكم عن صاعقة لما حمد شائموها القطر، إن غضبة العاجز لا تبكي و لا تنكي، تشتعل في الحنايا و لا تهدم الحنايا، تحرق صاحبها و لا تحرق الناس، و تلك هي غضبتكم حين تغضبون"<sup>(1)</sup>.

ففي هذه الفقرة لم يلتفت الإبراهيمي إلى تناسب الفواصل و تشابه الأواخر إلّا في مواضع قليلة، بقدر ما كان يحرص على إيصال المعنى إلى المخاطب في شكل جلي. و هذا النوع من التسجيع سمّاه المحدثون "التسجيع العاطل".

و من التسجيع المتماثل الذي يعتمد على تقابل الألفاظ في الفقرتين من حيث الوزن قوله في مقالة خصّصها للحديث عن اليمن: "ماتت الأذواء، و عاشت الأذواد، و ذهبت الأقبال و بقيت الأقياد"<sup>(2)</sup>؛ إذ نلاحظ هنا تقابلاً بين الألفاظ كالاتي:

الأذواء\* ← الأذواد.

الأقبال ← الأقياد .

بل إننا قد نجد تقابلاً بين الألفاظ و معانيها في قوله:

(4) جواد علي: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8. ص745-746.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص524.

(2) المصدر السابق. ص529.

\* الأذواء: أمراء اليمن في القلم.

## الفصل الأول: السجع

ماتت ← عاشت

ذهبت ← بقيت

لكننا نلاحظ أمرا آخر وهو أنّ هذه العبارة اشتملت على نوع آخر من السجع وهو (المتوازي)، أو ما يسميه البعض (بالموازنة)؛ و في هذا السجع تكون الفاصلتان متساويتان في الوزن دون التقفية، أو أن تتفق الفاصلتان في عدد الحروف و تختلفان في الحرف الأخير، و نلاحظ ذلك في المثال السابق كالآتي:

الأذواء ← الأذواد

الأقيال\* ← الأقياد

و عليه فإنّه يمكن تسمية هذا السجع بالمتماثل إذا أخذنا بتقابل الألفاظ في كلا الفقرتين من حيث الوزن، أو تسميته بالسجع المتوازن إذا أخذنا باتفاق الفواصل في عدد الحروف و اختلافها في الحرف الأخير، لنحصل بذلك على سجع في سجع؛ و إن كان البعض يرى في هذا المثال مبالغة و تكلفا في استخدام السجع إلاّ أنّه في المقابل يدلّ على قدرة و مهارة كبيرتين في التحكم بهذا اللون البديعي.

و قريبا من هذا النوع نجد لونا آخر من السجع يعتمد على اتفاق الفواصل في الوزن و الروي، و هو إذا كان في الشعر شُمي (تصريعا)، أي جعل العروض مقفاة تقفية الضرب، و أمّا في النثر يسمى (التوازي) أو (التسجيع المتوازي)، و مثاله قول الإبراهيمي: "عتبات الفتح بنيت على الكسر، و أسرة الصيد منيت بالأسر، و صائدة المناسر صاهاها النسر، و جسر العروبة إلى المغارب، عصفت به الأعاصير... فتداعى الجسر، و باذلوا الماعون في ساعة العسر، جُزوا في العاقبة بالخسر، ثم كانت خاتمة الكيد إرجاعهم إلى القيد"<sup>(1)</sup>.

فالكلمات الآتية: "الكسر، الأسر، النسر، الجسر، العسر، الخسر"، بالإضافة إلى "الكيد-القيد"، كلها فواصل وردت على وزن واحد وروي واحد، بل إنّ هذا المثال يمكن إدراجه ضمن لون بديعي آخر يسمّى (لزوم ما لا يلزم)، إذ أنّ الإبراهيمي لم يكتف بالتزام تشابه الحرف الأخير فقط، بل التزم بتشابه ما قبله أيضا؛ و زيادة أحرف الروي في الوقفات تزيد مقدار الحلاوة و الطلاوة في الفم، و تضاعف الطرب في الأذن، و الأمثلة على هذا اللون كثيرة في أعمال الأديب سنشير إليها في موضع لاحق من هذا الفصل.

أمّا الترصيع أو التسجيع المرصّع كما سمّاه المتأخرون، فقد كان له هو الآخر نصيبا في هذه المقالات من ذلك ما جاء في خطاب الإبراهيمي لحكام و ملوك الشعوب العربية و تقرّيع أسماعهم بكلمات ظاهرها سجع و باطنها لسع، يقول: "لن تفلحوا و لن تصلحوا إلاّ إذا رجع أمركم إلى الشعب، و أجمع الشعب

\* الأقيال: الملوك في عرف اليمن القديم.

(1) المصدر السابق. ص535.

## الفصل الأول: السجع

على رأي واحد، و اتفق الرأي على نظام واحد، و تمخض النظام بدستور واحد، و ملك واحد، فإن قلت: إنَّ هذا عسير فعيشوا عيشة الأسير أو موتوا ميتة الحسير، شبر في الحياة و قبر في الممات<sup>(2)</sup>، و قوله أيضا: "خالوك على البعد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا"<sup>(3)</sup>.

ففي المثال الأول نلاحظ أن (الترصيع) وقع في قوله: "فعيشوا عيشة الأسير أو موتوا ميتة الحسير"، ذلك أن كلَّ لفظ من القرينة أو الفقرة الأولى يقابله لفظ آخر على وزنه و رويّه في الفقرة الثانية كالآتي:

عيشوا ← موتوا

عيشة ← ميتة

الأسير ← الحسير.

و إذا كان لفظ (العيش) مقابلا للفظ (الموت) معنى و مبنى، فالظاهر أن لفظ (الأسير) لا يقابل لفظ (الحسير) إلا من حيث الوزن و الروي، لكن بقليل من التأمل ندرك أن اللفظان هما في الحقيقة متقابلان معنى و مبنى، ف(الأسير) عندما يقع في الأسر فإنه لا يحسّ بالندم و تأنيب الضمير، لأنه لم يفترط في آداء واجبه، على عكس (الحسير) الذي من بين معانيه ذاك الذي يكون شديد الندم على ما فاتته؛ و لعل استخدام الكاتب للفظ (العيش) بدل (الحياة) في مقابل (الموت) له دلالة أخرى، فالله عزّ وجلّ عندما تحدث عن العصاة و المذنبين و المعرضين عن ذكر الله قال: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [سورة: طه - الآية: 124]، و لم يقل (حياة ضنكا)، و عند حديثه عزّ وجلّ عن المؤمنين الذين يعملون الصالحات قال: (مَنْ عَمِلْ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [سورة: النحل - الآية: 97]. بمعنى أن كلمة (حياة) تستعمل لما فيه سعة و راحة و طمأنينة، على عكس كلمة (عيشة). لذا استعمل الإبراهيمي هذه الأخيرة -عيشة- ليدلّ بذلك على حالة (الأسير)، فهو و إن كان يشعر براحة الضمير لأنه قام بواجبه إلا أنه (يعيش) تحت الظلم و القهر بسبب وقوعه في الأسر\*.

أما في المثال الثاني فقد تقابلت ألفاظ قرينتيه كالآتي:

خالوكم ← وجدوكم

على البعد ← على القرب

أعمالا ← أقوالا

(2) المصدر السابق. ص525.

(3) المصدر السابق. ص524.

\* لا نستبعد أن يكون الكاتب قد أشار إلى هذا المعنى خاصة و أنه حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة و تبخر في معرفة ألفاظه و معانيه.

## الفصل الأول: السجع

بالإضافة إلى ذلك، هناك نوع من السجع يعتمد على اتفاق الفواصل في الحرف الأخير دون الوزن، و قد اتفق الأقدمون و المتأخرون على تسميته بـ(المطرّف)، و استعمله الإبراهيمي في هذه المقالات حين قال: "إنّ للغرب فيكم مطايا ذللاً، و لرائده منكم أدلة أدلة، هم أصل البلاء و العلة، قادوكم بسلوك من الأمراء و الملوك، فقادوكم إلى الهاوية، فانزعوا المقادة من هؤلاء القادة تفلحوا، و لن تفلحوا و لن تصلحوا ما دام يلقاكم بوسيط واحد، فتلقونه بسبعة سفراء، و يلقاكم برأي جميع، فتلقونه بسبعة آراء، و يلقاكم بكتيبة ملمومة ، فتلقونه بشراذم شتى"<sup>(1)</sup>. ففي هذه العبارة يتضح السجع المطرّف من خلال اتفاق الفواصل الآتية دون الوزن: "أدلة- العلة"، "سفراء- آراء"، كما نلاحظ أنّ الكاتب لم يستعمل السجع في جميع أجزاء كلامه بل اقتصر على البعض منها دون مراعاة الوزن، و هذا من خصائص السجع المطرّف.

أمّا عن (السجع المشطر) أو (التشطير) كما يسمّيه القزويني و أبو هلال العسكري و غيرهما من النقاد، فقد أجمع هؤلاء على أنّه خاص بالشعر، لكنّ أبا هلال العسكري يضرب لنا مثالا عنه في النثر فيقول: "...فمثاله في النثر، قول بعضهم: من عتب على الزمان طالت معتبته، و من رضي عن الزمان طابت معيشته"<sup>(1)</sup>، فهذان الجزآن متعادلان من حيث الأقسام مع قيام كل واحد منهما بنفسه و استغنائه عن صاحبه، إذ جعل العتاب عن الزمان و ما ينتج عنه في مقابل الرضى عنه و نتائجه. و ربما هذا ما دفع ابن منقذ إلى جمع المقابلة و التشطير في باب واحد<sup>(2)</sup>.

أمّا في مقالات الإبراهيمي فإننا يمكن أن نلمح (التشطير) أو (السجع المشطر) في قوله: "أيتها البحيرة\* مالك في حيرة؟ لقد شهدت لبدر بن عمّار بالفتوة، فهل تشهدين لأبي الطيب بالنبوة؟ و حدّثي الوليّ يا (ولية)، أيّهما كان عليك بلية، ذاك الذي وردك زائراً، أم هذا الذي وردك خائراً؟ إنهما لا يستويان، ذاك أسد غاب، رزقه في الناب، و هذا حلف و جار\* رزقه على الجار، ذاك يعيش على فرائسه، و هذا يعيش على فضلات سائسه، ذاك رمز إقدام، و هذا موطن أقدام، ذاك ورد الفرات زئيره، و هذا جاوز الفرات تزويره، ذاك مشغول البال بتربية الأشبال، و هذا مشغول... بعرس الغول"<sup>(3)</sup>.

فالعبارات الآتية: (ذلك الذي وردك زائراً أم هذا الذي وردك خائراً)، (ذلك أسد غاب رزقه في الناب، وهذا حلف و جار رزقه على الجار)، (ذلك يعيش على فرائسه و هذا يعيش على فضلات سائسه)، (ذلك

(1) المصدر السابق. ص524.

(1) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين. ص463.

(2) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها. ص352.

\* البحيرة: بحيرة طبرية.

\* و جار: سرب الضبع، و في المحكم: جحر الضبع و الأسد و الذئب و الثعلب و نحو ذلك... و استعاره بعضهم لموضع الكلب/ابن منظور: لسان

العرب، م15، ط1، دار صادر، بيروت، د ت. ص157.

(3) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص520.

## الفصل الأول: السجع

رمز أقدام و هذا موطئ أقدام)، (ذاك ورد الفرات زئيره و هذا جاوز الفرات تزويره)، (ذاك مشغول البال بتربية الأشبال، و هذا مشغول... بعرس الغول)، تحقق فيها شرط المقابلة بين (هذا و ذلك)، بالإضافة إلى التعادل الموجود - في الغالب - بين أقسام الأجزاء.

من خلال ما تقدم نلاحظ أنّ جميع أنواع السجع التي ذكرها المتقدمون و المتأخرون من سجع قصير و طويل و متوازن و متوازي و مرصّع و مشطّر و مطرّف و متماثل و حالي و عاطل، قد وجدت مكانا لها ضمن مقالات الإبراهيمي، مما يدلّ على الملكة اللغوية العظيمة لهذا الأديب الذي حقّ له أن يكون قائد النهضة الأدبية في الجزائر.

كما أنّ الأديب كان في كثير من الأحيان يتجاوز (السجع) إلى (لزوم ما لا يلزم)، حيث لا يكتفي بتواطؤ الفواصل على حرف واحد، بل يتعدّى إلى الحرفين مثل: "أقسم بالذيب الأطلس، و الثعبان الأملس، إنّ المتجر بالأحرار لمفلس، و إن العاقل بين الأشرار لمبلس، و إنّ العربي لزيم إذا بقي في المجلس"<sup>(1)</sup>، أو الثلاثة مثل: "أيها العربي : الحق سافر، و العدو كافر، و القوي ظافر، فعلام تنافر خصمك إلى خنافر"<sup>(2)</sup> حتى يصل إلى أربعة أحرف، كقوله: "أحاجيكم و لا أناجيكم، مملكة في أفحوص، و عاصمة ليس لها فحوص"<sup>(3)</sup>.

و بما أنّ مضمون هذه المقالات سياسي، فإنّ الكاتب كان يعرف مسبقا مآل صاحبها لو كُشف اسمه، لذلك لم يعتمد على إثباته في آخر كلّ مقالة و إنّما كان يشير إليه بقوله: "كاهن الحي"، و هذا ما كان يفعله الكهّان إذ كثيرا ما يلجؤون إلى الإيماء و الرمز تهربا من التصريح و خشية افتضاح الأمر.

و يعلّل عبد الملك مرتاض لظاهرة طغيان السجع على هذه المقالات بقوله: "فربّما دفعه إلى تدييح هذه الأحاديث على هذا النحو شيئان اثنان:

1- أنّه تناول في هذه الأحاديث قضية تمّ العرب جميعا، و تمّ من في المشرق أكثر ممن في المغرب، فكأنّه أراد اصطناع لغة عالية دلالة على أهمية محتوى الحديث.

2- أنّه ربما أراد أن يتحدى أهل العصر من الكتاب، ويفهم ذلك من مقدمته لهذه الأحاديث التي كان يدرك أنّها غريبة على الناس، حين زعم لهم أنّ ألفاظها ليست غريبة إلّا على الذين لا يعرفون من ألفاظ العربية إلّا ما يدور في سوق العصر"<sup>(4)</sup>.

\* مجلس الأمم المتحدة على الباطل.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج.3. ص 532.

(2) المصدر السابق. ص 523.

(3) المصدر السابق. ص 522.

(4) عبد الملك مرتاض: نخبة الأدب العربي المعاصر في الجزائر. ص 137.

## الفصل الأول: السجع

و يمكن أن نضيف إلى هذين السبيين سبيين آخرين هما:

1- أن الكاتب أراد أن يتبع طريقة الكهان و أساليبهم قدر الإمكان، كاستعمال الألفاظ المبهمة و الأسجاع القصيرة و الإيماء و التنكيث و القسم بظواهر الطبيعة المختلفة.

2- أنه أراد أن يلفت الانتباه إليه، "فالأسجاع تشبه فنّ الصيد"<sup>(5)</sup>، و الأديب الذي لا يجد آذانا صاغية يلجأ إلى السجع و تدييج القول بمختلف الفنون البلاغية قصد التأثير في المتلقي، و هو ما أشار إليه الإبراهيمي بقوله: "و كنت كتبت كثيرا في التنديد بهم، فلم يؤثر ذلك في هذه الصخور الجامدة، فاستخدمت هذا الأسلوب و نزعت فيه منزع القدماء في السجع و عزوته إلى كاهن الحّي"<sup>(1)</sup>.

و إذا كان (سجع الكهّان) قد فقد قدرته على النبوءة و إيهام الناس و تضليلهم في عصرنا الحاضر، فإنّه أصبح حرفة يلجأ إليها الأدباء غير المسموعين، حيث يستتر خلفها صوت الحق، و تحمي الكلمات نفسها من خلال السجع و تداخل الأصوات؛ لقد "آن للكلمات أن تستريح إلى عالم ثان لا يخلو من صغار و بؤس، عالم لا يقوم على الأمر و النهي، و إنّما يقوم على السجع و الجناس"<sup>(2)</sup>.

إنّ هذه المقالات المسجوعة بقدر ما عبّرت عن قضايا الأمة العربية، و نقدا للحكومات و الشعوب العربية على مواقفها المتخاذلة، فقد كانت أيضا "استجابة نفسية كامنة في أعماق نفسه الممتلئة بالأحمال الأدبية المحفوظة، ليتخلّص من بعض ما كان في ذاكرته من مخزون الآداب القديمة و الأسجاع الغريبة"<sup>(3)</sup>.

لكنّ الكاتب كان لا يجد أحيانا أفضل من الرجز ليعبّر عن إحساسه و إبداء رأيه في بعض القضايا، "والرجز عند العرب كل ما كان على ثلاثة أجزاء، وهو الذي يترنّمون به في عملهم و سوّقهم و يحدّون به. هذا هو تعريفه عند بعض العلماء. وعرّفه بعضهم: أنّه بحر من بحور الشعر معروف و نوع من أنواعه يكون كل مصراع منه مفرداً، وتسمّى قصائده أراجيز، واحدها أرجوزة، وهي كهيئة السجع إلّا أنّه في وزن الشعر، ويسمّى قائله راجزاً كما يسمّى قائل بحور الشعر شاعراً وعرّفه آخرون أنّه شعر ابتداء أجزاءه سببان ثم وتد، وهو وزن يسهل في السمع و يقع في النفس. و ذكر أنّ كلّ شعر تركّب تركيب الرجز سُمي رجزاً. والرجز في الواقع سجع موزون. و نجد شبيهاً في التوراة، حيث ورد على السنة الحكماء العبرانيين في سفر الأمثال و على لسان بلعام الحكيم، الذي جعله بعض العلماء لقمان الحكيم المذكور في القرآن"<sup>(4)</sup>.

(5) مصطفى ناصف: محاورات مع النثر العربي، عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص 43.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 503.

(2) مصطفى ناصف: محاورات مع النثر العربي، ص 253.

(3) عبد الملك مرتاض: نخب الأديب العربي المعاصر في الجزائر، ص 138.

(4) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 9، ص 171.

## الفصل الأول: السجع

وقد اختلف في طبيعة الرجز، فمنهم من جعله شعراً صحيحاً، وضرباً من الشعر، معروف وزنه، ومنهم من جعله صنفاً من أصناف الكلام قائماً بنفسه ليس بشعر، ولا بسجع، وإنما مجازه مجاز الشعر. و نُسب إلى الخليل قوله: "الرجز المشطور و المنهوك ليسا من الشعر، و قيل له: ما هما؟ قال: أنصافٌ مسجعة" (5).

"و استعمل الرجز في أحوال البديهة والارتجال، وقد ارتجز في القتال، وفي الحداء والمفاخرة، وما جرى هذا المجرى، واستعمل في الأعمال التي تحتاج إلى تنشيط و إثارة همم، لما فيه من ملاءمة لذلك. فلمّا بنى المسلمون مسجد الرسول بالمدينة، وكان الرسول يحمل 'اللبن' معهم، كان الصحابة يرتجزون الرجز لإثارة الهمم وللتخفيف من وطأة العمل. قال أبو عبيدة: إنّما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك، إذا حارب أو شاتم أو فاجر، حتى كان العجاج أوّل من أطاله وقصّده، ونسب فيه، وذكر الديار، واستوقف الركاب عليها ووصف ما فيها، وبكى على الشباب، ووصف الراحلة، كما فعلت الشعراء بالقصيد" (1).

لقد استهل الإبراهيمي مقالته الرابعة بأرجوزة تتكون من أربعة عشر بيتاً، عبّر فيها عن حال اليمن في تلك الفترة و معاتباً أهلها على تخاذلهم يقول:

"أحنى الزمن على اليمن  
أبدلها صابا بمن  
جيش الشقا لها كمن  
مهزولة على السّمن  
مغصوبة بلا ثمن  
دستورها لا تفهمن  
لا تقرأن لا تعلمن  
سل سيفها\* أنت لمن؟  
سل سيفها بيد من؟  
لا ناصر لا مآتمن  
عد للحمى يا ابن اليمن (2)..."

"لكنّ هذه البداية بالرجز تتوقف ليحل محلّها النثر، يستعرض فيه و من خلاله تاريخ اليمن و حضارتها القديمة و مكائنها بين الشعوب في الماضي، و يعرض للدول التي قامت في هذه البقعة و كان لها اثر في الماضي يذكره، ثم اندثرت مع الزمن، و يسخر من الأحفاد لأنّهم نسوا هذا الماضي و تنتكروا له، و

(5) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ت: عبد الحميد هندواي، م2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003. ص100.

(1) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج9. ص176.

\* سيفها: سيف البحر بكسر السين: ساحله.

(2) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص527.

## الفصل الأول: السجع

يمدح (الأسلاف) و ينتقد (الأخلاف) و غرضه من هذا كله هو بثّ السخط في النفوس و حتّها على النهوض<sup>(3)</sup>.

إنّ تطرّقنا لدراسة السجع في هذا الفصل نابع عن وعينا بأهميته و دوره في تماسك الخطاب و ربط أجزائه ببعضها ببعض، فهو -باعتباره عنصرا من البلاغة- قد ساهم بقسط كبير في الرقيّ بالخطاب الإبراهيمي إلى مستوى تعبيرى قادر على شدّ انتباه المتلقي و التأثير فيه، لذلك ذهب بعض الدارسين إلى عدّه من "أكثر الوسائل تأثيرا في وضع المتلقي تحت طائلة منظومة من المعاني التي تتدافع فيها الأفكار بين الوضوح و المباشرة من جهة، و الغموض و الإيحاءات المتنوعة من جهة ثانية"<sup>(1)</sup>.

و من المظاهر الأخرى التي تدلّ على ترابط أجزاء الخطاب في التحليل النصائي، عنصري "الاتساق و الانسجام"؛ فما المقصود بهذين المصطلحين؟ و ما هي مظاهر كلّ واحد منهما في الخطاب الأدبي بصفة عامة؟ و هل تجسّدت هذه المظاهر في مقالات "سجع الكهّان" التي نحن بصدد دراستها؟ هذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثاني من هذا البحث، و لكن قبل ذلك نورد أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في ختام هذا الفصل.

(3) عبد الله ركيبي: تطور النشر الجزائري الحديث. ص159.

(1) عبد الله إبراهيم: التلقي و السياقات الثقافية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2000. ص119.

### الخاتمة

- إنّ المتأمل لهذا الفصل يستطيع أن يصل إلى عدة نتائج نذكر منها:
- السجع حلية عربية قديمة وُجد قبل ظهور الإسلام و امتد إلى عصرنا الحاضر.
  - السجع غير مقصور على العرب بل وجد أيضا في لغات الأمم الأخرى كالفرنسية و الإنجليزية، لكننا رأينا أن القافية حلّت محل السجع في اللغة الفرنسية و ذلك منذ القرن الثالث عشر.
  - لا يجب الخلط بين السجع و القافية اللذان ينتجان عن تكرار الصوت الأخير في الكلمات- في اللغة الفرنسية- ذلك أنّنا في السجع لا نهتم سوى بتكرار الحروف المتحركة (les voyelles)، لكن في القافية نكرر أيضا الحروف الساكنة (les consonnes) التي تسبق أو تلحق هذه الحروف المتحركة.
  - لم يكن السجع محصورا لدى الخطباء و الأدباء و إنّما استعمله العامة أيضا في أمثالهم و حكمهم.
  - قسّم الأقدمون السجع إلى طويل و قصير و متوسط، و قسّمه المتأخرون إلى: تسجيع حالي، و عاطل، و متماثل و متوازي و متوازن و مشطر و مطرف و مرصّع.
  - ضمّت مقالات الإبراهيمي (مدونة البحث) جميع الأنواع التي توصل إليها المتأخرون و قد كانت في الغالب من السجع القصير.
  - إنّ لسجع الكهّان طريقة خاصة به، ميّزته عن سجع غيرهم.
  - نجح الكاتب إلى حدّ كبير في تتبع طريقة الكهّان من حيث كثرة الأسجاع القصيرة و توظيف الألفاظ المبهمة، و القسم بالظواهر الطبيعية، بالإضافة إلى الإيماء و الرمز.
  - إنّ السجع أصبح فنا غير مرغوب فيه من لدن كثير من الأدباء و المفكرين في عصرنا الحاضر.
  - حاول بعض الشعراء فتح فجوات غنائية في الشعر العربي الحديث من خلال استعمال السجع، و لكن وضعوه في سياق إيقاعي جديد.
  - لم ينه الرسول - صلى الله عليه وسلم- عن السجع مطلقا، و إنّما نهى عن الحكم المتعلق به و الإقتداء بطريقة الكهّان في تضليل الناس.
  - أجمع النقاد قديما و حديثا على أنّ المكروه في السجع هو التكلف لا غير، و إن سلم منه كان آية في البيان، بل لم يكن في البلاغة أحسن منه على حدّ تعبير أبي هلال العسكري.
  - لا تسمّى فواصل القرآن أسجعا و ذلك تنزيها له عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام الناس، و لأنّ القرآن كلام الله عزّ وجلّ فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها و إن صحّ المعنى.
  - لجأ الكاتب إلى هذا الأسلوب أملا منه في أن يلقي استحابة من الملوك و الحكام العرب و شعوبهم.

## الفصل الأول: السجع

---

- يرى بعض الدارسين أنّ السجع في الواقع باب من أبواب الشعر، والمرحلة الأولى من مراحلها، والبذرة التي أنبتت الشعر العربي، بل هو ضرب من ضروب الشعر عند غير العرب.

# الفصل الثاني

تمهيد

أولاً: المستوى الشكلي:

1/ مفهوم السبك أو الاتساق (*cohésion*):

2/ مظاهر السبك (أدواته)

ثانياً: المستوى الدلالي:

1/ مفهوم الحيك أو الانسجام (*cohérence*)

2/ مظاهر الحيك (أدواته)

خاتمة الفصل الثاني

## تمهيد:

لقد أدرك النقاد القدماء و المحدثون من بعدهم ضرورة تماسك النص و ترابط أجزائه بصورة تجعل القارئ أسيرا بين يدي الكاتب أو الأديب؛ و يبدو أن هؤلاء لم يكتفوا في بحثهم عن وحدة النص بما يحدثه المظهر الصوتي متمثلا في السجع بأنواعه المختلفة كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول، بل ذهبوا إلى البحث في الألفاظ و معانيها؛ فالجاحظ في حديثه عن الشعر الجيد يقول: "و أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا، و سبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"<sup>(1)</sup>، بل إن الشعر ينبغي أن يكون - كما يقول ابن طباطبا-: "كالسبيكة المفرغة و الوشي المنمنم، و العقد المنظم، و اللباس الرائق، فتسابق معانيه ألفاظه، فيلتذ الفهم بحسن معانيه كالتذاز السمع بمونق لفظه، و تكون قوافيه قوالب لمعانيه"<sup>(2)</sup>.

إن ما يقال عن الشعر في هذا الجانب يصدق على النثر أيضا، فالنص بصفة عامة يجب أن يكون وحدة واحدة متماسكة الأطراف كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم.

و هو ما يقرره ج. م. آدام (J.M.Adam) في كتابه المهم عن "مبادئ اللسانيات النصية" كون النص إنتاجا مترابطا، متسقا ومنسجما، وليس رصفا اعتباطيا للكلمات والجمل وأشباه الجمل والأعمال اللغوية<sup>(3)</sup>.

و إذا كان ذلك كذلك، فلا مندوحة من أن نجد باحثا لسانيا آخر ك"فان دايك" (Van Dijk) يدعو "إلى إعادة بناء الأقوال ليس على شكل جمل و إنما على شكل وحدة أكبر و هي النص"<sup>(4)</sup>. و لأن "أوجه الترابط التي أفرزتها التحليلات على مستوى الجملة فقط لم تعد كافية لتغطية مستوى النص"<sup>(5)</sup>، فقد كان اللجوء إلى الدراسة النصية -عموما- التي لا تعتمد على الروابط الشكلية فحسب، و إنما تتعدها إلى البحث في الدلالة الناتجة عن ذلك الربط؛ و من بين المصطلحات المعبرة عن التماسك النصي من حيث الروابط الشكلية و الدلالية في التحليل النصي مصطلحا الاتساق أو السبك (cohesion) و الانسجام أو الحبك (cohérence) ، و لكلٍ منهما أدوات و أنواع إذ يعتبران أساسا مهما من أسس الدراسة النصية.

(1) الجاحظ: البيان و التبيين،

(2) ابن طباطبا: عيار الشعر، تح: محمد زغلول سلام، ط3، منشأة المعارف، الإسكندرية، دت. ص42.

(3) - J.M.Adam, éléments de linguistique textuelle. p112. < le texte est un produit connexe , cohésif, cohérent et non pas une juxtaposition aléatoire de mots , phrases , proposition ,ou actes de parole ”

(4) محمد خطابي: لسانيات النص، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006. ص29.

(5) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج1، ط1، دار قباء، القاهرة، 2000. ص52.

أولاً: المستوى الشكلي:

## 1/ مفهوم الاتساق أو السبك (cohésion):

نال مصطلح السبك اهتماما كبيرا من لدن علماء لغة النص حتى أن بعضهم جعلوا منه عناوين لكتبهم، مثال ذلك كتاب هاليداي و رقية حسن الموسوم بـ (*cohésion in English*) أو (السبك في الإنجليزية).

و قبل الحديث عن مفهوم السبك (*cohésion*) \* نشير إلى سبب تفضيل هذه الدراسة استخدام هذا المصطلح-أي السبك- فهو كما يقول الدكتور سعد مصلوح: "أقرب شيئا إلى المفهوم المراد ، و أكثر شيوعا في أدبيات النقد القديم"<sup>(1)</sup>؛ و بيان ذلك ما ورد في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، حيث نجدهم في إشاراتهم بالشعر -أو غيره- المتلاحم الأجزاء يستخدمون كلمة (السبك) للتعبير عن حسن الرصف و جودة الصياغة و ارتباط أجزاء الكلام بعضها ببعض مثلما أشرنا إلى ذلك في قول الجاحظ. كما نجد أبا هلال العسكري يقول تعقيبا على أبيات للنمر بن تولب: "فهذه أبيات جيدة السبك حسنة الرصف"<sup>(2)</sup>.

و يرد في "باب الفك و السبك" لأسامة بن منقذ قوله: "و أما السبك فأن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره كقول زهير:

يطعنهم ما ارتموا، حتى إذا طعنوا ضارب، حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا  
و لهذا قيل: خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"<sup>(3)</sup>.

أما ابن الأثير فيتحدث عن علة تفضيل لفظ على آخر، مرجعا إياها إلى السبك، مثال ذلك "من" و "عن" اللتان وردتا في بيت (أبي تمام) فكانتا مكروهتين، بينما كانتا خفيفتين في بيت (قطري بن الفجاءة)، فيقول: "و الأصل في ذلك راجع إلى السبك، فإذا سبكت هاتان اللفظتان أو ما يجري مجراهما مع ألفاظ تُسهّل منهما لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا في بيت قطري، و إذا سبكتنا مع ألفاظ تُثقل منهما جاءتا كما جاءتا في بيت أبي تمام."<sup>(4)</sup>

\* اختلف النقاد في ترجمة مصطلح *cohésion*، حيث ترجمه محمد خطابي في كتابه "لسانيات النص" إلى "الاتساق"، و ترجمه سعيد حسن بحيري في كتابه "علم لغة النص" إلى "الربط"، كما ترجمه "الأزهر الزناد" في كتابه "نسيج النص" إلى "التماسك"، و إلى مثل ذلك ترجمه "صبحي إبراهيم الفقي" في كتابه "علم اللغة النصي".

(1) سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري،

(2) أو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: مفيد قمحة. ص 185-186.

(3) أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر،

(4) ابن الأثير: المثل السائر، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، ج 1. ص 398-399.

أما لدى النقاد المحدثين فإن مصطلح السبك (*cohésion*) يحيل إلى تلك الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص... أي الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصاً إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكيونته واستمراريته، و يجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي (*Grammatical Dependency*)، و يتحقق الاعتماد في شبكة هرمية و متداخلة من الأنواع هي:

- 1/ الاعتماد في الجملة
- 2/ الاعتماد فيما بين الجمل
- 3/ الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة
- 4/ الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات
- 5/ الاعتماد في جملة النص". (1)

كما يتصل (السبك) عند بعضهم "بخطية النص و تسلسل التراكيب، و الوسائل الشكلية التي يستخدمها المرسل حتى يضمن تسلسلها" (2).

إلا أن البعض الآخر يستعمل مصطلح (*cohésion*) للدلالة على "تلك العلاقات أو الأدوات الشكلية و الدلالية، التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، و بين النص و البيئة المحيطة من ناحية أخرى" (3)؛ و هو ما فعله صبحي إبراهيم الفقي إذ ترجم المصطلح إلى "التماسك" و قسمه إلى نوعين:

- الأول: يهتم بعلاقات التماسك الشكلية، أي بما يحقق التواصل الشكلي للنص.
- الثاني: يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، و بين النص و ما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى.

أما تمام حسان فقد صاغ فهمه لمصطلح السبك بقوله: "السبك إحكام علاقات الأجزاء، و وسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، و قرينة الربط النحوي نم جهة أخرى، و استصحاب الرتب النحوية إلا حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي..." (4).

فالسبك في نظره يكون على مستويين: معجمي و نحوي، بالإضافة إلى مراعاة الترتيب إلا إذا اقتضت الضرورة، و ذلك حين يريد الكاتب إيصال فكرة ما إلى القارئ فيقدم و يؤخر و يذكر و يحذف... إلخ، و يضاف إلى ذلك كله مراعاة المقال للمقام.

(1) سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري،

(2) Shirley Carter-Thomas : La cohérence textuelle, L'Harmattan, Paris, 2000.p30-31.

(3) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي. ص96.

(4) تمام حسان: قراءة جديدة في تراثنا النقدي/ جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص79/78.

من خلال ما تقدم تستعمل هذه الدراسة مصطلح السبك (*cohésion*) باعتباره "ذو طبيعة خطية أفقية تظهر على مستوى تتابع الكلمات و الجمل"<sup>(1)</sup>. و قد ينقسم هذا السبك إلى قسمين: معجمي و نحوي؛ و ذلك حسب التقسيم الذي أشار إليه كل من هاليداي و رقية حسن و تمام حسان و غيرهم.

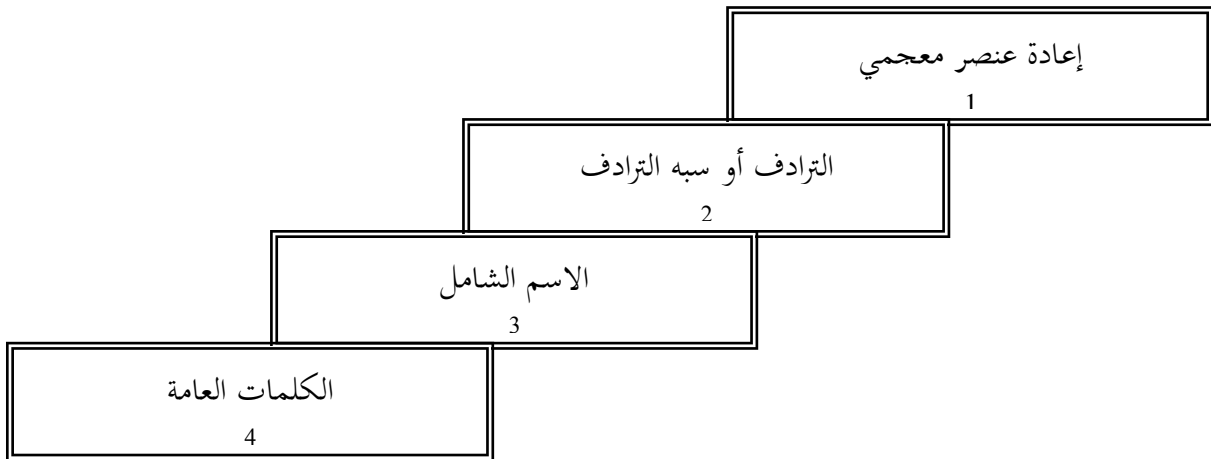
## 2/ مظاهر السبك (أدواته)

إن المتأمل في أقوال الباحثين في الدراسات النصية حول أدوات السبك سيجدها كثيرة و مختلفة - في الغالب- عن بعضها البعض، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود أدوات مشتركة بينهم، و من ثم تأتي هذه الدراسة لجمع ما اشتركوا في ذكره، و محاولة لوضع تصنيف دقيق لأدوات السبك ضمن مستوى واحد هو المستوى الشكلي، أما الآخر فهو المستوى الدلالي الذي يخضع لنسق معين تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا بالعالم، و هو ما سنتطرق إليه في الحديث عن الانسجام النصي و ظواهره.

و من بين وسائل السبك التي تحدث عنها علماء لغة النص نجد:

### 1.2/ التكرار:

يعد التكرار عند هاليداي و رقية حسن، سُلماً مكون من أربع درجات، يأتي في أعلاه إعادة العنصر المعجمي نفسه، و يليه الترادف (أو شبه الترادف)، ثم الاسم الشامل، و في أسفل السلم تأتي الكلمات العامة، و هو ما يمكن توضيحه بالرسم الآتي:



ويقصد بـ(إعادة العنصر المعجمي) تكرار الكلمة نفسها كما هي دون تغيير، "ويشير دي بوجراند و دريسلر إلى وظيفة أخرى فضلا عن السبك يؤديها هذا التكرار في النصوص الشعرية، و هي تجسيد المعنى،

(1) سعيد حسن بجيري: علم لغة النص. ص122.

إذ في هذه النصوص غالباً ما يكون التنظيم السطحي راجعاً إلى تحقيق توافقات أو تشابهات خاصة مع المعنى و الغرض من الاتصال جملة<sup>(1)</sup>.

و قد يتكرر العنصر المعجمي لكن مع شيء من التغيير في الصيغة، و من ثم يكون التكرار تكراراً جزئياً، بمعنى "الاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي"<sup>(2)</sup>، و ذلك كما في العبارة التالية و قد أخذها دي بوجراند و دريسلر من نص بيان إعلان الاستقلال الأمريكي:

تتكون الحكومات من الناس، و تستمد سلطتها من المحكومين أنفسهم.

حيث ترجع كلمتا ( الحكومات و المحكومين) إلى مادة واحدة (حكم)، مما يجعلهما منسبكتين.

أما الدرجة الثانية في سلم (التكرار) فهي الترادف (أو شبه الترادف)، و يعني تكرار المعنى دون اللفظ، و من أمثلة ذلك عند هاليداي و رقية حسن: قام السيد بيدفيري بسرعة و ركض، و كان يتخطى الحواجز و أحواض الزهور برشاقة، و أمسك بالسيف و لوح به و ألقاه، فومض البتار العظيم في ضوء القمر.<sup>(3)</sup>

و تجدر الإشارة إلى أن الترادف أو شبه الترادف قد يتكرر أكثر من مرة في النص و لأكثر من كلمة، و من ثم تتسع المساحة التي يحدث فيها السبك.

أما الدرجة الثالثة في سلم التكرار فهي الاسم الشامل أو الأساس المشترك، و هو عبارة عن اسم يحمل أساساً مشتركاً بين عدة أسماء، و من ثم يكون شاملاً لها، و ذلك مثل الأسماء: الناس، الشخص، الرجل، المرأة، الولد، الطفل، البنت، فهي أسماء يشملها جميعاً لفظ (الإنسان).

و يقترب من درجة الاسم الشامل -إلى حد ما- الدرجة الأخيرة في سلم التكرار و هي (الكلمات العامة)، و هي كلمات فيها من العموم و الشمول ما يتسع بكثير عن الشمول الموجود في الاسم الشامل، و مثال ذلك:

رأى هنري أن يستثمر أمواله في مزرعة ألبان، أنا لا أدري ما الذي أوحى له بالفكرة.

فكلمة (الفكرة) كلمة عامة، وقد أحالت هنا إلى ما رآه هنري في الجملة الأولى.<sup>(4)</sup>

و يذكر هاليداي و حسن مثلاً يمكن أن يتحقق فيه السبك المعجمي بأي نمط من أنماط التكرار الأربعة السالف ذكرها، و هو:

- شرعت في الصعود إلى القمة، الصعود سهل للغاية.

(1) دي بوجراند و دريسلر: مدخل إلى لسانيات النص. ص56.

(2) المرجع السابق. ص79-80.

(3) هاليداي و حسن. ص. 278.

(4) المرجع السابق. ص275.

التسلق (ترادف)

العمل ( اسم شامل)

الأمر (كلمة عامة)

إنه (الضمير-تكرار جزئي-)

و من نافلة القول، أنّ التكرار عولج في البلاغة العربية بوصفه أصلا من أصول البديع عند ابن رشيق، و ابن أبي الإصبع المصري، و بدر الدين بن مالك، و السجلماسي، و ابن الأثير و غيرهم.

و يجمل الدكتور جميل عبد المجيد المفارقات بين البلاغيين العرب و علماء لغة النص في معالجة ظاهرة التكرار فيمايلي:<sup>(1)</sup>

1/ معالجة هذه الظاهرة عند البلاغيين العرب من منظور بلاغي صرف، و من ثمّ كان التركيز على الكلام الأدبي و الشعري خاصة، و كذلك القرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي، بينما عولجت الظاهرة عند علماء لغة النص من منظور لساني صرف، و من ثم شملت النصوص بمختلف أنواعها، على أن منهم من حاول كشف نحو النص الأدبي/الشعري، مثل فان دايك.

2/ عدم الاقتصار في هذه المعالجة عند علماء لغة النص، على مستوى الجملة، بل تجاوز هذا المستوى إلى الجمل و الفقرة و النص بتمامه، بينما ركزت المعالجة عند البلاغيين العرب أكثر ما ركزت و خاصة في مرحلة التقعيد على الجملة أو البيت، و إن جاءت عندهم -أحيانا- شواهد تجوزت هذا المستوى.

3/ وقف علماء لغة النص على أربع درجات للتكرار، و هم في هذا أفادوا من الدراسات اللغوية و الدلالية المعاصرة، بينما وقف البلاغيون العرب على درجتين فقط (إعادة العنصر المعجمي، و الترادف أو شبه الترادف)، لكن في الشواهد التي أوردها البلاغيون العرب و تعليقات بعضهم عليها ما يفيد رصد الدرجة الثالثة من سلم التكرار (الاسم الشامل)، و إن لم يصطلحوا على تسميتها، كما أن عندهم رسدا دقيقا و شاملا لأنماط عديدة من إعادة العنصر المعجمي، و قد خصوا كل نمط بمصطلح خاص، و عدّوه فنا برأسه من فنون البديع، و ربما يرجع ذلك إلى التنافس فيما بينهم على رصد نوع أو فرع جديد من البديع.

4/ سيطرة الغاية التقعيدية التعليمية على البلاغة العربية -خاصة مرحلة التقعيد- بينما سيطرة على علماء لغة النص الغاية الوصفية التشخيصية.

ويستنتج جميل عبد المجيد من هذه المفارقات -خاصة منها الأوليين- "كشف البلاغيين العرب عن جانب أو جوانب دور هذه الظاهرة في أدبية الكلام و شعريته على مستوى الجملة أو البيت غالبا، بينما

(1) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص85-86.

كشفت علماء لغة النص عن دور هذه الظاهرة في السبك، و الذي هو -عندهم- من أهم عوامل النصية<sup>(1)</sup>.

و في مقارنته لظاهرة التكرار بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية يصل جميل عبد المجيد إلى النتيجة الآتية:<sup>(2)</sup>

الكلمات العامة	الاسم الشامل	الترادف أو شبه الترادف	تكرار العنصر نفسه	
			تكرار جزئي	تكرار محض
	التكرار المعنوي (أحيانا)	تكرار المعنى دون اللفظ (التكرار المعنوي) (أحيانا)	1- الاشتقاق 2- التعطف (أحيانا) 3- رد العجز على الصدر (أحيانا)	1- تكرار اللفظ و المعنى معا (التكرار اللفظي) 2- التزديد 3- التعطف (أحيانا) 4- رد العجز على الصدر (أحيانا) 5- تشابه الأطراف (بمفهوم ابن أبي الإصبع)

أما أهميته -أو وظيفته- في ضوء التحليل النصي المعاصر فيذكر علماء لغة النص أن التكرار يهدف إلى تدعيم التماسك النصي، فهو يوظف "من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص"<sup>(3)</sup>. "و قد جعله ديفيد كريستال (*David Crystal*) واحدا من عوامل التماسك النصي، و جعل له مصطلح (*Repeated*)، و ذكر أنه "التعبير الذي يكرر في الكل و الجزء"<sup>(4)</sup>.

و يشترط الدكتور صلاح فضل شرطا أساسيا حتى يقوم التكرار بهذه الوظيفة، و هو "أن يكون لهذا الملمح -المكرر- نسبة ورود عالية في النص تجعله يتميز عن نظائره... و أن يساعدنا رصده -أي التكرار- على فك شفرة النص و إدراك كيفية أدائه لدلالته..."<sup>(1)</sup>.

(1) المرجع السابق. ص86.

(2) المرجع السابق. ص104.

(3) R.de Beaugrande & W.Dressler: introduction to text linguistics, p54./59.

(4) David Crystal : the Cambridge Encyclopedia of language. P119./19. ص2. ج2. الفقي:

(1) صلاح فضل: ظواهر أسلوبية. ص210./ الفقي، ج2. ص22.

فالتكرار زيادة على كونه يؤدي وظائف دلالية معينة، فإنه يؤدي كذلك إلى تحقيق التماسك النصي، و ذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره، هذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة، و هذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النص، بالتأكيد مع مساعدة عوامل التماسك النصي الأخرى.

إنّ الحديث عن التكرار الجزئي و الترادف أو شبه الترادف يقودنا إلى التطرق إلى عنصر آخر من عناصر الاتساق و هو الإحالة.

## 2.2 / الإحالة:

تمثل الإحالة العلاقة بين عنصر معين في الجملة الواحدة وعنصر آخر ورد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، ويمكن أن تكون العلاقة أيضا بين عنصر معين وجملة أو سلسلة برمتها من الجمل السابقة أو اللاحقة؛ و يرى البعض أن الإحالة "تنشأ من استخدام الضمائر بدلا من الأسماء الظاهرة التي يكون ذكرها قد تقدم في بداية النص أو بداية الفقرة"<sup>(2)</sup>. و يُسمى تعلق عنصر معين بما سبقه علاقة قبلية في حين يسمى تعلقه بما يلحقه علاقة بعدية.

والظاهر أن الأسماء تحيل إلى مسمياتها وفق علاقة دلالية تطابقية بين خصائص المحيل والمحال إليه، والعنصر الإحالي لا يملك في اللغة دلالة مستقلة به، وإنما يتضمنها من خلال عودته على عنصر نصي مذكور في الخطاب<sup>(3)</sup>. و إذا كان ذلك كذلك، فسيكون لزاما في هذا البحث التطرق إلى الإحالة باعتبارها مظهرا من مظاهر الحبكة أيضا.

كما ميّز الدارسون إجمالاً بين الإحالة الداخلية « *endophora* »، بمعنى العلاقات الإحالية داخل النص، سواء أكان بالرجوع إلى ما سبق و تسمى إحالة قبلية « *Anaphora* » أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي و تسمى بالإحالة البعدية *cataphora*، و بين الإحالة الخارجية "*exaphora*"، التي هي عكس الإحالة الداخلية.

إنّ مصطلح « *endophora* » يشير عند دافيد كريستال (*David crystal*) إلى علاقات التماسك *the relationship of cohesion* التي تساعد على تحديد تركيب النص"<sup>(1)</sup>.

(2) إبراهيم خليل: دراسات في نحو النص. ص192-193.

(3) محمد خطابي، لسانيات النص، ص17 وانظر براون ويول، تحليل الخطاب، ص36.

(1) David crystal.p119.42.

بمعنى أن هذا المصطلح "يركز على العلاقات بين الأنماط الموجودة في النص ذاته، و لا يُعنى بالعلاقة بين هذه الأنماط و الأشياء الخارجية عن النص و قد تكون بين الضمير و كلمة أو كلمة و كلمة أو عبارة و عبارة أو جملة أو جملة أو فقرة و فقرة و غيرها من الأنماط اللغوية"<sup>(2)</sup>.

أما مصطلح « *Anaphora* » أي الإحالة القبلية، فيعني الإشارة بالضمير أو غيره إلى كلمة سبق ذكرها في الكلام، و قد ذكر كريستال أمثلة لهذه الإحالة بين الضمير و الاسم الظاهر<sup>(3)</sup>، مثال ذلك: محمد ركب الدراجة، لكن عليا لم يركبها.

فالضمير 'ها' يشير رجوعا إلى الدراجة، و بهذا أبدل الاسم بالضمير، بل "يمكن أن تكون الإحالة بتكرار كلمة واحدة أو عبارة واحدة في جملتين متعاقبتين"<sup>(4)</sup>.

و يرى هاليداي و رقية حسن أن عناصر الإحالة ثلاثة: الضمائر، و أسماء الإشارة، و أدوات المقارنة<sup>(5)</sup>، و تنقسم الضمائر إلى وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن، .. إلخ، و إلى ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابه، كتابنا، .. إلخ، وهو ما يقابل في الإنجليزية (*mine, yours, theirs, his, ours...*)<sup>(6)</sup>، أما أسماء الإشارة فيذهب هاليداي و رقية حسن "إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها: إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدا، ..) و المكان (هنا، هناك، ..)، أو حسب الحياد (*the*)، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء، ..)، أو حسب البعد (ذاك، تلك، ..)، و القرب (هذه، هذا، ..)"<sup>(7)</sup>.

في حين أن المقارنة في نظر الباحثين تكون إما:

- عامة: ← التطابق باستعمال عناصر مثل: *same*
- ← التشابه باستعمال عناصر مثل: *similar*
- ← الاختلاف باستعمال عناصر مثل: *otherwise, other*.

- خاصة: تتفرع إلى

← كمية مثل: *more*

← كيفية مثل: أجمل من، جميل مثل...<sup>(1)</sup>

(2) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي. ص 41.

(3) الفقي. ص 38-39. / david crystal.p119.415.

(4) محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1982. ص 15.

(5) محمد خطابي: لسانيات النص. ص 17.

(6) محمد خطابي: لسانيات النص. ص 18.

(7) المرجع السابق. ص 19.

(1) المرجع السابق. ص 19.

وأما الإحالة البعدية « *cataphora* » فتقوم على إشارة بالضمير إلى كلمة أو جزء من الكلام سيأتي ذكره لاحقاً في الخطاب مثل:

أ- حدث فلان قال: كذا وكذا.

ب- على الطلبة الآتية أسماؤهم أن يراجعوني في المكتب: فلان وفلان.

ومن أمثلة الإحالة البعدية في الذكر الحكيم، قوله تعالى: [وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين] ﴿فذلك﴾ تحيل إحالة بعدية إلى قوله: "دابر هؤلاء مقطوع مصبحين".

والجدير بالذكر أن العناصر المحيلة من أسماء إشارة وضمائر وظروف زمان لا تكتفي بذاتها من حيث الدلالة على المعنى بل لابد من التأويل بالرجوع إلى العناصر المذكورة في النص السابقة أو التالية لها، ومن هنا تتجلى لنا أهمية العلاقة الدلالية التي تنبني عليها الإحالة.

كما يعرف علماء اللغة مصطلح « *cataphora* » بأنه "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقاً في النص أو المحادثة"<sup>(2)</sup>.

وأما الإحالة الخارجية "*exaphora*" فهي التي تحيل إلى عنصر يقع خارج النص، وهذا المصطلح "يشير إلى الأنماط اللغوية التي تشير إلى الموقف الخارجي عن اللغة *Extra linguistic situation* غير أن هذا الموقف يشارك الأقوال اللغوية، و من أمثلة تلك الأنماط المشيرة لما هو خارج النص *him, that, there*"<sup>(3)</sup>.

إنّ هذا النوع من الإحالة يتوقف على معرفة سياق الحال، أو الأحداث و المواقف التي تحيط بالنص، حتى يمكن معرفة المحال إليه من بين الأشياء و الملابس المحيطة بالنص.

كما يميز الدارسون بين نمطين من الإحالة بحسب مداهما النصي، هما<sup>(4)</sup>:

1 - الإحالة ذات المدى القريب، الكائنة في مستوى الجملة الواحدة فتجمع العنصر الإحالي والمفسر.

2 - الإحالة ذات المدى البعيد، وهي لا تظهر إلا بين الجمل المتباعدة في المساحة النصية.

و يلفت هاليدي ورقية حسن الباحثين في مجال النصية إلى أهمية الإحالة المقامية التي تسهم في ربط النص بعالمه فيتحقق بذلك الانسجام النصي، ويكون القارئ حينها قادراً فهم مقاصد المتكلم وأغراض خطابه<sup>(1)</sup>.

<sup>(2)</sup> صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي. ص40.

<sup>(3)</sup> David crystal p.114

<sup>(4)</sup> الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص123.

<sup>(1)</sup> المرجع السابق ، ص124.

و من المصطلحات التي تقترب من معنى الإحالة مصطلح (*référence*) أي المرجعية، فقد تكون إشارة ضمير إلى اسم أو عبارة اسمية متقدمة أو متأخرة، و هي وظيفة الإحالة نفسها كما رأينا. بل قد ربط علماء لغة النص بينها و بين المرجعية القبلية و البعدية<sup>(2)</sup>.

وخلاصة ما نصل إليه في تحديد الإحالة ووظيفتها النصية كونها علاقة بين الوحدات اللسانية وما تشير إليه من مسميات، فحين نستعمل اسما معينا فإننا نحيل إلى مسمى بعينه، مما يعكس أهمية اللغة في الربط بين مستخدميها والعالم الخارجي؛ وبالنسبة إلى محلل الخطاب فإن الإحالة ليست شيئا يقوم به التعبير اللغوي ذاته وإنما هي نتيجة عمل وتأويل مستخدم اللغة أنفسهم حين يحملون الألفاظ على محمل ما ومقصد معين يرتضونه في مقام تواصل معلوم. لذلك يرى الدكتور سعيد بحيري أن "الإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام"<sup>(3)</sup>.

"فوظيفة الإحالة إذن هي الإشارة لما سبق من ناحية، و التعويض عنه بالضمير أو بال تكرار، أو بالتتابع أو بالحذف من ناحية أخرى، و من ثم الإسهام في تحقيق التماسك النصي من ناحية ثالثة"<sup>(4)</sup>.

### 3.2/ المصاحبة المعجمية أو التضام (*collocation*)

بداية نشير إلى اختلاف الدارسين حول ترجمة هذا مصطلح (*collocation*)، فمنهم من يترجمه إلى 'المصاحبة المعجمية'، و منهم من يترجمه إلى 'التضام'، و كلاهما يعني المصاحبات اللغوية بين أجزاء الجملة الواحدة أو أجزاء النص، و هو نوع من الاتساق المعجمي؛ و يعرفه محمد خطابي بقوله: "هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"<sup>(5)</sup>، كما أنّ المصاحبة تشير إلى "الطريقة التي يمكن من خلالها انتظام الكلمات معا، و إلى القيود المستعملة لبيان كيفية تضام الكلمات معا، مثل حروف الجر و معمولاتها، و الأفعال مع الأسماء... إلخ"<sup>(6)</sup>. و يعرفها أولمان بأنها "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة بكلمات أخرى معينة"<sup>(1)</sup> و هذه العلاقة الرابطة بين زوج من الألفاظ متعددة جدا، و قد ذكر هاليداي و رقية حسن بعضها، و هي<sup>(2)</sup>:

1/ التباين: *complementaires* و له درجات عديدة حيث قد يكون اللفظان:

أ- متضادين *opposites* مثل: ولد/ بنت

(2) الفقي . ص43 / David crystal . p 102-429. the combridge encyclopedia.

(3) سعيد بحيري: من أشكال الربط. ص151. / الفقي: ج 2، ص 19.

(4) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي. ص39.

(5) محمد خطابي: لسانيات النص، ص25.

(6) الفقي . ص43. p46. J.Richards, et al.: longman Dict.

(1) جميل عبد المجيد: البدع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص107.

(2) هاليداي و رقية حسن: ص285.

ب- متخالفين *antonyms* مثل: أحب / أكره

ج- متعاكسين: *converses* مثل: أمر / أطاع.

2/ الدخول في سلسلة مرتبة *ordered series*

مثل: الثلاثاء/الأربعاء، الدولار/السنت، اللواء/العميد.

3/ الكل للجزء: *part to whole* مثل: السيارة/الفرامل، الصندوق/الغطاء.

4/ الجزء للجزء: *part to part* مثل: الفم/الذقن.

5/ الاندراج في صنف عام: *général class* مثل: الكرسي/ الطاولة، حيث تشملهما كلمة

الأثاث.

و ليست هذه العلاقة الوحيدة الرابطة بين زوج من كلمات، و لكن هناك علاقات أخرى، و لكن ربما يصعب تحديدها، و ذلك مثل العلاقة الجامعة بين الأزواج: الضحك/النكتة، الحديقة/الحرث، المريض/الطبيب، المحاولة/النجاح، و غير ذلك، "لكن القارئ يتجاوز هذه الصعوبة بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمدا على حدسه اللغوي و على معرفته بمعاني الكلمات"<sup>(3)</sup>. كما أن المصاحبة قد تتسع لتشمل ما يتجاوز زوجا من الكلمات و ذلك مثل: شعر/أدب/القارئ/الكاتب / الأسلوب<sup>(4)</sup>.

فالمصاحبة إذن قد تكون بالتضاد أو الترادف أو الكلية و الجزئية... إلخ من العلاقات بين الكلمات و بعضها، و هذه العلاقة لا تكون داخل الجملة الواحدة فقط، بل قد تكون بين كلمات في جمل متباعدة. أمّا في البلاغة العربية فإننا نجد فنونا بديعية عديدة تقوم مقام (المصاحبة المعجمية أو التضام)، و يمكن جمعها بالاعتماد على ما أورده الدكتور جميل عبد المجيد في الجدول الآتي:<sup>(5)</sup>

المصاحبة المعجمية	ما يقابلها في فن البديع
1/ التباين: <i>complementaires</i> و له درجات عديدة حيث قد يكون اللفظان: أ- متضادين <i>opposites</i> مثل: ولد/بنت ب- متخالفين <i>antonyms</i> مثل: أحب / أكره ج- متعاكسين: <i>converses</i> مثل: أمر / أطاع. 2/ الدخول في سلسلة مرتبة <i>ordered series</i>	1/ الطباق: أ- طباق الإيجاب: مثل: أيقاظ/رقود، تعز/تذلل... ب- التدييح: ويختص بألفاظ الألوان... ج- إيهام التضاد: خلق الشاعر أو الكاتب لإمكانية تطابق كلمتين هما في الأصل ومن حيث المعنى المعجمي غير متطابقتين، و ذلك بالاعتماد على السياق المقامي و المقالي

<sup>(3)</sup> محمد خطاطي: لسانيات النص، ص25.

<sup>(4)</sup> جميل عبد المجيد. ص107-108./هاليداي و رقية حسن. ص 285.

<sup>(5)</sup> جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية اللسانيات المنصية. ص109-121.

<p>للنص.</p> <p>2/مراعاة النظر: وهو عبارة عن جمع الأمور المتناسبة، كقوله تعالى "و الشمس و القمر بحسبان" و هو أربعة أنواع:</p> <p>أ- إيراد الملائم: أن يُؤتى بالشيء و شبيهه</p> <p>ب- إيراد النقيض: أن يُؤتى بالشيء و ضده</p> <p>ج- الانجرار: أن يُؤتى بالشيء و ما يستعمل فيه، القوس و السهم مثلا..</p> <p>د- التناسب.</p> <p>3/التوشيح } ارتباط صدر الكلام بآخره، وهناك</p> <p>4/التسهييم } من فرّق بينهما<sup>(1)</sup>.</p>	<p>مثل: الثلاثاء/الأربعاء، الدولار/السنت، اللواء/العميد.</p> <p>3/ الكل للجزء: <i>part to whole</i> مثل: السيارة/الفرامل، الصندوق/الغطاء.</p> <p>4/ الجزء للجزء: <i>part to part</i> مثل: الفم/الذقن.</p> <p>5/الاندراج في صنف عام: <i>général class</i> مثل: الكرسي/ الطاولة، حيث تشملهما كلمة الأثاث.</p>
---	---

و يرى جميل عبد المجيد أن هناك ثلاثة فنون أخرى تعتمد على المصاحبة المعجمية و هي: اللف و النشر، و الاستخدام و التورية المرشحة؛ و هي -بالإضافة إلى تحقيقها للسبك المعجمي- تقوم أيضا بوظائف أخرى منها: رد الملفوف إلى المنشور بالنسبة للفرن الأول، و تحديد المعنى بالنسبة للفرن الثاني، و تضعيف الإيهام بالنسبة للفرن الثالث<sup>(2)</sup>.

## 4.2/التوازي:

"و هو من أشكال النظام النحوي الذي يتمثل في تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول و النغمة و التكوين النحوي، بحيث تبرز عناصر متماثلة في مواقع متقابلة في الخطاب، و قد يسمى التشاكل"<sup>(1)</sup>.

و يرى دي بوجراند و دريسلر أنّ "إعادة البنية مع مثلها بعناصر جديدة تشكل التوازي"<sup>(2)</sup>، و يمثلان لهذا بجمل و عبارات مقتطفة من بيان إعلان الاستقلال الأمريكي<sup>(3)</sup>:

(1) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها. ص320.

(2) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية. ص117-121.

(1) صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص. ص215.

(2) R.de Beaugrande & W.Dressler: introduction to text linguistics, p49

(3) op.cit.p49.

- سرق بخارنا، حرب سواحلنا، حرق مدننا.

فهنا جمل متوازية نحويًا (فعل + مفعول به مضاف إلى ضمير الملكية).

و في فقرة أخرى من الإعلان نفسه، يرد تواز نحوي آخر (حرف اللام + المصدر):

لتقسيم قوة الجند... لحمايتهم... لقطع تجارتنا... لفرض ضريبة... لحرماننا... لإبعادنا... لإلغاء النظام الحر.

و يشير دي بوجراند و دريسلر إلى وجود ترابط بين التوازي النحوي و المحتوى في العبارات السابقة، فالمحتوى فيها وصف لأفعال الملك، و هي أفعال -على تعددها- يشملها محتوى أو فعل واحد، و هو (إساءة استخدام القوة)، و كذلك الأمر في البنية النحوية، فهي -على تعددها- واحدة، و بهذا جسد التوازي النحوي توازي المحتوى، و قد يكون الأمر كذلك حين تتكرر البنية النحوية مقلوبة، كما في المثال التالي: أعداء في الحرب، في السلام أصدقاء.

فهنا تكرر للبنية على جهة العكس، و المحتوى كذلك معكوس<sup>(4)</sup>.

و ترجع الريادة في دراسة هذه الظاهرة و كشف ارتباطها الوثيق بالشعر إلى ياكوبسون (*Jakobson*) الذي استرعى انتباهه -و هو يدرس التراث الشفوي للشعر الروسي- "التوازي الذي ربط من البداية إلى النهاية أبياتا متجاورة"<sup>(5)</sup>. مما أكد له ما ردده قبله هوبكنس (1844-1889) من أنّ "بنية الشعر هي بنية التوازي المستمر"<sup>(6)</sup>، و قد عمّق ياكوبسون دراسة هذه الظاهرة، و كشف عن تجلياتها المختلفة في مستوى تنظيم و ترتيب البنى التركيبية، و في مستوى تنظيم و ترتيب الأشكال و المقولات النحوية، و في مستوى تنظيم و ترتيب الأشكال و المقولات النحوية، و في مستوى تنظيم و تركيب الترادفات المعجمية، و تطابقات المعجم التامة، و في الأخير في مستوى تنظيم و ترتيب تأليفات الأصوات و الهياكل التطريزية<sup>(1)</sup>.

و يبدو أنّ دراسة ياكوبسون عن التوازي، أفاد منها - فيما أفاد - أحد علماء اللغة النص و هو فان دايك، حيث حاول أن يضع قواعد النص الأدبي، من أجل وصف البنيات الأدبية، مثل: "الوزن *mètre* و الاستعارة *métaphore* و الحبكة السردية، و في إطار هذا تناول فان دايك المكونات السطحية الخاصة

(4) R.de Beaugrande & W.Dressler: introduction to text linguistics, p58/ جميل عبد المجيد. ص121.122.

(5) ياكوبسون: قضايا الشعرية. ص105

(6) المرجع السابق. ص105-106.

(1) المرجع السابق. ص106.

بالنص الشعري و تشمل عنده: الصوت *phonologie*، و الخط *grapheme*، و الصرف *morphologie* و التركيب *syntaxe*"(2).

إنّ التوازي يحققه -حسب الدكتور جميل عبد المجيد- في البلاغة العربية كل من: المقابلة، و المزاوجة، و العكس و التبديل، و التفريق، و التقسيم، و الجمع مع التفريق، و الجمع مع التقسيم، و الجمع مع التفريق و التقسيم، و قد يتعاقد التوازي النحوي مع التوازي الصوتي في فنون بديعية أخرى و هي: التجزئة و الترصيع و المماثلة و التفويف (دائماً) و فنا التسميط و الشطير"(3).

أما صلاح فضل فيرى أنّه "كلما كان التوازي عميقاً متصلاً بالبنية الدلالية كان أحفل بالشعرية، و أكثر ارتباطاً بالتشاكل المكون للنسيج الشعري في مستوياته العديدة. و إذا كانت الأوزان الشعرية هي مرتكز هذا التوازي على المستوى الصوتي فإن أنماط الجمل النحوية و أطوالها و علاقاتها و مواقع عناصرها هي التي تعد مظهر تحققه على المستوى النحوي، مما يدخل فيما يسمى بنحو الشعر، و تؤدي ملاحظته و رصده إلى تكوين أجرومية للصيغ الشعرية كان التراث العربي فيما يبدو حافظاً لاكتشافها في الشعرية الحديثة"(4).

## 5.2 / الحذف: (élimination)

يحدد هاليداي و رقية حسن الحذف بأنه "علاقة داخل النص، و في معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، و هذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية". و في نظر دي بوجراند فإن الحذف يمثل استبعاداً للعبارة السطحية التي يمكن محتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو يعدل بوساطة العبارات الناقصة(5)؛ و يوضح الدارسون الفرق بين الحذف و الاستبدال "كون الأول 'استبدالاً بالصفراً، أي أن علاقة الاستبدال تترك أثراً، و أثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً، و لهذا فإن المستبدل يبقى مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال، و بعبارة أخرى، لا يحل محل المحذوف أي شيء، و من ثم نجد في الجملة الثانية فراغاً بنيوياً يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق"(1)، مثال ذلك ما أورده هاليداي و رقية حسن:

- يقرأ جون قصيدة ، و كاترين قصة.

(2) v.dijk : some aspects of text grammars.p.224-205

(3) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص124-126.

(4) صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص. ص215.

(5) دي بوجراند ، النص و الخطاب والإجراء ، ص301.

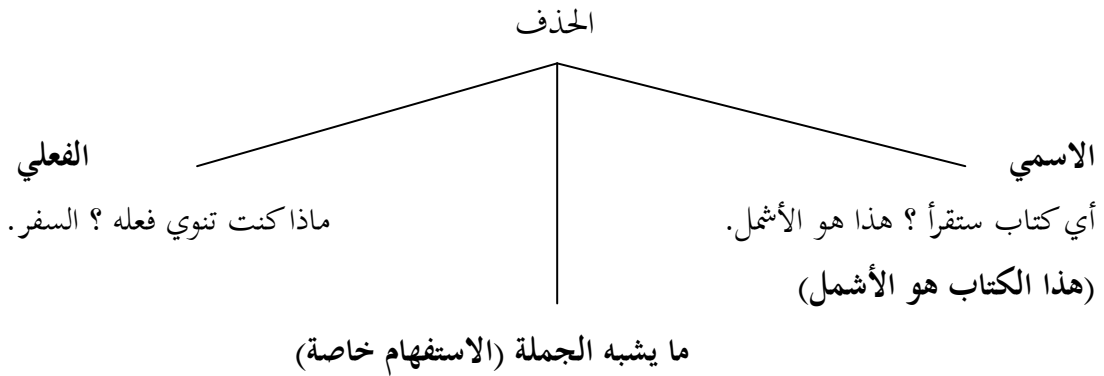
(1) محمد خطابي: لسانيات النص. ص21.

لكن محمد خطابي يرى " أن الحذف في هذا المستوى غير مهم من حيث الاتساق، وذلك لأن العلاقة بين طرفي الجملة علاقة بنويوية لا يقوم فيها الحذف بأي دور اتساق، و بناء عليه فإن (أهمية) دور الحذف في الاتساق ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل و ليس داخل الجملة الواحدة"(2).

أما الحذف في نظر صلاح فضل فيتمثل "في اختزال بعض عناصر الجملة اللازمة في السياق العادي على أن يفهم معنى العنصر المحذوف نتيجة لضرورة استقامة السياق النحوي و الدلالي. و هو شكل عام في جميع اللغات"(3). و هو ما يقرره طاهر سليمان حمودة إذ اعتبر أن الحذف أصبح ظاهرة لغوية "تشارك فيها اللغات الإنسانية، حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة"(4).

و يمكن أن يعتبر 'الاشتغال' النحوي - كما يقول صلاح فضل - من قبيل الحذف أيضا، خاصة إذا أعملت الثاني اعتمادا على توضيحه اللاحق للأول فتحذف اللاحق منه. كما يمكن أن تحذف أدوات الربط في مثل هذه الجمل، مما ينتج نوعا من سرعة الإيقاع و ديناميكية التعبير، و يتم ذلك في الشعر أو النثر، خاصة عند تعداد بعض الدرجات للوصول إلى ذروة التعبير المتصاعد مثل: تعال، اجر، طر، اخترق الجبال لي(5).

لقد حدد اللسانيون -بصفة عامة- أنواعا رئيسة للحذف بينها المخطط الآتي(6):



(2) محمد خطابي:لسانيات النص. ص22.

(3) صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص. ص212.

(4) طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي. ص6. / الفقي، ج2. ص191.

(5) صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص. ص212-213.

(6) طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ص253 وانظر cohesion in english ,p142-167-196

## كم ثمن الكتاب ؟ عشرون

كما اتفق النقاد قديما و حديثا على أن شرط الحذف أن يكون هناك دليل على المحذوف أو ما يسمى (القرينة)، " و أهمية وجود الدليل تكمن في كونه يحقق المرجعية بين المذكور و المحذوف في أكثر من جملة"<sup>(1)</sup>.

و يلاحظ صبحي إبراهيم الفقي أن التماسك في تراكيب الحذف يقوم على محورين أساسيين<sup>(2)</sup>:

- الأول: التكرار باللفظ نفسه، أو بالمعنى فقط، أو كليهما معا.

- الثاني: المرجعية سواء أكانت سابقة أو لاحقة.

وربما يكون من المجدي منهجيا تأكيد أهمية الوظيفة البلاغية للحذف في سلم الظواهر البلاغية العالمية باعتباره قاعدة كلية تخضع لها كل اللغات، ناهيك عن قيمته الجمالية فكثيرا ما يقرن الحذف بالبيان والبلاغة والشعرية ذلك "أن اكتمال عناصر الصياغة يدخلها منطقة الشفافية التي يستطيع المتلقي اختراقها سريعا إلى الناتج الدلالي، فلا تحصل للنفس لذة و لا ذوق بإدراك المعنى، أما الحذف فإنه يدخل البنية دائرة الكثافة، بحيث لا يخترقها المتلقي إلا بعد معاناة، فيكون اكتساب المعنى شبيها باكتساب التصور، فيزداد الكلام حسنا، و تزداد النفس لذة"<sup>(3)</sup>.

من خلال ما تقدم عن الحذف نرى أن هذا الأخير من أهم وسائل التماسك النصي التي تبرز أهمية المتلقي، إذ هو الذي يدرك -عبر آفاهه الكثيرة- مواضع الحذف و كيفية قيام هذا الحذف بوظائفه البلاغية و النصية، " فالمتلقي -كما أشار إلى ذلك بهاء الدين السبكي- يعي بطبعه دوافع الحذف، لأنه يدرك أن المحذوف مدلول عليه عقلا، و من ثم يكون ذكره عبثا، و هو ما يعني تدخل عملية (التخييل) في بناء هذا السياق، مما يؤكد بلاغيته، و يصلها إلى درجة عالية من الأدبية"<sup>(1)</sup>.

### 6.2/ الاستبدال أو الإبدال أو الإحلال (substitution)

تكاد تتفق جميع التعريفات حول الاستبدال مع تعريف هاليداي و رقية حسن كونه "عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"<sup>(2)</sup>، و يتحقق الإبدال في نظر دي بوجراند بارتباط

(1) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج2. ص208.

(2) المرجع السابق. ص221.

(3) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997. ص 221-222.

(1) المرجع السابق. ص218.

(2) هاليداي و رقية حسن: ص

مكونين نصيين يسمح لأحدهما بأن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأول<sup>(3)</sup>، مثال ذلك: قوله تعالى: [ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴿١٣﴾ (آل عمران / 13)، فنلاحظ هنا أن كلمة 'أخرى' حلت محل كلمة 'فئة' و دلت عليها.

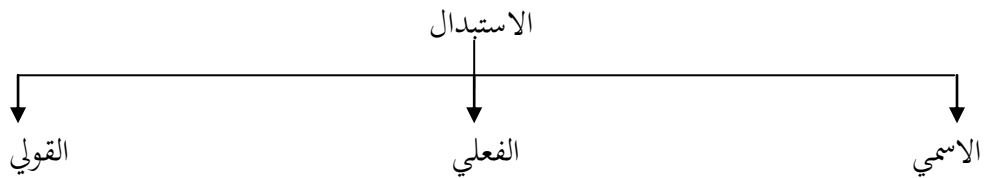
فالاستبدال إذن يعد علاقة اتساق، شأنه في ذلك شأن الإحالة، إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي-المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، و لئن كانت العلاقة بين عنصري الإحالة (المحيل و المحال إليه) علاقة تطابق، فإن العلاقة بين عنصري الاستبدال (المستبدل و المستبدل به\*) علاقة تقابل تقتضي إعادة التحديد و الاستبعاد (*répudiation*)<sup>(4)</sup>، كما أن معظم الاستبدالات النصية من طبيعة قبلية، فهي قائمة على علاقة بين عنصرين أحدهما متأخر والثاني متقدم<sup>(5)</sup>، و من ثم يمكن الحديث عن الاستمرارية ( أي وجود العنصر المستبدل، بشكل ما، في الجملة اللاحقة)، و لكي نوضح المقصود بـ 'الاستبعاد' نضرب المثال الآتي:

- قلمي لا يكتب أريد آخر. (يكتب).

إذ نلاحظ تقابلا بين قلمين أحدهما يكتب والآخر لا يكتب، مما يعني احتفاظ المتكلم بجزء من المعلومة المتعلقة بالقلم الذي يكتب ويستبعد ما يشير إلى الذي لا يكتب.

### 1.6.2 / أنواع الاستبدال:

يلخص المخطط الآتي أنواع الاستبدال النصي، كما وضحتها هاليدي ورقية حسن<sup>(6)</sup>:



فأما الاستبدال الاسمي فيكون فيه العنصر البديل متصلا باسم ورد ذكره في موضع سابق من النص كما في قوله تعالى: [ و الشياطين كلّ بناء و غواص#وأخرين مقرنين في الأصفاد ﴿٣٧-٣٨﴾ (سورة ص: الآية: 37-38)،

(3) دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص300.

\* يستعمل محمد خطابي مصطلحي المستبدل و المستبدل

(4) محمد خطابي: لسانيات النص. ص19-20-21.

(5) مصطفى صلاح قطب ، دراسة لغوية لصور التماسك النصي ، ص173.

(6) محمد خطابي: لسانيات النص. ص20.

فكلمة (آخرين) بديل عن كلمة (الشياطين) المذكورة سابقا، وأما الاستبدال الفعلي فيكون العنصر البديل فيه متصلا بفعل أو أفعال ورد ذكرها سابقا في النص مثل قوله تعالى: [ يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك# و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته ﴿ فاطر: الآية:10) ]، فقوله عز و جل: "تفعل" استبدال فعلي للجمل السابقة: "بلّغ ما أنزل إليك من ربك". وأما الاستبدال القولي فيكون باتصال العنصر البديل بقول كامل ورد ذكره سابقا مثل: قوله تعالى: [وقالت اليهود ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء، وهم يتلون الكتاب، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ﴿ فعبارة: "مثل قولهم" استبدال قولي من قولهم: "ليست النصارى على شيء".

لقد تطرق النحويون العرب إلى الإبدال أو البديل و لكن بوصفه تابعا من التوابع، و تحدث عنه النصيون أو النصانيون بوصفه وسيلة من وسائل التماسك النصي، لكن الاختلاف القائم بين البديل في النحو العربي، و الإبدال في علم اللغة النصي لا يمثل مانعا من الاعتراف بأن البديل في النحو العربي يحقق التماسك، لكن على مستوى الجملة الواحدة في الغالب"<sup>(1)</sup>، في حين أن الاستبدال في علم النص يعد مظهرا من مظاهر الكفاءة النصية -أي على مستوى النص ككل- و محققا لمبدأ الاستمرارية.

## **7.2/الوصل و الفصل(conjunction/disjunction)**

سئل بعضهم عن البلاغة فقال: "معرفة الفصل من الوصل"<sup>(2)</sup>، و يرى عبد القاهر الجرجاني: "أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض و دقيق صعب، إلا و علم هذا الباب أغمض و أخفى و أدق و أصعب"<sup>(3)</sup>.

إن عناية النحاة بمبحث الوصل و الفصل لا يقتصر على الدور الذي تقوم به أدوات العطف على المستوى الشكلي كونها تقوم بعقد علاقة إعرابية، لكنهم لاحظوا أيضا -على المستوى العميق- أن هذه الأدوات تضيف إلى الناتج الدلالي نوعا من المعنى الذي يرتبط (بالمواضعة)، أي المعنى الذي تؤديه في سياق معين، "فلكل أداة من أدوات العطف مهمة دلالية تختلف عن الأخرى، (فالواو) لمطلق الجمع، و (لا) لنفي الحكم عما بعدها، و (أو) للشك و الإبهام و التخيير و التقسيم و الإباحة، و(لكن) لإثبات الضد، و (بل) لتقرير الحكم، و (ثم) للمهلة، و (الفاء) للتعقيب، و (حتى) للغاية، و (أم) التي تؤدي معنى أي الاستفهامية، و معنى (بل)، و (إما) تؤدي معنى (أو) في الخبر و الشك و الإباحة و التخيير"<sup>(1)</sup>.

(1) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي. ص268.

(2) الجاحظ: البيان و التبيين. ص

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، 2002. ص245.

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية. ص308.

إلا أن "اعتماد البلاغيين على رصد المستوى العميق قد غيّر كثيرا من حالات الفصل و الوصل، بحيث إذا أدى (الفصل) إلى إنتاج دلالة غير مقصودة وجب (الوصل)، و إذا أدى (الوصل) إلى إنتاج دلالة غير مقصودة وجب (الفصل)"<sup>(2)</sup>.

و صفوة القول، فإن هذا المبحث لقي عناية كبيرة من لدن النقاد العرب و الغربيين قديما وحديثا، إذ لا يوفق للصواب فيه إلا من أوتي قسطا وافرا من البلاغة، ووزق ملكة تمكنه من معرفة مواضعه في الكلام، ونظرا لأهمية هذا المبحث وعظيم فائدته، فقد حاولنا الإشارة إلى مواضعه كما تحدث عنها النقاد العرب القدامى، ثم التطرق إليه من وجهة نظر علماء لغة النص المحدثين.

### 1.7.2/مواضع الوصل

يُعرّف الوصل بأنه "عطف جملة على أخرى بالواو و نحوها، و الفصل ترك هذا العطف"<sup>(3)</sup>، و الوصل عند هاليداي و رقية حسن "تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"<sup>(4)</sup>؛ و يقع الوصل لدى النقاد العرب القدماء في ثلاثة مواضع<sup>(5)</sup>:

**الأول:** إذا اتفقت الجملتان في الخبرية و الإنشائية لفظا و معنا أو معنى فقط، و لم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، و كانت بينهما مناسبة تامة كقوله تعالى: [إن الأبرار لفي نعيم و إن الفجار لفي جحيم] [الانفطار 13-14]، و قوله أيضا: [فادع و استقم كما أمرت] [الشورى 15]. و قوله عزّ و جلّ: [إني أشهد الله و اشهدوا أي برىء مما تشركون] [هود 54]، أي إني أشهد الله و أشهدكم، فتكون الجملة الثانية في هذه الآية إنشائية لفظا، و لكنها خبرية في المعنى. و نحو: اذهب إلى فلان و تقول له كذا، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظا و لكنها إنشائية معنى أي و قل له! فالاختلاف في اللفظ لا في المعنى المعول عليه، و لهذا وجب الوصل و عطف الجملة الثانية على الأولى لوجود الجامع بينهما، و لم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، و كل من الجملتين لا موضع له من الإعراب.

**الثاني:** إذا اختلفت الجملتان في الخبرية و الإنشائية و كان الفصل يوهم خلاف المقصود، كما تقول مجيبا لشخص بالنفي 'لا و شفاه الله! لمن يسألك هل برىء علي من المرض؟ فترك الواو يوهم السامع الدعاء عليه، و هو خلاف المقصود، لأن الغرض الدعاء له. و لهذا و جب أيضا الوصل و عطف الجملة الثانية على الأولى لدفع الإيهام، و كل من الجملتين لا محل له من الإعراب.

(2) المرجع السابق. ص 323.

(3) السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، 2002. ص 179.

(4) هاليداي و رقية حسن: /محمد خطاي، ص 22

(5) السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة. ص 181-182.

**الثالث:** إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب، و قصد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع نحو: علي يقول و يفعل، فجملة يقول في محل رفع خبر المبتدأ، وكذلك جملة: و يفعل، معطوفة على جملة يقول و تشاركها بأنها في محل رفع خبر ثان للمبتدأ.

و حكم هذه الجملة حكم المفرد المقتضي مشاركة الثاني للأول في إعرابه و الأحسن أن تتفق الجملتان في الاسمية و الفعلية، و الفعليتان في الماضوية و المضارعية، أي أن تعطف الاسمية على مثلها، و كل من الماضوية و المضارعية على مثلها، و كذا الاسميتان في نوع المسند من حيث الأفراد و الجمليّة و الظرفية، و لا يحسن العدول عن ذلك إلا لأغراض:

أ/ كحكاية الحال الماضية، و استحضار الصورة الغربية في الذهن نحو: [ إن الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله ﴿ الحج25﴾ ]، [ففرقاً كذبتم و فرقاً تقتلون﴿ البقرة 87﴾].

ب/ و كإفادة التجدد في إحداهما، و الثبوت في الأخرى، نحو: [أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴿ الأنبياء55﴾]، فقد لوحظ في الأولى إحداث تعاطي الحق، و في الثانية الاستمرار على اللعب، و الثبات على حالة الصبا، و نحو: الصديق يكتابني و أنا مقيم على ودّه.

لكن الدكتور صلاح فضل يرى "أن البحوث البلاغية القديمة في علم المعاني كانت تقتصر في جملتها على هذا المستوى من الترابط القائم بين وحدتين من القول فحسب، و ذلك عند تحليل مشكلات الفصل و الوصل، لا تكاد تتعدى هذا النطاق الجزئي المحدود، مما جعل جهدها ينصب على المستوى النحوي أو التركيبي القريب، دون أن يتجاوزوه إلى النطاق الدلالي للفقرة الكاملة أو المتتالية النصية، فضلاً عن أنه لم يشمل نصاً تاماً في البلاغة القديمة"<sup>(1)</sup>. و يستثني صلاح فضل تحليل حازم القرطاجني لقصيدة المتنبي التي مطلعها: أغالب فيك الشوق و الشوق أغلب، حيث أوردها "كاملة محلاً العلاقة بين أجزائها ووحداتها المكونة على هذا الأساس الدلالي الذي لا يقف عند حدود التعالق النحوي بين الجملتين"<sup>(1)</sup>.

و يبدو أن هذه النظرة إلى النسيج الداخلي المتشابك للنص، من المنظور النحوي، وجدت صداها لدى عالم اللسان الهولندي فان ديك *Van Dijk* الذي "خرج بالنحو من الانكفاء على دراسة البنية الصغرى ممثلة بالجملة، إلى العناية ببنية أكبر، مكونة من جملة متصلة طويلة تؤلف وحدة معنوية هي النص"<sup>(2)</sup>.

(1) صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992. ص264.

(1) المرجع السابق. ص264.

(2) إبراهيم خليل: في اللسانيات و نحو النص، ط1، دار المسيرة، الأردن، 2007. ص195.

و في نظر فان دايك فإنّ "العلاقات بين القضايا و الأحداث إنما يعبر عنها على نحو خاص بواسطة مجموعة من العبارات من مختلف لأنواع التراكيب مما يمكن أن نطلق عليه اسم الروابط. وقبل كل شيء تنتمي إلى هذه المجموعة روابط أصلها راجع إلى تركيب أنواع الوصل التشريكي (العطف) سواء منها المنسوقة أول الدالة على الفرعي من الجمل مثلا حرف (الواو)، و حرف (أو)، و أداة التعليل (لأن)، و كذلك (من أجل أن...)، و وظيفتها هو تكوين جمل (مركبة) من جمل (بسيطة). و على ذلك فعمل هذه الروابط هو حصول الإجراء الثنائي. و فئة ثانية من الروابط تؤخذ من أبواب الظروف الاسمية و الحرفية و ما تركب منها من شبه الجمل من مثل (مع أن)، و كذلك (بالرغم من أن)، و (نتيجة لذلك)، و تدل هذه الروابط أيضا على عوامل الإجراء لأنها قد تخرج جملا من أخرى و تميزها عنها، و مع أنها في العادة تعبر عن العلاقة بين القضايا، فإنه ينبغي أيضا أن ننظر ما إذا كانت هذه الظروف دالة على الإجراء الثنائي مما يقتضي أنها لا يجوز مثلا أن تقع في حال الأفراد أي في جمل غير مركبة. و يمكن أن تكون الجمل الظرفية بدورها مكونة من قضايا اسمية مسبقة بحروف ظرفية مركبة تحمل خاصية الربط، من نحو قولك (بموجب كذا)، (بالرغم من أن)، ( و كنتيجة لذلك)، و توجد زمرة رابعة من أدوات الربط قريبة الشبه أو منحرفة عن باب الظروف، فهي زمرة متنوعة من صيغ التعجب، و من بعض ما يدخل تحت أبواب الحروف الزائدة الملحقة في أول اللفظ أو آخره، و الظروف المنفية و بعض أدوات (التشريك) مما يغلب وجودها في اللغات الألمانية و الهولندية، و الإغريقية، و أيضا نعبر عنها في اللغة الإنجليزية بتنغيم الصوت و تمديد طبقتة و يجمل من نحو: أنت تعلم، و أليس كذلك و غيرها..."<sup>(3)</sup>.

لكن يرى فان دايك أنه من المستحسن أن يركز الباحث انتباهه على الروابط المأخوذة من وصل التشريك ( العطف) و من باب الظروف "لأن روابط الوصل التشريكية يمكن أن تقترن مع الروابط الظرفية (من مثل بالرغم من أن، و لكن مع ذلك..) إلا أنها لا تقترن مع عبارات من جنسها، و باجها، فلا تقول مثلا ( ثم لكن، لأن مع أن..)"<sup>(1)</sup>.

و يضع فان دايك في مقدمة أدوات العطف الواو *and*، و إذا كانت هذه الأخيرة لا تفيد -في اللغة العربية- "سوى الإشتراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعته فيه الثاني الأول"<sup>(2)</sup>، فإنها بالنسبة ل'فان دايك' تمثل سلسلة من الروابط الأخرى الكامنة فيها كمونا، و تكشف عن العلاقات المنطقية بين

(3) فان دايك: النص و السياق، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، 2000. ص 82-83.

(1) المرجع السابق. ص 83.

(2) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز. ص 240.

أجزاء الجملة الطويلة، و من هذه العلاقات المكانية، و السببية، و الحالية و الزمنية. و الشاهد على ذلك الجمل الآتية<sup>(3)</sup>:

[18] دخن جون السيجارة، و دخن بيتر الغليون (التدخين)

[19] ذهب جون إلى المكتبة و راجع قوائم الكتب.

[20] من فضلك اذهب إلى الدكان و اشتر لي نبيذا.

[21] دخن جون السيجارة و غادرت ماري البيت.

[22] تناولت دواء منوما و غشيني سبات عميق.

[23] هب لي بعض الوقت و سأبين لك كيف يمكن أن يعمل.

[24] ابتسم و يضحك مع العالم، اعشق و تعشق وحدك.

فلاحظ هنا أن استعمال حرف (الواو) اختلف من موضع لآخر، إذ أفادت نفس الوقت في الجملة [18]، و أفادت معنى هنا (المكان) في كل من [19-20]، كما أفادت في جملة [21] معنى إذن، و في [22] صار معناها: و على ذلك أو هكذا، و في [23-24] أصبح معنى هذه الواو هو: إذا كان... إذن فإن<sup>(4)</sup>.

إنّ هذه المعاني التي تؤديها أداة العطف لا تنبع من واقعها الصوتي أو الكتابي المجرد، و إنما من موقعها الخاص في النص أو في الفقرة منه؛ و ربما هذا ما دفع هاليداي و رقية حسن إلى تقسيم الوصل إلى أربعة أنواع، و هو تقسيم يكاد يلتقي مع ما ذهب إليه فان دايك، و لتوضيح هذه الأنواع يضرب لنا الباحثان المثال الآتي<sup>(1)</sup>:

-) قضى اليوم كله في تسلق الجبل الشديد الانحدار، و ذلك دون أن يتوقف تقريبا.

أ- و طوال هذا الوقت لم يلتق أحدا.

ب- مع ذلك لم يشعر بالتعب.

ج- و هكذا في المساء كانت الواحة [تبدو له] بعيدة في الأسفل.

د- ثم، في الغسق، جلس ليسترخ).

(3) فان دايك: النص و السياق، تر: عبد القادر قنبي، ص90.

(4) المرجع السابق. ص90.

(1) محمد خطابي: لسانيات النص. ص23.

إذ يتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الأداتين 'و' و 'أو'، و تندرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل...؛ و علاقة الشرح و تتم بتعابير مثل: أعني، بتعبير آخر... و علاقة التمثيل المتجسدة في تعابير مثل: مثلاً، نحو... أما الوصل العكسي الذي يعني 'على عكس ما هو متوقع' فإنه يتم بواسطة أدوات مثل (*but, yet*) و غيرها، و بتعابير مثل: (*nevertheless, however*)، إلا أن الأداة التي تعبر عن الوصل العكسي في نظر الباحثين هي *yet*.

وأما الوصل السببي فيمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، و يعبر عنه بعناصر مثل: (*therefore, hence, thus, so*)،... و تندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة و السبب و الشرط... و هي كما نرى علاقات منطقية ذات علاقة وثيقة بعلاقة عامة هي السبب و النتيجة. و يجسد الوصل الزمني، كآخر نوع من أنواع الوصل، 'علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنياً، و أبسط تعبير عن هذه العلاقة هو: *then*'<sup>(2)</sup>.

## 2.7.2/ مواضع الفصل

يقع الفصل بالنسبة للنقاد العرب في خمسة مواضع هي:<sup>(3)</sup>

**الأول:** أن يكون بين الجملتين اتحاد تام و امتزاج معنوي حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد، و يسمى ذلك "كمال الاتصال".

**الثاني:** أن يكون بين الجملتين تباين تام بدون إيهام خلاف المراد و يسمى ذلك "كمال الانقطاع".

**الثالث:** أن يكون بين الجملتين رابطة قوية، و يسمى "شبه كمال الاتصال".

**الرابع:** أن يكون بين الجملة الأولى و الثالثة جملة أخرى متوسطة حائلة بينهما فلو عطفت الثالثة على 'الأولى المناسبة لها' لتوهم أنها معطوفة على المتوسطة فيترك العطف، و يسمى "شبه كمال الانقطاع".

**الخامس:** أن يكون بين الجملتين تناسب و ارتباط لكن يمنع من عطفهما مانع و هو عدم قصد اشتراكهما في الحكم، و يسمى 'التوسط بين الكمالين'.

أما بالنسبة لفان دايك فإن "صدق الشرط المنطقي للفصل هو أن واحداً على الأقل من ضروب الجمل المفصولة ينبغي أن يكون صحيحاً"<sup>(1)</sup>، مثال ذلك :

- إني ذاهب إلى السينما أو أي ذاهب إلى زيارة خالتي.

(2) المرجع السابق. ص 23.

(3) السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة. ص 183.

(1) فان دايك: النص و السياق، تر: عبد القادر قنيني، ص 97.

"تكون هذه الجملة جائزة فقط إذا كان المتكلم ينوي أن يقوم إما بالفعل الأول أو الثاني في حال ووقت محدد (من المستقبل) فإذا قصد أن يفعلهما معا، فإن (استعماله) للجملة يكون استعمالا غير صحيح"<sup>(2)</sup>.

كما يفرق فان دايك بين الفصل الضروري و الفصل العرضي، "فأما الامتناع عن الجمع الضروري فقد ينبنى على عدم الاتساق المنطقي أو على مفهومه - فلا أستطيع أن أكون متزوجا و أعزبا في ذات الوقت... و يجري نفس الأمر على الخواص المتناقضة [منطقيا]،... أما ضروب الامتناع عن الجمع العرضي فقد توجد مثلا لتلك الضروب من اتفاق الأغراض و اشتراك المقاصد بالنظر إلى الأفعال المراد القيام بها مدة زمنية معينة كما هو واضح في الجملة [السابقة] "<sup>(3)</sup>؛ فمن الناحية الشكلية يبدو أن الجملتين منفصلتين، لكن من حيث الدلالة أو المستوى العميق ليس هناك ما يمنع من أداء الفعلين معا أو على الأقل في أوقات مختلفة لأنه أثناء المساء قد أذهب إلى السينما و أزور خالتي بعد نهاية العرض مثلا، و عليه فإن قضية تحديد الوقت مسألة ضرورية بالنسبة إلى فان دايك.

مع انتهاء عرض السبك نشير إلى ما تبّه إليه هاليداي و رقية حسن، حيث ذكرا أن للسبك درجات، و هي تتوقف على عدد الوسائل المستخدمة، فكلما ازداد عدد الوسائل السابقة في نص، ارتفعت درجة السبك فيه و من ثم درجة النصية، و العكس صحيح.

لكن بماذا نفسر غياب أدوات السبك في بعض النصوص، و مع ذلك تبدو أجزاءه آخذة بعضها برقاب بعض؟ هل يحتاج النص - كما يقول براون و يول- إلى مثل هذا الترابط على مستوى الأدوات حتى يكون نصا؟

يرى علماء لغة النص أنّ هناك مظهرا آخر لبناء الخطاب توضع فيه الجمل والفقرات إلى جانب بعضها دون أن تظهر بينها وسائل الربط الشكلية تلك التي أشرنا إليها سابقا، و يتمثل هذا المظهر في الحبك (*cohérence*). فما مفهومه؟ و ما هي مظاهره؟

ثانيا: المستوى الدلالي:

## 1/ مفهوم الانسجام أو الحبك (cohérence)

(2) فان دايك: النص و السياق، تر: عبد القادر قنبي، ص98.

(3) المرجع السابق. ص98.

يعتبر الحبكة (*coherence*) المعيار الثاني من معايير النصية عند دي بوجراند و دريسلر، إذ "يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص *textual world*، و نعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم *concepts* و العلاقات الرابطة *relations* بين هذه المفاهيم"<sup>(1)</sup>.

كما يقوم الحبكة - بالنسبة لمعظم الدارسين في مجال علم النص - على تلك العلاقات المنطقية والدلالية الكامنة في الخطاب، والتي تنظمه وتربط مكوناته بعضها ببعض فتجعل الخطاب المشتت ظاهريا منسجما مقبولا.

و الحبكة أو الانسجام أو الاقتران - كما يسميه البعض - "لا ينبع من محتوى النص فحسب، و إنما ينبع أيضا من العلاقة التي ينشئها مستعمل المقال - المتلقي - بين سلاسل الجمل، فيؤدي ذلك إلى النظر فيما سماه فان دايك البنية الكبرى *macro-structure* تمييزا لها عن البنية الصغرى، و هي الجملة"<sup>(2)</sup>.

ويرى صلاح فضل أنه "عن طريق مفهوم البنية الكبرى استطاع علماء النص مقاومة الفكرة الشائعة عن أن التماسك النصي يتحدد فحسب على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات و الجمل، لأن هذا المستوى الأخير لا يقدم سوى الأبنية الصغرى... و تظل البنية الكبرى هي التمثيل الدلالي الكلي الذي يحدد معنى النص باعتباره 'عملا كليا فريدا'، و بدون هذه البنية الكبرى و القواعد التي تحكمها و تكمن تحتها يمكن أن نزلق بسهولة إلى تصور التماسك النصي على اعتبار أنه مجرد رابط سطحي و خطي بين الوحدات الجزئية"<sup>(1)</sup>.

إن محلل الخطاب وهو يسعى إلى تحليل مظاهر الانسجام لا بد له من الربط بين الأقوال و سياقها التداولي والمقاصد التي تكمن وراءها والاعتبارات التي تجعل تلك الأقوال مقبولة من الناحية التداولية، وعبارة أخرى لا بد أن ينظر المحلل في مدى مناسبة المقال للمقام، أو ما يعرف عند اللسانيين 'بمعرفة العالم'.

لكن، ما هي مظاهر الانسجام؟ أو بعبارة أخرى، ما هي تلك العلاقات الدلالية و المنطقية التي تجعل من خطاب ما خطابا منسجما؟

## 2/ مظاهر الحبكة أو الانسجام:

### 1.2/التضمن:

(1) سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري. ص155.

(2) إبراهيم خليل: في اللسانيات و نحو النص. ص200.

(1) صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص. ص266.

يعتبر فان دايك أن الشرط الأول لضمان الانسجام هو العلاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجمل، و يعطي كمثال عن هذا الشرط الجملة الآتية<sup>(2)</sup>:

- جون أعزب، فهو إذن غير متزوج.

حيث أن مفهوم 'أعزب' ينطوي أو يتضمن على مفهوم 'غير متزوج' تبعا للمعنى المقتضى في اللغة الطبيعية، إلا أن فان دايك يرى أن شرطا كهذا ليس كافيا لكي نتحدث عن جملتين مترابطتين.

## 2.2/التطابق الإحالي:

يضرب لنا فان دايك المثال الآتي<sup>(3)</sup>:

- جون أعزب، و كذلك بيتر غير متزوج.

فهو مثال غير مقبول -في نظره- و من ثم ليس مترابطا، و هذا يقتضي إضافة شرط آخر إلى التضمن و هو التطابق الإحالي، أي أن يكون نفس الشخص متحدثا عنه في طرفي الجملة.

## 3.2/ تعالق الوقائع (أو الأحداث):

يعتبر شرط التطابق الإحالي غير كاف أيضا، و هو ما يجعل الجملة الآتية غريبة في نظر فان ديك<sup>(4)</sup>:

- جون أعزب، و على ذلك فهو يشتري أغاني كثيرة.

فبالرغم من أن المتحدث عنه هو نفسه -جون- إلا أننا لا ندرى من أي منظور يمكن أن يتعالق واقع كون جون أعزب وواقع شرائه كثيرا من الأغاني أو الأسطوانات. و عليه فإن الانسجام يتطلب شرطا أعم و هو تعالق الوقائع التي تشير إليها القضايا.

## 1.3.2/ الترتيب الزمني:

على أن ترابط الوقائع ينبغي أن يستجيب -بالنسبة لفان ديك- لبعض الشروط، منها الترتيب الزمني، فإذا كانت جملة مثل: (لقد كانت بالأمس حرارة مفرطة، فذهبنا إلى الشاطئ) مقبولة، فإن جملة مثل: (و بالأمس كانت الحرارة مفرطة، فذهبنا آخر الأسبوع إلى الشاطئ) غير مقبولة، و من ثم غير مترابطة لأنها لا تستجيب لشرط الترتيب الزمني<sup>(1)</sup>.

## 2.3.2/ تعالق العوالم الممكنة

(2) فان دايك: النص و السياق: تر: عبد القادر قنيني. ص75.

(3) المرجع السابق. ص75-76.

(4) المرجع السابق. ص76.

(1) المرجع السابق. ص76-77.

كما قد تحترم متتالية ما الترتيب الزمني ولكنها لا تكون مترابطة، و يقدم فان ديك مثالا لذلك بالجملة الآتية:

- لقد رأيت في منامي كون الحرارة شديدة، فذهبت إلى الشاطئ.  
إن واقع كون الطقس حارا في عالم الحلم ليس سببا عاديا للذهاب إلى الشاطئ في عالم فعلي، و من ثمَّ ينبغي أن يضاف شرط آخر إلى الترتيب الزمني و هو **تعالق العوالم الممكنة**. فمثل هذه الجملة تكون جائزة في نظر فان دايك، إذا كان حدث رؤية الحلم لها نوع من التعلق بحدث الذهاب إلى الشاطئ، مما يجعل جملة نحو: (لقد كان اليوم حارا جدا حتى أنني قد حلمت بأني ذهبت إلى الشاطئ) مقبولة، إذ يجوز أن تكون درجة الحرارة في العالم الواقعي قد أثرت في كوني حاملا على ذلك النحو بل و أيضا على محتوى الحلم، أي سبب وقوع الأحداث في العوالم التي يمكن الدخول إليها كان انطلاقا من العالم الواقعي.<sup>(2)</sup>

### 3.3.2/ علاقة السبب و النتيجة

يذهب فان ديك إلى أن أحد شروط تعالق الوقائع هو **علاقة السبب و النتيجة**، محدد السبب على الشكل التالي: "يسبب (أ) الحدث (ب) إذا كان (أ) شرطا كافيا لظهور (ب)". فكلما كان السابق شرطا كافيا للنتائج كانت الوقائع متعلقة؛ مثال ذلك: (ولأن جون لم يكلف نفسه عناء العمل فقد رسب في الامتحان)<sup>(3)</sup>.

و بالإضافة إلى علاقة السبب و النتيجة، فقد صنف المناطقة و علماء فقه اللغة أنماطا عديدة من العلاقات المنطقية يمكن توضيحها من خلال الأمثلة الآتية<sup>(1)</sup>:

- ذهاب جون إلى نيويورك، تسبب له في مقابلة ماري (السبب-الأثر)
- بالذهاب إلى نيويورك، قابل جون ماري (الوسيلة - النتيجة)
- لو كان جون ذهب إلى نيويورك، لكان قد قابل ماري (الشرط - الجواب)
- بما أن جون ذهب إلى نيويورك، فمن المؤكد أنه يقابل ماري (المفترض - النتيجة).

### 4.3.2/ النشاط المتمائل

يعتبر فان ديك علاقة الشرط و النتيجة التي تميز الترابط غير واردة دائما، و يوضح ذلك المثال الآتي:  
- لقد ذهبنا إلى الشاطئ، و لكن بيتر ذهب إلى المسبح.

(2) المرجع السابق. ص77.

(3) المرجع السابق. ص77.

(1) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص147.

ففي هذه الجملة لا يعبر الناتج (ذهاب بيتر إلى المسيح) عن قضية تشير إلى واقع يعد، بطريقة ما، نتيجة للواقع الذي يشير إليه السابق (ذهابنا إلى الشاطئ). و لكن الذي يضمن ترابط هذه الجملة هو "النشاط المتماثل" الحاصل تقريبا في نفس الوقت، أي "الذهاب إلى الشاطئ" و "الذهاب إلى المسيح" فالنشاط الممارس في كلتا الحالتين هو السباحة<sup>(2)</sup>.

### 5.3.2/ علاقات التعميم-التخصيص أو الإجمال-التفصيل

تعني علاقات التعميم-التخصيص، أو الإجمال-التفصيل، "إيراد معنى على سبيل الإجمال، ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه"<sup>(3)</sup>، مثل: قوله تعالى ( يوم تبيض وجوه و تسود وجوه، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون# و أما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون#) (آل عمران: الآية:106-108)، ففي العبارة الثانية تفصيل أو تفسير للحالة الإجمالية المثبة في العبارة الأولى، و هذه العلاقة-كثيرا ما-تقع في مستويات أعلى في النص، كما تشكل الملمح الأساسي للخطاب التفسيري.

### 6.3.2/موضوع التخاطب

يرى فان ديك أن الوقائع التي تشير إليها القضايا تكون متعاقبة بقدر ما تكون مرتبطة بموضوع التخاطب أو التحوار، و من ثم استبعد الجملة الآتية: (لقد ذهبنا إلى الشاطئ وقد ولد بيتر في مانثيستر)، لأن موضوع السابق فيها هو "الذهاب إلى الشاطئ"، بينما موضوع اللاحق هو "مكان ميلاد بيتر". و هكذا ينتهي الباحث إلى أن "الشرط الأدنى لتعلق القضايا المعبرة عنها في جملة أو سلسلة متوالية يكمن في ارتباطها مع نفس (أو تعلق) موضوع التخاطب...إلا أن هذا الترابط لا يحتاج إلى أن يكون تصوريا فحسب بل ينبغي أيضا أن يكون متحققا في الواقع على معنى أن أحوال المقام (كوحداث الزمان و المكان في العالم) تتخصص بحيث يصير الأفراد و الخواص و الأحداث مترابطة (على صفة من الهوية، و مبدأ السبق، و الحقوق، و التعاقب)"<sup>(1)</sup>.

إن المتأمل في الأبحاث الموجهة إلى دراسة الانسجام النصي يلاحظ بشكل لافت للنظر مدى استفادة تلك الأبحاث من تخصصات علمية متنوعة مثل علم الاجتماع وعلم النفس اللغويين والمنطق وغيرها، وكل ذلك في سبيل استكشاف الآليات الذهنية التي تتحكم في توليد الخطاب وبنائه وفهمه، كما يكتشف أيضا

(2) فان دايك: النص و السياق: تر: عبد القادر قنيني. ص 78.

(3) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص 146.

(1) فان دايك: النص و السياق: تر: عبد القادر قنيني. ص 82.

أن "التحليل الدلالي يعتمد في المقام الأول على كفاءة المفسر و ثقافته و خلفيته و قدرته على التفكيك و اكتشاف علاقات الترابط و الوحدة، و تمكنه من الانتقال من المضامين الظاهرة التي تنبئ أشكال الدلالة عنها إلى المضامين الخفية التي تكمن في المغزى"<sup>(2)</sup>.

و في ختام الحديث عن الانسجام و مظاهره، نشير إلى ما أشار إليه الدكتور جميل عبد المجيد، من أن هذه العلاقات الدلالية لها ما يقابلها في فن البديع العربي، و يتجسد ذلك خاصة في الأشكال الآتية: التكرار المعنوي(على مستوى الجمل)، تجاهل العارف، المقابلة، العكس و التبديل، الرجوع، القول بالموجب، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تأكيد الذم بما يشبه المدح، التفسير، التقسيم، الجمع ثم التقسيم، اللف و النشر، التقسيم ثم الجمع، المذهب الكلامي، المزوجة، الجمع مع التفريق، الجمع مع التفريق و التقسيم، التعليل، تشابه الأطراف، التسهيم، التفويف، الاستطراد، إيهام الاستطراد، التخلص، فصل الخطاب، التفريع، الإدماج، الاستتباع<sup>(3)</sup>. و يرى هذا الباحث أن هذه الفنون " تغدو بحكم ما فيها من علاقات دلالية، مؤهلة للإسهام في الحبكة، كما تغدو بحكم تجاوز معظمها مستوى الجملة و البيت من جهة، و قابليتها للتحقق على مستوى الفقرة و النص من جهة أخرى، تغدو مؤهلة للإسهام في الحبكة، فيما بين الجمل، و الفقرات، و النص بتمامه"<sup>(4)</sup>.

يرى محمد مفتاح "أن التضيد\* و التنسيق\* ليسا كافيين و إن كانا ضروريين، فقد تحتوي الجمل على أدوات التضيد و التنسيق و لكنها لا تكوّن نصا، و عليه فلا بد أن تضاف إليها عناصر أخرى يختلف الباحثون في عددها و في تسمياتها، و أهمها المرسل و المتلقي و القناة و الموضوع و المقام و الهدف، و إذا اجتمع التضيد و التنسيق و العناصر المذكورة فإن تلك الجمل تصبح نصا منسجما"<sup>(1)</sup>. لذلك أردنا التطرق في هذه الدراسة إلى عنصرين آخرين من عناصر النصية، بالإضافة إلى الاتساق و الانسجام، و هما التناص و المقامية، محاولين بذلك تحقيق مستويات البحث النصي المتمثلة في: المستوى النحوي، و المستوى الدلالي، و المستوى التداولي؛ لكن قبل ذلك نطرح التساؤل الآتي: ما مدى تحقق ظواهر السبك و الحبكة في مقالات "سجع الكهان" التي نحن بصدد دراستها؟

(2) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص. ص14.

(3) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص148-173.

(4) المرجع السابق. ص174.

\* التضيد: يقصد به أدوات العلائق النحوية الآتية: و، أو، أدوات الاستثناء، حروف التعليل، ما يدل على الغاية و الشرط و الجواب.

\* التنسيق: الإحالة بأنواعها، الضمائر بأنواعها، أسماء الإشارة بأنواعها، أل، أسماء الاستفهام بأنواعها، أفعال التفضيل، أنواع الموصولات، الإجمال و التفصيل، التكرار بأنواعه، الكناية، المجاز المرسل، الاستعارة.

(1) محمد مفتاح: التلقي و التأويل، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994. ص158.

للإجابة عن هذا السؤال سنكتفي بتحليل نموذج فقط من كل مقالة، نظرا للطول الذي تتسم به كل واحدة منها، بشرط أن تتوفر هذه النماذج على قدر من مظاهر السبك و الحبك بحيث يسمح لنا بتعميم الحكم على كل مقالة من المقالات.

### التحليل:

#### نموذج من المقالة الأولى:

"أيتها البحيرة مالك في حيرة؟ لقد شهدت لبدر بن عمار بالفتوة، فهل تشهدين لأبي الطيب بالنبوة؟... و حدّثني الوليّ يا (ولية)، أيّهما كان عليك بلية؛ ذاك الذي وردك زائرا، أم هذا الذي وردك خائرا؟ إنهما لا يستويان؛ ذاك أسد غاب، رزقه في الناب، و هذا حلف وجار، رزقه على الجار؛ ذاك يعيش على فرائسه، و هذا يعيش على فضلات سائسه؛ ذاك رمز إقدام، و هذا موطئ أقدام؛ ذاك ورد الفرات زئيره، و هذا جاوز الفرات تزويره؛ ذاك مشغول البال بتربية الأشبال، و هذا مشغول... بعرس الغول"<sup>(2)</sup>. نستطيع من خلال هذا النموذج أن نقف على مظاهر السبك و الحبك و ذلك بالإشارة على الأدوات الآتية:

- الإحالة: و هي من أهم الأدوات التي أدت إلى سبك و حبك النص، و يوضّح ذلك ما يأتي:

شهدت ← تاء التأنيث تحيل إحالة قبلية إلى البحيرة

تشهدين ← الضمير المخاطب المؤنث المستتر 'أنت' يحل إحالة قبلية إلى البحيرة

حدّثني ← ياء المخاطب قبلها كسرة تحيل إحالة قبلية إلى البحيرة

عليك ← كاف المخاطب تحيل إحالة بعدية إلى الولية

ذاك ← اسم إشارة يحيل إحالة خارجية إلى

الذي ← اسم موصول يحيل إحالة خارجية إلى

وردك ← كاف المخاطب تحيل إحالة قبلية إلى الولية

هذا ← اسم إشارة يحيل إحالة خارجية إلى

الذي ← اسم موصول يحيل إحالة خارجية إلى

إنّهما ← الضمير المتصل 'هما' يحيل إحالة خارجية إلى

رزقه، زئيره، فرائسه ← الهاء في الكلمة الأولى تحيل إحالة قبلية إلى

رزقه، تزويره، سائسه ← الهاء في الكلمة الأولى تحيل إحالة قبلية إلى

(2) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3. ص 520.

- التوازي: في قوله: (ذاك الذي وردك زائرا، أم هذا الذي وردك خائرا؟ إنهما لا يستويان؛ ذاك أسد غاب، رزقه في الناب، و هذا حلف وجار، رزقه على الجار؛ ذاك يعيش على فرائسه، و هذا يعيش على فضلات سائسه؛ ذاك رمز إقدام، و هذا موطئ أقدام؛ ذاك ورد الفرات زئيره، و هذا جاوز الفرات تزويره)، إذ نلاحظ تقابلا في التركيب النحوي، و تشابها في النعمة و ذلك كما يأتي:

ذاك ←	اسم إشارة	→ هذا
الذي ←	اسم موصول	→ الذي
وردك ←	فعل ماضي + الضمير (الكاف)	→ وردك
زائرا ←	حال	→ <u>خائرا</u>

ذاك ←	اسم إشارة	→ هذا
أسد ←	خبر	→ حلف

(تمائل صوتي داخلي)	{	غاب ←	صفة	→ <u>وجار</u>
		رزقه ←	مبتدأ + الضمير 'الهاء'	→ رزقه
		في الناب ←	جار و مجرور	→ <u>على الجار</u>

ذاك ←	اسم إشارة	→ هذا
رمز ←	خبر	→ <u>موطئ</u>
إقدام ←	مضاف إليه	→ أقدام

ذاك ←	اسم إشارة	→ هذا
ورد ←	فعل ماضي	→ جاوز
الفرات ←	م. به	→ الفرات
زئيره ←	فاعل + الضمير 'الهاء'	→ <u>تزويره</u>

- الحذف في قوله (و هذا مشغول... بعرس الغول)، وربما كان الحذف ضروريا هنا لتوافق الفواصل بين (مشغول- الغول)، فلو أضاف الكاتب كلمة (البال) إلى كلمة (مشغول) كما هو الحال في الجملة الأولى

لاختل الإيقاع الموسيقي، ذلك لأن لها - أي كلمة البال- ما يقابلها في الجملة الأولى و هي كلمة (الأشبال)، وهذا ما لم يتوفر في الجملة الثانية. وهناك شيء أهم من حيث الدلالة و هو أن معنى عبارة (مشغول البال) في الجملة الأولى يحمل دلالة القلق و الأرق و التفكير المتواصل في مستقبل الأشبال الذي هم آمال هذه الأمة، لكن في المقابل لو أضف الإبراهيمي كلمة (البال) إلى مشغول في الجملة الثانية لم و لن يستقيم المعنى، لأن الإنسان الذي يحضر عرسا ما يكون مستمتعا بوقته بعيدا عن القلق و التفكير في أمور تهمّه و تغمّه، فشتان ما بين الحالتين.

### نموذج من المقالة الثانية:

"أيها العربي: الحق سافر، و العدو كافر، و القوي ظافر، فعلام تنافر خصمك إلى خنافر؟ و يلك إنّ المنافرة لا تكون إلا في المشكوك، و إنّ الحق تحميه السيوف لا الصكوك؛ و يحك إن منافرة الكهنة إلى الكهنة، بالخبية مرهنة، مجلس الأمن مخيف، و الراضي بحكمه ووضعه ذو عقل سخيف، إنهم ليسوا من شكلك، و إنهم متفقون على أكلك"<sup>(1)</sup>.

تتجلى مظاهر السبك و الحبك في هذه الفقرة من خلال الأدوات الآتية:

- التوازي في قوله:(الحق سافر، و العدو كافر، و القوي ظافر)؛ إذ تكوّنت هذه العبارة من جمل متماثلة في الطول و النغمة و التركيب النحوي كالاتي:

الحقّ سافر	←	مبتدأ + خبر
العدوّ كافر	←	مبتدأ + خبر
القويّ ظافر	←	مبتدأ + خبر

تشابه الخبر في النغمة (بافر).

- الإحالة في قوله:(خصمك، و يلك، و يحك، شكلك، أكلك)، ف(الكاف) في جميع هذه الكلمات تحيل إحالة داخلية قبلية إلى (العربي).

- الإحالة الخارجية في قوله:( فعلام تنافر خصمك إلى خنافر)، ف(خنافر بن التوءم) كاهن معروف، و قد أشرنا إليه في الفصل الأول من هذا البحث.

- التكرار الجزئي في قوله: (تنافر، المنافرة، منافرة) إذ تنتمي هذه الكلمات إلى جذر لغوي واحد و هو (نفر)، و المنافرة من "الاستنفار: بمعنى الاستنجد و الاستنصار، أي طلب النصر... و نافرت الرجل منافرة إذا قاضيته،... و المنافرة المفاخرة و المحاكمة..."<sup>(1)</sup>.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص523.

(1) ابن منظور: لسان العرب، م5. ص225-226.

- علاقة السبب-النتيجة في قوله: (و يلك إنّ المنافرة لا تكون إلاّ في المشكوك)، فكل مسألة مشكوك فيها، أو اختلف حولها، سبب في المنافرة أو الاحتكام إلى قاض أو حاكم ليفصل في تلك المسألة، و عليه كانت المنافرة نتيجة لذلك الشك أو الاختلاف.

- علاقة المفترض - النتيجة في قوله: (و إنّ الحقّ تحميه السيوف لا الصكوك)، فالتأمل في صفحات التاريخ يدرك أن حماية الحق اقتضت من صاحبه دائما حملا لراية الجهاد و الدفاع عنه، أما القبول بالوعود الكاذبة، و الخطب الجوفاء أمام الملأ، فهيهات أن تأتي بنتيجة.

كما نجد في هذه الجملة أيضا إحالة في قوله(تحميه)، إذ أن (الماء) تحيل إحالة قبلية إلى (الحق)؛ بالإضافة إلى ذلك نجد "الحذف الفعلي"، لأن أصل الجملة:(و إنّ الحقّ تحميه السيوف لا [تحميه] الصكوك)، فحذف كلمة 'تحميه' لأن القارئ يستطيع أن يهتدي إليها اعتماد على ما ورد في الجملة الأولى.

- علاقة الوسيلة- النتيجة في قوله: (ويحك إن منافرة الكهنة إلى الكهنة، بالخبية مرتهنة)، ذلك أن الله عز و جلّ قد أزهد الكهانة و قضى على أباطيل الكهّان بنزول القرآن الكريم، و بعث خاتم النبيين.

- النشاط المتماثل في قوله: (ويحك إن منافرة الكهنة إلى الكهنة، بالخبية مرتهنة، مجلس الأمن مخيف، و الراضي بحكمه ووضعه ذو عقل سخيف)؛ إن النشاط المتماثل هنا هو 'المنافرة'، فكما أن منافرة الكهنة إلى الكهنة بالخبية مرتهنة، كذلك الأمر بالنسبة إلى منافرة الدول القوية [الظالمة] إلى مجلس الأمن، لأن قرارات هذا الأخير خاضعة لهيمنة و إرادة تلك الدول، و من ثم ستكون نتيجة هذه المحاكمة بردا و سلاما على هؤلاء، أما تلك الدول التي لجأت إلى ذلك المجلس فقد كانوا من الذين ظل سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

و في هذه الجملة نجد أيضا الإحالة في قوله:(بحكمه و وضعه)، إذ أن (الماء) تحيل إحالة قبلية إلى مجلس الأمن مما ساهم في اتساق الجمل.

- كما أن قوله:( مجلس الأمن مخيف، و الراضي بحكمه ووضعه ذو عقل سخيف)؛ يحيل إحالة خارجية إلى قرارات مجلس الأمن الجائرة و الخاضعة لأطماع الدول الظالمة.

- تعالق الوقائع في قوله: (إنهم ليسوا من شكلك، و إنهم متفقون على أكلك)، فلأن تلك الدول بما فيها مجلس الأمن تنتمي إلى أصل واحد وهو ذلك العدو الكافر، فقد كان هدفهم واحدا أيضا و هو القضاء على العرب و المسلمين.

بالإضافة إلى ذلك ارتبطت الجملتان بما سبقهما من خلال الإحالة القبلية بواسطة الضمير(هم) في قوله (إنهم)، في إشارة إلى تلك الدول الغاصبة.

- أما من حيث استعمال أدوات الوصل فقد كان حرف (الواو) أداة السبك الرئيسية التي أدت إلى ترابط الجمل في المقالة ككل بمساعدة أدوات السبك و الحبك الأخرى، مما أشرنا إليه من خلال تحليلنا لهذه الفقرة.

### نموذج من المقالة الثالثة:

"أيها الأعراب، هل فيكم بقايا من حرب أو محارب؟ دبّت بينكم العقارب، و أنتم أقارب، فتكدّرت المشارب، و تقوّضت المضارب؛ و كهتمت المضارب، و غاب المسدّد في الرأي و المقارب، و لم تغن النذر و المثالات و التجارب، إن لدهاة المغارب يدا خفية المسارب، قرأوكم سطورا لا رجالا، و عرفوكم بطاء على الجلّي لا عمجالا، و حفظوكم شعرا بلا روي، وفكرا بلا رويّة فأخذوكم ارتجالا، و خالوكم على البعد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا، و حسبوكم عمدا في التركيب الأعمي، فألفوكم مفاعيل و أحوالا، فأعربوكم إعراب الفضلات، و عاملوكم معاملة المهملات، و راضوكم على المهانة حتى ذل جانبكم، ووطّعت مناكبكم، فأصبحوا لا يبالون برضاكم لأنه لا ينفع، و لا يأبهون لسخطكم لأنه لا يضر. إن الغضبة لا تعقبها وثبة، هي غضبة الذليل العاجز؛ و لو افترت كل بارقة\* منكم عن صاعقة، لما حمد شائموها\* القطر؛ إن غضبة العاجز لا تُبكي و لا تُنكي، تشتعل في الحنايا و لا تهدم الحنايا، تحرق صاحبها و لا تُحرق الناس، و تلك هي غضبتكم حين تغضبون"<sup>(1)</sup>.

يستطيع محلل الخطاب أن يقف على مظاهر السبك و الحبك في هذه الفقرة من خلال ما يأتي:

- الحذف في قوله: (هل فيكم بقايا من حرب أو محارب؟)، فالأصل في الجملة أن تكون كالاتي: (هل فيكم بقايا من حرب أو هل فيكم بقايا من محارب؟)، لكن الكاتب حذف الجملة الاستفهامية (هل فيكم بقايا من) تجنبا للتكرار و بحثا عن الإيجاز، كما أنه يدرك أن القارئ يستطيع إدراك العلاقة الدلالية الكامنة في المستوى العميق من هذه الجملة.

- التكرار الجزئي في قوله: (حرب-محارب، أقارب-المقارب)، إذ ينتميان إلى مادة لغوية واحدة و هي مادة 'حرب'، و مادة 'قرب' .

- الإحالة في قوله: (فيكم، بينكم، أنتم، قرأوكم، عرفوكم، حفظوكم، فأخذوكم، خالوكم، فوجدوكم، حسبوكم، فألفوكم، فأعربوكم، عاملوكم، راضوكم، جانبكم، غضبتكم، برضاكم، لسخطكم، منكم،

\* البارقة: سحابة ذات برق.

\* شائموها: شام السحاب و البرق شَيْما: نظر إليه أين يقصد و أين يخطر، و قيل هو النظر إليهما من بعيد.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص524.

مناكبكم)، إذ أن "كاف" المخاطب و "ميم" الجماعة بالإضافة إلى ضمير المخاطب "أنتم" كلها تحيل إحالة قبلية إلى "الأعراب"، أما الضمير المستتر "هم" فيحيل إحالة قبلية إلى "دهاة المغارب"، و هذا ما جعل النص على درجة كبيرة من السبك.

التشابه في + الحروف الأخيرة (ا،ر،ب) وحدة النغمة	}	- التوازي في قوله (فتكدرت المشارب، و تقوّضت المضارب؛ و كهمت المضارب)					
		فاعل	فعل ماضي	فاعل	فعل ماضي	فاعل	فعل ماضي
			+		+		+
			تاء التأنيث		تاء التأنيث		تاء التأنيث

- علاقة السبب - النتيجة في قوله: (دبت بينكم العقارب، و أنتم أقارب) ← السبب  
 (فتكدرت المشارب، و تقوّضت المضارب؛ و كهمت المضارب، و غاب المسدّد في الرأي و المقارب، ولم تغن النذر و المثالات و التجارب) — النتيجة.

- كما نجد في هذه الجملة الأخيرة إحالة في قوله (فتكدرت المشارب، و تقوّضت المضارب؛ و كهمت المضارب)، حيث أن (تاء) التأنيث تحيل إحالة بعدية إلى كلّ من: (المشارب، المضارب، المقارب) على التوالي؛ أما تكرار (المضارب) فهو تكرار لفظ دون المعنى، ذلك أنّ (المضارب) الأولى بمعنى الخيام<sup>(1)</sup>، أما (المضارب) الثانية فمأخوذة من "ضريبة السيف و مضربُه و مضربُه... أي حدّه"<sup>(2)</sup>، و "سيف كهام و كهيم: لا يقطع"<sup>(3)</sup>.

- التكرار الجزئي من خلال الترادف في قوله: (النذر، المثالات، التجارب)، فجميع هذه الكلمات تشير إلى معنى واحد و هو كلّ ما يُجذّر و يُعتبر به؛ و قوله أيضا (المهملات - الفضلات)، (بيالون - يأمجون)،  
 - علاقة الإجمال - التفصيل في قوله: (إن لدهاة المغارب يدا خفية المسارب، قرأوكم سطورا لا رجالا، و عرفوكم بطاء على الجلى لا عجالا، و حفظوكم شعرا بلا روي، وفكرا بلا رويّة فأخذوكم ارتجالا، و خالوكم على البعد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا، و حسبوكم عمدا في التركيب الأمي، فألفوكم مفاعيل و أحوالا)، ذلك أن قوله (إن لدهاة المغارب يدا خفية المسارب) إجمال لما سيأتي بعدها، حيث أن هذه اليد - يد العدو - تنتشر في مسالك خفية لتشمل معرفة أحوال العرب، و طريقة تفكيرهم، و مكائنتهم بين الأمم.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 524.

(2) ابن منظور: لسان العرب، م 1، ص 544.

(3) المصدر السابق: م 12، ص 529.

- و قد تضمنت هذه الفقرة الحذف في قوله (قرأوكم سطورا لا رجالا) ← (ولم يقرأوكم) رجالا.  
 و كذلك قوله (و عرفوكم بطاء على الجلى لا عجالا) ← (و لم يعرفوكم) عجالا.  
 - المصاحبة المعجمية في قوله (سطورا - رجالا، بطاء - عجالا، البعد - القرب، أعمالا - أقوالا، خالوكم - فوجدوكم، حسبوكم - فالفوكم، عمدا - مفاعيل و أحوالا)، بالإضافة إلى قوله (رضاكم - سخطكم، ينفع - يضر، تحرق - لا تحرق، صاحبها - الناس) إذ نلاحظ أن كل لفظة ارتبطت بأختها مثنى مثنى بحكم علاقة التباين أو ما يسمى التعاكس أو الاختلاف أو التضاد.

- الإحالة في قوله: (فأصبحوا لا يبالون برضاكم لأنه لا ينفع، و لا يأبهون لسخطكم لأنه لا يضر. إن الغضبة لا تعقبها وثبة، هي غضبة الذليل العاجز؛ و لو افترت كل بارقة\* منكم عن صاعقة، لما حمد شائموها\* القطر؛ إن غضبة العاجز لا تُبكي و لا تُنكي، تشتعل في الحنايا و لا تهدم الحنايا، تحرق صاحبها و لا تُحرق الناس، و تلك هي غضبتكم حين تغضبون)، فالقارئ لهذه الفقرة يلاحظ أن حرف "هاء" ساهم بشكل كبير في الربط بين الجمل و ذلك من خلال الإحالة القبلية إلى ما سبقه، و يمكن توضيح ذلك من خلال ما يأتي:

لأنه ← الهاء تحيل إلى الرضى

لأنه ← الهاء تحيل إلى السخط

تعقبها ← الهاء تحيل إلى الغضبة

شائموها ← الهاء تحيل إلى البارقة

صاحبها ← الهاء تحيل إلى غضبة العاجز.

- علاقة السبب - النتيجة في قوله: (قرأوكم سطورا لا رجالا، و عرفوكم بطاء على الجلى لا عجالا، و حفظوكم شعرا بلا روي، وفكرا بلا روية فأخذوكم ارتجالا)، فجملة (فأخذوكم ارتجالا) نتيجة لما سبقها (قرأوكم..... بلا روية)؛ و كذلك قوله: ( و خالوكم على البعد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا، و حسبوكم عمدا في التركيب الأمي، فالفوكم مفاعيل و أحوالا، فأعربوكم إعراب الفضلات، و عاملوكم معاملة المهملات)، إذ أن قوله (إعراب الفضلات، و عاملوكم معاملة المهملات) نتيجة لما تقدم من قوله (و خالوكم... مفاعيل و أحوالا)؛ و الأمر نفسه بالنسبة لقوله (و راضوكم على المهانة حتى ذل جانبكم، و ووطت مناكبكم، فأصبحوا لا يبالون برضاكم لأنه لا ينفع، و لا يأبهون لسخطكم لأنه لا يضر)، حيث

\* البارقة: سحابة ذات برق. /ابن منظور: لسان العرب، م10. ص18.

\* شائموها: شام السحاب و البرق شيما: نظر إليه أين يقصد و أين يمطر، و قيل هو النظر إليهما من بعيد. /المصدر السابق. م12. ص330.

أن قوله (و راضوكم على المهانة حتى ذل جانبكم، ووطئت مناكبكم) سبب لما يأتي بعدها من قوله (فأصبحوا لا يباليون برضاكم لأنه لا ينفع، و لا يأبجون لسخطكم لأنه لا يضر).

- التكرار لكلمة "غضبة" سواء من خلال تكرار العنصر المعجمي نفسه أو من خلال الضمائر "هي، تلك، ها"، و ذلك في قوله (إن الغضبة لا تعقبها وثبة، هي غضبة الدليل العاجز؛ و لو افترت كل بارقة منكم عن صاعقة، لما حمد شائموها القطر؛ إن غضبة العاجز لا تُبكي و لا تُنكي، تشتعل في الحنايا و لا تهدم الحنايا، تحرق صاحبها و لا تُحرق الناس، و تلك هي غضبتكم حين تغضبون).

- علاقة المفترض - النتيجة في قوله: (و لو افترت كل بارقة منكم عن صاعقة، لما حمد شائموها القطر)، و معنى هذا أن مثل غضبتكم كمثل سحابة شديدة الصواعق إلا أنها قليلة المطر.

- تكرار اللفظ دون المعنى في قوله (تشتعل في الحنايا و لا تهدم الحنايا)، ف"الحنايا" الأولى من "الحنيّة: أي القوس"<sup>(1)</sup>، أما "الحنايا" الأخرى فهي بمعنى "الحانوت، فاعول من حنوت، تشبيها بالحنيّة من البناء... و كانت العرب تسمي بيوت الخمارين الحوانيت..."<sup>(2)</sup>.

- التضمن في قوله: (قرأوكم، عرفوكم، حفظوكم) فهذه الكلمات تتضمن في مدلولها على "التعلم".

### نموذج من المقالة الرابعة

"يا بلاد الأذواء\*، لا أقول: وقيت الأسواء، و لا سقيت الأنواء، و لكن أقول: ثكلت الأبناء، يا مطارح الأبناء، فكل أدوائك من أبنائك، و إذا كان الولد سخنة عين و مجلبة عرّ و شين، فالشكل فيه نعمة لا رزية، و العقم به فضل و مزية.

سموك السعيدة فشقيت بمن ولدت، و ما سعدوا و لا سعدت؛ فأين أنت اليوم ممن كنت سعيدة بهم و كانوا سعداء بك؟ أين أنت من سعد العشيرة و حماة الأهل و الجيرة؟ أين أنت من حمير و أشياعهم و تبّع و أتباعهم؟ أين؟ لا أين..."

أما ظفار، فقد حالف عهدا الإخفار، و خالف ظلامها الإسفار، و أما حضرموت، فقد ساورها الموت، و جاورها الخسران و الفوت، و حاورها النجىّ فما سمع لها صوت، و أما صنعا، فما أحسن بنوها صنعا، قد أصبحت خرقاء، و عطلت من طوق الوراق، و عقت أن تتمخض عن المعية (زرقاء)، ما حاكت في عبقرى الأزمنة و لا وشت، و طار الناس فما حبت و لا مشت

(1) ابن منظور: لسان العرب، م14. ص203.

(2) المصدر السابق، م14. ص205.

\* الأذواء: هم الذين يلون الأقيال في الحكم، و الأذواء جمع ذو، منهم: ذو فيفان، ذو يهر، ذو يزن... أما القيل (مفرد الأقيال): فهو الذي يخلف الملك في مجلسه، ويحكم فلا يرد حكمه. و بلاد الأذواء هي اليمن.

انعكست الخصائص و غلبت النقائص، و أعوز الجوّ الطائر حين أعوز البحر الغائص<sup>(1)</sup>.

يمكن لمحلل الخطاب أن يقف في هذه الفقرة على مظاهر عديدة للسبك و الحبك منها:

- الإحالة في قوله: (وقيت، سقيت، كنت، ثكلت، أدوائك، أبنائك، سموك، فشقيت، ولدت، سعدت، أنت، كنت، بك)، فتاء التأنيث بالإضافة إلى الضمير المتصل 'الكاف' و ضمير المخاطب 'أنت' تحيل كل هذه الأدوات إحالة قبلية إلى "بلاد الأذواء".

- التكرار سواء من خلال تكرار العنصر المعجمي نفسه و المتمثل في الاستفهام في قوله: (أين أنت)، أو من خلال الترادف في قوله: (فكل أدوائك من أبنائك، و إذا كان الولد سخنة عين و مجلبة عرّ و شين، فالشكل فيه نعمة لا رزية، و العقم به فضل و مزية)، و يتضح ذلك بما يأتي:

الولد = الابن

الشكل = العقم ( فقد الأبناء )

الفضل = المزية

بالإضافة إلى تكرار اللفظ دون المعنى في قوله (و لكن أقول: ثكلت الأبناء، يا مطارح الأبناء)، حيث أن الأبناء الثانية تحيل إلى طائفة من الفرس الذين استوطنوا اليمن، أما الأولى فهي بمعنى الولد.

- علاقة السبب-النتيجة في قوله: (فكل أدوائك من أبنائك).  
السبب النتيجة

- علاقة الشرط-الجواب في قوله (و إذا كان الولد سخنة\* عين و مجلبة عرّ و شين، فالشكل فيه نعمة لا رزية، و العقم به فضل و مزية).  
جملة الشرط جواب الشرط

- كما نجد في هذه الجملة إحالة في قوله (فالشكل فيه... و العقم به)، حيث تحيل الهاء إحالة قبلية إلى الولد، و هذا ما زاد في قوة السبك بالإضافة إلى علاقة الشرط- الجواب التي أشرنا إليها سابقا.

- التكرار الجزئي في قوله: (السعيدة، سعدوا، سعدت، سعيدة، سعداء، سعد العشيرة)، فهذه الكلمات تنتمي إلى جذر لغوي واحد و هو مادة "سعد".

- الإحالة في قوله: (سموك السعيدة فشقيت بمن ولدت، و ما سعدوا و لا سعدت؛ فأين أنت اليوم ممن كنت سعيدة بهم و كانوا سعداء بك؟)، فقد احتوت هذه العبارة على إحالة قبلية إلى الأبناء من خلال

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص528.

\* سخنة العين: نقيض قرّتها.

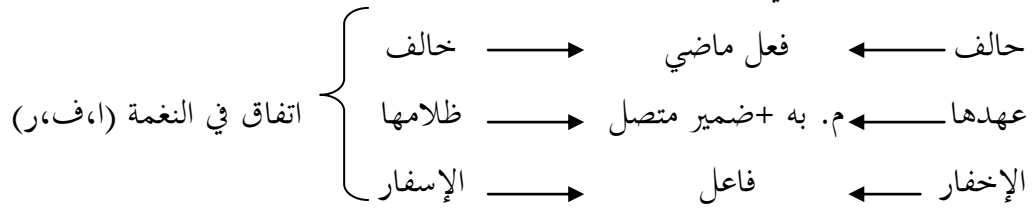
'واو' الجماعة و ضمير الغائب 'هم' تارة، و الاسم الموصول 'من' تارة أخرى؛ أما قوله (سموك) فهي إحالة خارجية بواسطة الضمير المستتر 'هم' الذي يجبل إلى العرب الذين أطلقوا اسم 'السعيدة' على بلاد الأذواء .  
 - الحذف في قوله: (أين أنت من حمير و أشياعهم و تبّع و أتباعهم؟)، فتقدير هذه الجملة هو: (أين أنت من حمير و أشياعهم، و [أين أنت من] تبّع و أتباعهم؟ و هو حذف قولي لجأ إليه الكاتب نظرا لتكرار هذه العبارة أكثر من مرّة على مستوى الفقرة ككل.

- كما نجد في هذه العبارة الإحالة بالإضافة إلى التكرار بواسطة الترادف، أما الأولى فتظهر من خلال الضمير "هم" في كل من:

أشياعهم ← إحالة قبلية إلى حمير

أتباعهم ← إحالة قبلية إلى تبّع

و أما التكرار فيتمثل في ذكر هاتين الكلمتين أي "الأشياء، الأتباع"، فهما يدلان على معنى واحد.  
 - التوازي في قوله: (أما ظفار، فقد حالف عهدها الإخفار، و خالف ظلامها الإسفار) و يمكن توضيح ذلك من خلال ما يأتي:



- و "الهاء" في كل من (عهدها، ظلامها) تحيل إحالة قبلية إلى "ظفار".  
 - التضمن في قوله: (و أما حضرموت، فقد ساورها الموت، و جاورها الخسران و الفوت\*، و حاورها النجّي فما سمع لها صوت)، إذ أن عدم سماع صوت المنادى يتضمن وفاته، اعتمادا على ما سبق ذكره في الجملة السابقة (ساورها الموت).

- كما أن "الهاء" في كل من (ساورها، جاورها، حاورها، لها)، تحيل إحالة قبلية إلى "حضرموت".  
 - الإحالة في قوله (و أما صنعا، فما أحسن بنوها صنعا، قد أصبحت خرقاء، و عطلت من طوق الوراق، و عقت أن تتمخض عن المعية (زرقاء)، ما حاكت في عبقرى الأزمنة و لا وشت، و طار الناس فما حبت و لا مشت)، و تختلف من جملة إلى أخرى كما يأتي:

بنوها ← تحيل 'الهاء' إحالة قبلية إلى صنعا

أصبحت ← تاء التأنيث تحيل إحالة قبلية إلى صنعا

عطلت ← تاء التأنيث تحيل إحالة بعدية إلى الوراق (الحمامة)<sup>(1)</sup>

\* الفوت: فاتي الأمر فوتا و فوتاتا: ذهب عني/ ابن منظور: لسان العرب، م. 2، ص 69.

عقمت ← تحيل تاء التأنيث إحالة بعدية إلى زرقاء

حاكت، وشت، حبت، مشت ← تحيل تاء التأنيث إحالة قبلية إلى صنعا.

- المصاحبة المعجمية في قوله: (ما حاكت في عبقرى الأزمنة و لا وشت، وطار الناس فما حبت و لا مشت)، و تتضح هذه المصاحبة من خلال الدخول في سلسلة مرتبة في قوله (حاكت... وشت)، و قوله (حبت... مشت)، إذ بعد النسج يأتي التحسين، و بعد الحبو يكون المشي.

- و قد يتساءل القارئ عن سبب ورود الكلمات الآتية "خرقاء، الورقاء، زرقاء" في قوله (و أما صنعا، فما أحسن بنوها صنعا، قد أصبحت خرقاء، و عطلت من طوق الورقاء، و عقمت أن تتمخض عن ألمعية 'زرقاء')؛ بمعنى، هل كان اختيار الإبراهيمي لهذه الكلمات اختيارا اعتباطيا مراعاة للسجع فقط، أم هو اختيار مقصود؟

ورد في معجم لسان العرب "أصنع الرجل: إذا أعان أخرق"<sup>(2)</sup>، و من ثم فإن اختيار الكاتب لكلمة "خرقاء" نتيجة لإطلاعه على مادة 'صنع' التي تنتمي إليها كل من كلمتي (صنعا و صنعا)، أي أن ارتباط كلمة "خرقاء" معجميا بما قبلها كان سببا في الإتيان بها في هذا الموضع.

و الحال كذلك بالنسبة لكلمتي "الورقاء" و "زرقاء"، إذ لم يكن اختيار الكاتب لهما مجرد مراعاة للسجع فقط و إنما هو تعبير مقصود، و بيان ذلك ما يأتي:

- جاء في معجم لسان العرب: "العطل: فُقدان الحلي..."<sup>(1)</sup>، و "فيل للرماد أورك، و للحمامة و الذئبة و رقاء"<sup>(2)</sup>، و بذلك يصبح معنى الجملة الآتية (و عطلت من طوق الورقاء) أي فقدت الحمامة طوقها؛ أما بالنسبة لكلمة "زرقاء"، فالمقصود هنا هو "زرقاء اليمامة" و الدليل على ذلك ورود كلمة "المعيرة" قبلها، و "الألمعي: الداهي الذي يتظنن الأمور فلا يخطئ..."<sup>(3)</sup>، و قد عُرفت زرقاء اليمامة بشدة ذكائها و "أنها كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام"<sup>(4)</sup>؛ لكن ما علاقة كلمة "الورقاء" بكلمة "زرقاء"؟

الإجابة عن هذا التساؤل نجدها في "معجم لسان العرب" في مادة "يمم" - و هي التي ينتمي إليها شرح كلمة "زرقاء اليمامة" - حيث ورد "اليمام البري من الحمام، الذي لا طوق له"<sup>(5)</sup>، و بالتالي ارتبط معنى الجملة الأولى معجميا بما قبلها.

(1) ابن منظور: لسان العرب، م10، ص386.

(2) المصدر السابق، م8، ص210.

(1) المصدر السابق، م11، ص454.

(2) المصدر السابق، م10، ص386.

(3) المصدر السابق، م8، ص327.

(4) المصدر السابق، م12، ص648.

(5) المصدر السابق، م12، ص648.

نستنتج إذن أن اختيار الإبراهيمي لهذه الكلمات كان مراعاة للسجع تارة و ربطها ببعضها من خلال المصاحبة المعجمية تارة أخرى.

- الوصل من خلال الأدوات الآتية: " لا...و لكن، و إذا...ف، الواو، أما...وأما ".

- التوازي في قوله: (انعكست الخصائص و غلبت النقائص، و أعوز الجوّ الطائر حين أعوز البحر الغائص)، و يمكن تفصيل ذلك بما يأتي:

انعكست	←	فعل + تاء التانيث	→	غلبت	} وحدة النغمة (حرف الصاد)
الخصائص	←	فاعل	→	النقائص	

أعوز	←	فعل	→	أعوز	} وحدة النغمة (حرف الصاد)
الجوّ	←	م. به	→	البحر	
الطائر	←	فاعل	→	الغائص	

و قد تضمنت هذه العبارة أيضا المظاهر الآتية:

- الإحالة في قوله: (انعكست الخصائص)، إذ تحيل "التاء" إحالة بعدية إلى الخصائص، كما أحالت "التاء" في (غلبت) إحالة بعدية إلى (النقائص).

- تعالق العوالم الممكنة: حيث نجد هناك مناسبة بين ورود كلمة (الطائر) مع كلمة (الجوّ)، و الأمر نفسه بالنسبة لكلمة (الغائص) مع كلمة (البحر).

- الترتيب الزمني من خلال ورود كلمة (حين) و التي أفادت وقوع الحدثين في نفس الوقت؛ و عليه فإن استحابة هذه العبارة لشرط التطابق الإحالي، و تعالق العوالم الممكنة، بالإضافة إلى الترتيب الزمني ساهم في انسجامها بشكل كبير.

### نموذج من المقالة الخامسة

"يا أسلاف، ورثتم الحكمة و سيرتم الأمثال و الفقر، و عمّرتم من التاريخ صحائف بالمحامد، و شغلتم القرون بالحديث عنكم، و شدمت الباقيات للحضارة، و زيتتم الحياة بالقوة و البأس الشديد، و سبقتم العالم إلى موارد العزة في الدنيا، و وقفتم في نصف هذه الكرة تحكمون و تتحكمون، و تصلون شرقها بغربها و تقسمون، فبدتم و ما بادت آثاركم و لا أخباركم.

و يا أخلاف، ماذا صنعتكم؟ و بماذا اقتنعتكم؟ هذه آثار سلفكم، عرف الغريب مواقعها، و جهلتم مواضعها، فهل النسب مدخول؟ أو الانتساب غير منحول؟ و يلكم ! إن الألوان، على الدلالة أعوان، سوّد بنو

العباس لسؤددهم، و بيّض العلويون لطهارتهم، و خضّر العبيديون لدعواهم و دعايتهم، و زرّقتهم... لماذا؟!...<sup>(1)</sup>.

تبدو مظاهر السبك و الحبك في هذا النموذج من المقالة الخامسة من خلال ما يأتي:

- الإحالة بواسطة 'ميم' الجماعة و ضمير المخاطب المستتر 'أنتم' في قوله: (ورثتم، فبدتم، عمّرتهم، شغلتم، شدتم، زيّنتهم، سبقتم، وقفتم، سيّرتهم، صنعتم، اقتنعتهم، جهلتم، زرّقتهم)، إحالة قبلية إلى "الأسلاف"، كما تمّت هذه الإحالة من خلال 'كاف' المخاطب، و 'ميم' الجماعة في قوله (عنكم، أخباركم، آثاركم، سلفكم، وبلكم)، بالإضافة إلى 'واو' الجماعة في قوله (تقسمون، تتحكمون، تصلون، تحكمون)؛ وجميع هذه الأدوات تحيل إحالة قبلية إلى "الأسلاف".

- التكرار سواء من خلال الترادف أي تكرار المعنى دون اللفظ في قوله (و زيّنتهم الحياة بالقوة و البأس الشديد) و قوله (هذه آثار سلفكم، عرف الغريب مواقعها، و جهلتم مواضعها)، فالقوة و البأس الشديد كلاهما تدلان على معنى واحد و إن اختلفت درجة إحداها عن الأخرى؛ كما أن 'الموقع' و 'الموضع' كلاهما تدلان على المكان؛ أو من خلال التكرار الجزئي في قوله (و وقفتم في نصف هذه الكرة تحكمون و تتحكمون)، و قوله (فهل النسب مدخول؟ أو الانتساب غير منخول)، حيث أن كلمتي (تحكمون، تتحكمون) تنتمي إلى جذر لغوي واحد و هو "حكم"، و الحال كذلك بالنسبة لكلمتي (النسب و الانتساب) إذ تنتمي إلى مادة "نسب".

- الإحالة في قوله (و وقفتم في نصف هذه الكرة تحكمون و تتحكمون، و تصلون شرقها بغربها و تقسمون، فبدتم و ما بادت آثاركم و لا أخباركم) ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

هذه ← إحالة بعدية إلى الكرة الأرضية

شرقها بغربها ← "الهاء" تحيل إحالة قبلية إلى الكرة الأرضية

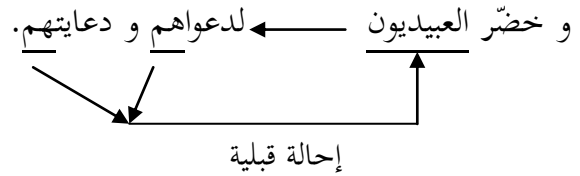
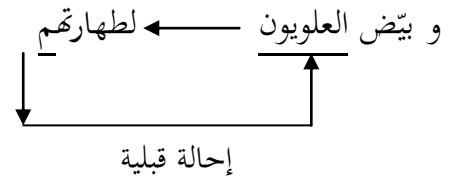
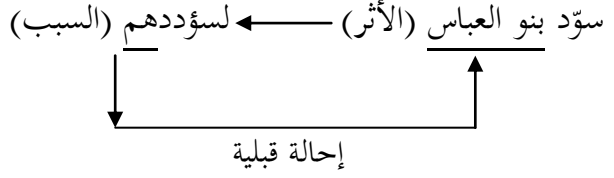
بادت ← تاء التأنيث تحيل إحالة بعدية إلى الآثار

- كما نجد في هذه الجملة الحذف الفعلي في قوله (فبدتم و ما بادت آثاركم و لا [أخباركم] أي (و لا بادت أخباركم)؛ و الحذف الاسمي في قوله (فهل النسب مدخول؟ أو [الانتساب غير منخول؟] أي (أو هل الانتساب غير منخول؟)، و لعلّ الحذف ضروري في هذين الموضعين، تجنباً للتكرار المفرط في الجملة الأولى، و دفعا للثقل في الجملة الثانية.

- علاقة السبب - النتيجة: حيث نلاحظ أن قوله (فبدتم و ما بادت آثاركم و لا أخباركم) نتيجة لكلّ ما تقدمها من قوله (يا أسلاف،... و تقسمون).

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص531.

- علاقة الأثر - السبب، بالإضافة إلى الإحالة القبلية في قوله: (سوّد بنو العباس لسؤددهم، وبيّض العلويون لطهارتهم، وخصّر العبيديون لدعواهم و دعايتهم)، ويمكن تفصيل ذلك من خلال الشكل الآتي:



- المصاحبة المعجمية في قوله: (فبدتم و ما بادت آثاركم و لا أخباركم). و قوله (عرف الغريب مواقعها، و جهلتم مواضعها)، إذ نلاحظ تضادا بين الكلمات الآتية:

بدتم # ما بادت

عرف # جهلتم.

- علاقة الإجمال - التفصيل: ذلك أن قوله (إن الألوان، على الدلالة أعوان) إجمال لما سيأتي من قوله:

(سوّد بنو العباس...لماذا؟)، إذ فصلّ لنا كيف تدلّ الألوان على هيئة أصحابها.

- علاقة التضمن في قوله: (فهل النسب مدخول؟ أو الانتساب غير منخول؟)، ذلك أن معنى كلمة 'مدخول': "العيب الداخل في الحسب..."<sup>(1)</sup>، أما كلمة 'منخول' فهي من "التَّخْلُ أي التصفية"<sup>(2)</sup>، و من ثم كان معنى الجملة الثانية متضمنا معنى الجملة الأولى.

## نموذج من المقالة السادسة

(1) ابن منظور: لسان العرب، م11. ص641.

(2) المصدر السابق، م11. ص652.

"تالله ما ضاعت فلسطين اليوم، و لكنها ضاعت يوم وُعدوا بها، فركنوا إلى العمل، و ركنتم إلى الكلام، بل ضاعت قبل ذلك بقرون، منذ نبت قرن صهيون، فتماريتم بالندر، و لم تأخذوا الحذر. لا تقولوا إن شرّ دين ما جرّ التشريد للمتشردين، فإن شرّاً منه عقلكم الذي جرّ العار للعرب أجمعين، و كرّ بالخزي على جميع المسلمين"<sup>(3)</sup>.

إن المتأمل لهذه الفقرة سيكتشف أن الإحالة أدّت دوراً كبيراً في سبك و حبك النص، و يمكن توضيح ذلك من خلال ما يأتي:

ما ضاعت	←	'التاء' تحيل إحالة بعدية إلى فلسطين
لكنها	←	'هاء' تحيل إحالة قبلية إلى فلسطين
ضاعت	←	'التاء' تحيل إحالة قبلية إلى فلسطين
وُعدوا	←	'الواو' + الضمير المستتر 'هم' إحالة قبلية إلى اليهود
	↙	إحالة خارجية إلى 'وعد بلفور'
بها	←	'هاء' تحيل إحالة قبلية إلى فلسطين
فركنوا	←	'الواو' + الضمير المستتر 'هم' تحيل إحالة قبلية إلى الغرب
ركنتم	←	'ميم' الجماعة + ضمير مستتر 'أنتم' إحالة قبلية إلى العرب
فتماريتم	←	'ميم' الجماعة + ضمير مستتر 'أنتم' إحالة قبلية إلى العرب
تأخذوا	←	'الواو' + الضمير المستتر 'أنتم' إحالة قبلية إلى العرب
تقولوا	←	'الواو' + الضمير المستتر 'أنتم' إحالة قبلية إلى العرب
منه	←	'هاء' تحيل إحالة قبلية إلى الدين
عقلكم	←	'كاف' المخاطب + 'ميم' الجماعة إحالة قبلية إلى العرب
الذي	←	إحالة قبلية إلى عقل العرب.

بالإضافة إلى ذلك ظهرت بعض الأدوات الأخرى منها:

- التكرار في قوله (تالله ما ضاعت فلسطين اليوم، و لكنها ضاعت يوم وُعدوا بها، فركنوا إلى العمل، و ركنتم إلى الكلام، بل ضاعت قبل ذلك بقرون، منذ نبت قرن صهيون، فتماريتم بالندر، و لم تأخذوا الحذر)، حيث نلاحظ تكرار للعنصر المعجمي نفسه "ضاعت".

كما تجلّت في هذه الفقرة أدوات عديدة ساهمت في حبكها و سبكها منها:

- الوصل من خلال الأدوات الآتية: "ما... و لكن، الفاء، الواو، بل، منذ".

(3) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص533.

- الترتيب الزمني و ذلك باستخدام الصيغ الآتية: اليوم (الحاضر)، يوم+ الفعل الماضي المبني للمجهول (الماضي)، قبل ذلك بقرون (الماضي البعيد).
- الاستبدال في قوله (بل ضاعت قبل ذلك بقرون)، و هو استبدال قولي، إذ استعمل الكاتب اسم الإشارة 'ذلك'، بدل تكرار عبارة 'يوم وعدوا بها'.
- علاقة السبب - النتيجة و يمكن توضيحها كما يأتي:
- ضاعت - فلسطين - (النتيجة) ← يوم وُعدوا بها (وعد بلفور) + فركنوا إلى العمل، و ركنتم إلى الكلام (السبب).
- ضاعت - فلسطين - (النتيجة) ← منذ نبت قرن صهيون + فتماريتم بالندز، ولم تأخذوا الحذر (السبب).
- التكرار سواء من خلال إعادة العنصر المعجمي نفسه في قوله (شرّ - شرّاً)، (جرّ - جرّاً)؛ أو الانتماء إلى جذر لغوي واحد مثل "شرد" في قوله (التشريد، للمتشردين)؛ و مادة "جمع" في قوله (أجمعين - جميع)؛ أو من خلال الترادف في قوله (العار - الخزي).
- الاندراج في صنف عام في قوله (العرب - المسلمين) تجمعهما كلمة "الناس" مثلاً.
- الحذف في قوله (فإن شرّاً منه عقلكم الذي جرّ العار للعرب أجمعين، و [...]) كترّ بالخزي على جميع المسلمين)، حيث حذف ما يدل على الإحالة إلى "عقلكم" و هو اسم الإشارة "الذي"، مكتفياً بالوصل بحرف "الواو".

### نموذج من المقالة السابعة

"أي جيران الشمال\*، و معاهد الآمال، أعيذكُم بالعروبة و هي الأمّ، و بالوطن و هو الهم، و الأمّ، و بعمر، حادي الزمر، عمر الشهيد، و ما عهده بالعهد، و بما أرتقم من دموع و دماء، لم يبق منها إلاّ الدّماء\*، و بالإسلام- و هو الدّمّام\* - أن تختلفوا في الحق، فترضوا بالشّقّ، أو توسّعوا الشّقّ، فتقعوا جميعاً في الرقّ؛ و أعيذكُم أن تغتروا بالوعود الخالبة من الدول الغالبة، فإنما ذلك إبساس\* من الأيدي الخالبة، و أعيذكُم أن تنكروا التقسيم و أنتم منقسمون، و أعيذكُم أن يكون غرب النيل كشرق الأردن... و

\* الشمال الإفريقي.

\* الدّمّاء: بقية الروح في المذبوح، و قيل: الذّمّاء: قوة القلب/ ابن منظور: لسان العرب، م14. ص289.

\* الدّمّام: و المذمة: الحق و الحرمة و الجمع أذمة/ ابن منظور: لسان العرب، م12. ص221.

\* الإبساس عند الحلب: أن يقال للناقة بسّ يسّ/ ابن منظور: لسان العرب، م6. ص28.

أعيدكم أن ترضوا بالخفض، و لا تقبلوا (الضم)، إن الضم علامة (البناء)، و آية (استقرار) البناء، فاجهدوا في إثبات الضم و خلاكم ذم"<sup>(1)</sup>.

تتمثل مظاهر السبك و الحبك من خلال هذه الفقرة فيما يأتي:

- الإحالة في قوله:

و هي الأم ← الضمير 'هي' يحيل إحالة قبلية إلى العروبة

و هو لهم ← الضمير 'هو' يحيل إحالة قبلية إلى الوطن

عهده ← حرف 'هاء' يحيل إحالة قبلية إلى عمر

أرقتم ← 'ميم' الجماعة تحيل إحالة قبلية إلى جيران الشمال

منها ← حرف 'هاء' يحيل إحالة قبلية إلى الدماء

و هو الذّم ← الضمير 'هو' يحيل إحالة قبلية إلى الإسلام

تحتلفوا، فترضوا، توسّعوا، فتقعوا، تغتروا، تنكروا، فأجهدوا، تقبلوا، المستتر 'أنتم' يحيلان إحالة قبلية إلى جيران الشمال.

أعيدكم، خلاكم ذم ← 'كاف' المخاطب + 'ميم' الجماعة يحيلان إحالة قبلية إلى جيران الشمال.

أنتم ← يحيل إحالة قبلية جيران الشمال.

- الحذف الفعلي في قوله (و بالوطن و هو لهم، و الأم)، و قوله (و بعمر، حادي الزمر)، (و بما أرقتم من دموع و دماء)، و قوله (و بالإسلام- و هو الذّم-)، إذ حذف الكاتب عبارة 'و أعيدكم' في بداية الجمل تجنباً للتكرار المفرط، و اكتفائه بالوصل بواسطة حرف 'الواو'، مما جعل هذه الجمل مرتبطة بالجملة الأولى و المتمثلة في قوله (أعيدكم بالعروبة و هي الأم).

- التكرار بصوره المختلفة منها:

\* إعادة العنصر المعجمي نفسه كما في قوله (أعيدكم بالعروبة و هي الأم، و بالوطن و هو لهم، و الأم)، و "أمّ الشيء: أصله"<sup>(1)</sup>، كما جاء في معجم لسان العرب، أي أن العروبة هي الأصل، و هو ما أشار إليه الإبراهيمي في مقالة له بعنوان "عروبة الشمال الإفريقي"، يقول: "عروبة الشمال الإفريقي بجميع أجزاه طبيعية، كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء..."<sup>(2)</sup>.

أما كلمة "الأمّ" الثانية فهي بمعنى "المجمّع و المضمّم"<sup>(3)</sup>. بالإضافة إلى تكرار إلى عبارة "أعيدكم".

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3. ص 534.

(1) ابن منظور: لسان العرب، م 12. ص 24.

(2) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3. ص 428.

(3) ابن منظور: لسان العرب، م 12. ص 33.

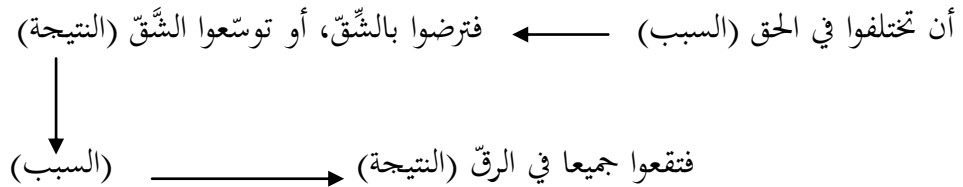
\* الانتماء إلى الجذر اللغوي نفسه كما في قوله (و بالإسلام-و هو الذّمَام- أن تختلفوا في الحق، فترضوا بالشَّقِّ، أو توسّعوا الشَّقِّ)، فشَقُّ الحق نصفه، و الشَّقُّ هو الصدع<sup>(4)</sup>؛ و كذلك الحال بالنسبة لكلمتي (التقسيم - منقسمون) إذ تنتمي إلى نفس الجذر اللغوي "قسم".

- المصاحبة المعجمية من خلال علاقة التعاكس بين "الغرب و الشرق" في قوله (و أعيدكم أن يكون غرب النيل كشرق الأردن).

- تعالق الوقائع في قول الكاتب (و أعيدكم أن ترضوا بالخفض\*، و لا تقبلوا (الضم)، إن الضم علامة (البناء)، و آية (استقرار) البناء، فأجهدوا في إثبات الضم و خلاكم ذم)، و كأني به يريد القول: إني أخاف عليكم يا جيران الشمال أن ترضوا بالانحطاط و كسر جسر العروبة الذي يجمعكم، و لا تقبلوا بالاتحاد - الضم-، فكما أن هذا الأخير علامة بناء لدى النحاة، فهو أيضا دليل على استقرار و ثبات بناء و وحدة هذه الأمة، فثابروا و جاهدوا من أجل إثبات هذه الوحدة.

- الاستبدال في قوله (و أعيدكم أن تغتروا بالوعود الخالصة من الدول الغالبة، فإنما ذلك إيساس من الأيدي الخالصة)، إذ أن اسم الإشارة "ذلك" استبدال قولي لعبارة (أن تغتروا بالوعود الخالصة من الدول الغالبة).

- علاقة السبب - النتيجة في قوله (... أن تختلفوا في الحق، فترضوا بالشَّقِّ، أو توسّعوا الشَّقِّ، فتقعوا جميعا في الرقّ) و يمكن توضيح ذلك كالآتي:



(4) المصدر السابق، م10. ص181-182.

\* الخفض ضد الرفع. / المصدر السابق، م7. ص145.

## الخاتمة

يمكننا في ختام هذا الفصل أن نستخلص بعض النتائج أهمّها:

- كان اهتمام النقاد بالدراسة النصية كونها لا تعتمد على الروابط الشكلية فحسب، و إنما تتعداها إلى البحث في الدلالة الناتجة عن ذلك الربط.
- من بين المصطلحات المعبرة عن التماسك النصي من حيث الروابط الشكلية و الدلالية في التحليل النصي مصطلحا الاتساق أو السبك (*cohésion*) و الانسجام أو الحبكة (*cohérence*)، و لكلّ منهما أدوات و أنواع إذ يعتبران أساسا مهما من أسس الدراسة النصية.
- اختلاف الترجمات لكلا المصطلحين، و اعتماد هذه الدراسة مصطلح "السبك" مقابلا لمصطلح (*cohésion*)، و "الحبكة" مقابلا لمصطلح (*cohérence*)؛ و ذلك لأنهما أكثر شيوعا في التراث النقدي و البلاغي عند العرب.
- يتصل (السبك) عند بعض الدارسين بخطية النص و تسلسل التراكيب، و الوسائل الشكلية التي يستخدمها المرسل حتى يضمن تسلسلها.
- كما يقوم (الحبكة) -بالنسبة لمعظم الدارسين في مجال علم النص- على تلك العلاقات المنطقية والدلالية الكامنة في الخطاب، والتي تنظمه وتربط مكوناته بعضها ببعض فتجعل الخطاب المشتت ظاهريا منسجما مقبولا.

- تتمثل مظاهر السبك في: التكرار بأنواعه، الإحالة بنوعيتها، الحذف بأنواعه، الاستبدال بأنواعه، الوصل و الفصل، التوازي، المصاحبة المعجمية أو التضام.
- تتمثل مظاهر الحبكة في: التضامن، التطابق الإحالي، موضوع التخاطب، الترتيب الزمني، تعالق العوالم الممكنة، علاقة السبب و النتيجة، النشاط المتماثل، علاقات التعميم-التخصيص أو الإجمال-التفصيل، تعالق الوقائع (أو الأحداث).
- أشار جميل عبد المجيد إلى أن الكثير من ظواهر السبك و الحبكة عند علماء لغة النص لها ما يقابلها في البلاغة العربية و خاصة في فن البديع.
- ترجع الريادة في دراسة ظاهرة التوازي و كشف ارتباطها الوثيق بالشعر إلى ياكوبسون (*Jakobson*) أثناء دراسته للتراث الشفوي للشعر الروسي.
- أفاد 'فان دايك' (*Van Dijk*) من دراسة ياكوبسون عن التوازي، حيث حاول أن يضع قواعد النص الأدبي من أجل وصف البنيات الأدبية.
- يوضح الدارسون الفرق بين الحذف و الاستبدال "كون الأول 'استبدالاً بالصفراء'، أي أن علاقة الاستبدال تترك أثراً، و أثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً، و لهذا فإن المستبدل يبقى مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال.
- كما اتفق النقاد قديماً و حديثاً على أن شرط الحذف أن يكون هناك دليل على المحذوف أو ما يسمى (القرينة)، "و أهمية وجود الدليل تكمن في كونه يحقق المرجعية بين المذكور و المحذوف في أكثر من جملة.
- يعتبر الحذف من أهم وسائل التماسك النصي التي تبرز أهمية المتلقي، إذ هو الذي يدرك -عبر آفائه الكثيرة- مواضع الحذف و كيفية قيام هذا الحذف بوظائفه البلاغية و النصية.
- العلاقة بين عنصري الإحالة (المحيل و المحال إليه) علاقة تطابق، بينما العلاقة بين عنصري الاستبدال (المستبدل و المستبدل به) علاقة تقابل تقتضي إعادة التحديد و الاستبعاد.
- إن عناية النحاة بمبحث الوصل و الفصل لا يقتصر على الدور الذي تقوم به أدوات العطف على المستوى الشكلي كونها تقوم بعقد علاقة إعرابية، لكنهم لاحظوا أيضاً -على المستوى العميق- أن هذه الأدوات تضيف إلى الناتج الدلالي نوعاً من المعنى الذي يرتبط بالمواضع.
- خرج عالم اللسان الهولندي فان ديك (*Van Dijk*) بالنحو من الانكفاء على دراسة البنية الصغرى ممثلة بالجملة، إلى العناية ببنية أكبر، مكونة من جملة متصلة طويلة تؤلف وحدة معنوية هي النص.

- كما يضع فان دايك في مقدمة أدوات العطف الواو *and*، و إذا كانت هذه الأخيرة لا تفيد - في اللغة العربية- "سوى الإشارك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتَّبَعَتْ فيه الثانيَ الأولَ"<sup>(1)</sup>، فإنها بالنسبة لـ'فان دايك' تمثل سلسلة من الروابط الأخرى الكامنة فيها كمونا، و تكشف عن العلاقات المنطقية بين أجزاء الجملة الطويلة، و من هذه العلاقات المكانية، و السببية، و الحالية و الزمنية...  
- إن المتأمل في الأبحاث الموجهة إلى دراسة الانسجام النصي يلاحظ بشكل لافت للنظر مدى استفادة تلك الأبحاث من تخصصات علمية متنوعة مثل علم الاجتماع و علم النفس اللغويين والمنطق وغيرها، وكل ذلك في سبيل استكشاف الآليات الذهنية التي تتحكم في توليد الخطاب وبنائه وفهمه، كما يكتشف أيضا أن التحليل الدلالي يعتمد في المقام الأول على كفاءة المفسر و ثقافته و خلفيته و قدرته على التفكيك و اكتشاف علاقات الترابط و الوحدة، و تمكنه من الانتقال من المضامين الظاهرة التي تنبئ أشكال الدلالة عنها إلى المضامين الخفية التي تكمن في المغزى.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز. ص240.

تمهيد:

لقد أدرك النقاد القدماء و المحدثون من بعدهم ضرورة تماسك النص و ترابط أجزائه بصورة تجعل القارئ أسيرا بين يدي الكاتب أو الأديب؛ و يبدو أنّ هؤلاء لم يكتفوا في بحثهم عن وحدة النص بما يحدثه المظهر الصوتي متمثلا في السجع بأنواعه المختلفة كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول، بل ذهبوا إلى البحث في الألفاظ و معانيها؛ فالجاحظ في حديثه عن الشعر الجيد يقول: "و أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فيعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغا جيّدا، و سبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"<sup>(1)</sup>، بل إنّ الشّعر ينبغي أن يكون - كما يقول ابن طباطبا-: "كالسبيكة المفرغة و الوشي المنمنم، و العقد المنظم، و اللباس الرائق، فتسابق معانيه ألفاظه، فيلتذ الفهم بحسن معانيه كالتذاز السمع بمونق لفظه، و تكون قوافيه قوالب لمعانيه"<sup>(2)</sup>.

إنّ ما يقال عن الشعر في هذا الجانب يصدق على النثر أيضا، فالنص بصفة عامة يجب أن يكون وحدة واحدة متماسكة الأطراف كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم؛ بل إنّ البعض يرى "أنّ [كلمة] نصوص لا تطلق إلا على علامات أو تتابعات جمالية متماسكة"<sup>(3)</sup>.

و إذا كان ذلك كذلك، فلا مندوحة من أن نجد باحثا لسانيا آخر كـ"فان دايك" (*Van Dijk*) يدعو إلى إعادة بناء الأقوال ليس على شكل جمل و إنّما على شكل وحدة أكبر و هي النص"<sup>(4)</sup>. و لأنّ "أوجه الترابط التي أفرزتها التحليلات على مستوى الجملة فقط لم تعد كافية لتغطية مستوى النص"<sup>(5)</sup>، فقد كان اللجوء إلى الدراسة النصية -عموما- التي لا تعتمد على الروابط الشكلية فحسب، و إنّما تتعداها إلى البحث في الدلالة الناتجة عن ذلك الربط؛ و من بين المصطلحات المعبرة عن التماسك النصي من حيث الروابط الشكلية و الدلالية في التحليل النصي مصطلحا الاتساق أو السبك (*cohésion*) و الانسجام أو الحبك (*cohérence*)، و لكلّ منهما أدوات و أنواع إذ يعتبران أساسا مهما من أسس الدراسة النصية.

(1) الجاحظ: البيان و التبيين، ت: درويش جويدي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 2003. ص50.

(2) ابن طباطبا محمد بن أحمد: عيار الشعر، تح: محمد زغلول سلام، ط3، منشأة المعارف، الإسكندرية، دت. ص42.

(3) كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، تر: سعيد حسن مجري، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2005. ص28.

(4) محمد خطابي: لسانيات النص، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006. ص29.

(5) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج1، ط1، دار قباء، القاهرة، 2000. ص52.

أولاً: المستوى الشكلي:

## 1/ مفهوم الاتساق أو السبك (*cohésion*):

نال مصطلح السبك اهتماما كبيرا من لدن علماء لغة النص حتى أنّ بعضهم جعلوا منه عناوين لكتبهم، مثال ذلك كتاب هاليداي و رقية حسن الموسوم بـ (*cohésion in English*) أو (السبك في الإنجليزية).

و قبل الحديث عن مفهوم السبك (*cohésion*)<sup>\*</sup> نشير إلى سبب تفضيل هذه الدراسة استخدام هذا المصطلح-أي السبك- فهو كما يقول سعد مصلوح: "أقرب شيئا إلى المفهوم المراد، و أكثر شيوعا في أدبيات النقد القديم"<sup>(1)</sup>؛ و بيان ذلك ما ورد في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، حيث نجدهم في إشاراتهم بالشعر -أو غيره- المتلاحم الأجزاء يستخدمون كلمة (السبك) للتعبير عن حسن الرصف و جودة الصياغة و ارتباط أجزاء الكلام بعضها ببعض مثلما أشرنا إلى ذلك في قول الجاحظ. كما نجد أبا هلال العسكري يقول تعقيبا على أبيات للنمر بن تولب: "فهذه أبيات جيدة السبك حسنة الرصف"<sup>(2)</sup>.

و يرد في "باب الفك و السبك" لأسامة بن منقذ قوله: "و أما السبك فأن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره كقول زهير:

يطعنهم ما ارتموا، حتى إذا طعنوا ضارب، حتى إذا ضاربوا اعتنقا

و لهذا قيل: خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"<sup>(3)</sup>.

كما يتحدث ابن الأثير عن علة تفضيل لفظ على آخر، مرجعا إياها إلى السبك، مثال ذلك (من) و (عن) اللتان وردتا في بيت (أبي تمام) فكانتا مكروهتين، بينما كانتا خفيفتين في بيت (قطري بن الفجاءة)، فيقول: "و الأصل في ذلك راجع إلى السبك، فإذا سبكت هاتان اللفظتان أو ما يجري مجراها مع ألفاظ تُسهّل منهما لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا في بيت قطريّ، و إذا سبكتنا مع ألفاظ تُثقلّ منهما جاءتا كما جاءتا في بيت أبي تمام."<sup>(4)</sup>

\* اختلف النقاد في ترجمة مصطلح *cohésion*، حيث ترجمه محمد خطابي في كتابه "لسانيات النص" إلى "الاتساق"، و ترجمه سعيد حسن بحيري في كتابه "علم لغة النص" إلى "الربط"، كما ترجمه "الأزهر الزناد" في كتابه "نسيج النص" إلى "التماسك"، و إلى مثل ذلك ترجمه "صحي إبراهيم الفقي" في كتابه "علم اللغة النصي".

(1) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1998. ص77.

(2) أو هلال العسكري: كتاب الصنائع، تح: مفيد قمحة. ص185-186.

(3) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص78.

(4) ابن الأثير: المثل السائر، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، ج1. ص398-399.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

أما لدى النقاد المحدثين فإن مصطلح السبك (*cohésion*) يحيل إلى تلك الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص... أي الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، و التي نخطّها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق، و هذه الأحداث ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، و لكنها لا تشكل نصاً إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكيونته و استمراريته، و يجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي (*Grammatical Dependency*) و يتحقق الاعتماد في شبكة هرمية و متداخلة من الأنواع هي:

- 1/ الاعتماد في الجملة
- 2/ الاعتماد فيما بين الجمل
- 3/ الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة
- 4/ الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات
- 5/ الاعتماد في جملة النص". (1)

كما يتصل (السبك) عند بعضهم "بخطية النص و تسلسل التراكيب، و الوسائل الشكلية التي يستخدمها المرسل حتى يضمن تسلسلها" (2).

إلا أنّ البعض الآخر يستعمل مصطلح (*cohésion*) للدلالة على "تلك العلاقات أو الأدوات الشكلية و الدلالية، التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، و بين النص و البيئة المحيطة من ناحية أخرى" (3)؛ و هو ما فعله صبحي إبراهيم الفقي إذ ترجم المصطلح إلى "التماسك" و قسمه إلى نوعين:

- الأول: يهتم بعلاقات التماسك الشكلية، أي بما يحقق التواصل الشكلي للنص.
- الثاني: يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، و بين النص و ما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى.

أما تمام حسان فقد صاغ فهمه لمصطلح السبك بقوله: "السبك إحكام علاقات الأجزاء، و وسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، و قرينة الربط النحوي نم جهة أخرى، و استصحاب الرتب النحوية إلا حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي..." (4).

فالسبك في نظره يكون على مستويين: معجمي و نحوي، بالإضافة إلى مراعاة الترتيب إلا إذا اقتضت الضرورة، و ذلك حين يريد الكاتب إيصال فكرة ما إلى القارئ فيقدم و يؤخر و يذكر و يحذف... إلخ، و يضاف إلى ذلك كلّ مراعاة المقال للمقام.

(1) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص 76.

(2) Shirley Carter-Thomas : La cohérence textuelle, L'Harmattan, Paris, 2000.p30-31.

(3) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج 1. ص 96.

(4) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص 78-79.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

من خلال ما تقدم تستعمل هذه الدراسة مصطلح السبك (*cohésion*) باعتباره "ذو طبيعة خطية أفقية تظهر على مستوى تتابع الكلمات و الجمل"<sup>(1)</sup>. و قد ينقسم هذا السبك إلى قسمين: معجمي و نحوي؛ و ذلك حسب التقسيم الذي أشار إليه كل من هاليداي و رقية حسن و تمام حسان و غيرهم.

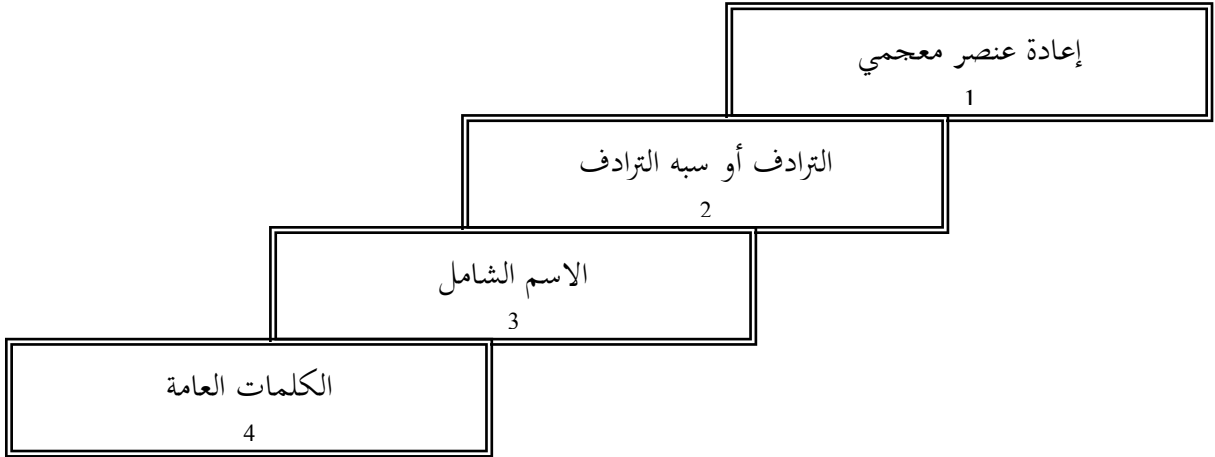
### 2/ مظاهر السبك (أدواته)

إنّ المتأمل في أقوال الباحثين في الدراسات النصية حول أدوات السبك سيجدها كثيرة و مختلفة - في الغالب- عن بعضها البعض، إلا أنّ ذلك لا يمنع من وجود أدوات مشتركة بينهم، و من ثم تأتي هذه الدراسة لجمع ما اشتركوا في ذكره، و محاولة لوضع تصنيف دقيق لأدوات السبك ضمن مستوى واحد هو المستوى الشكلي، أمّا الآخر فهو المستوى الدلالي الذي يخضع لنسق معين تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا بالعالم، و هو ما سنتطرق إليه في الحديث عن الانسجام النصي و ظواهره.

و من بين وسائل السبك التي تحدث عنها علماء لغة النص نجد:

### 1.2/ التكرار:

يعدّ التكرار عند هاليداي و رقية حسن، سلّماً مكون من أربع درجات، يأتي في أعلاه إعادة العنصر المعجمي نفسه، و يليه الترادف (أو شبه الترادف)، ثم الاسم الشامل، و في أسفل السلم تأتي الكلمات العامة، و هو ما يمكن توضيحه بالرسم الآتي<sup>(2)</sup>:



و يذكر هاليداي و حسن مثالا يمكن أن يتحقق فيه السبك المعجمي بأي نمط من أنماط التكرار الأربعة السالف ذكرها، و هو<sup>(3)</sup>:

- شرعت في الصعود إلى القمة، الصعود سهل للغاية.

(1) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ط1، الشركة المصرية العالمية لوجمان و مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997. ص122.

(2) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص80.

(3) المرجع السابق. ص83.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

التسلق (ترادف)

العمل ( اسم شامل)

الأمر (كلمة عامة)

إنه ( الضمير-تكرار جزئي- )

و يرى البعض أنّ مبدأ التكرار يعدّ "وسيلة مهمة لتكوين النص، و لكنّه لا يقدم شروطا كافية و ضرورية لأنّ يمثل تتابعا من الجمل تتابعا جمليا متماسكا، أي يفهم على أنّه نص، إذ لا تُفسّر من جهة كلّ التتابعات الجملية المترابطة من خلال مبدأ الإعادة على أنّها متماسكة، و من جهة أخرى ليست كلّ التتابعات الجملية التي تُفسّر بأنّها متماسكة، مترابطة من خلال مبدأ الإعادة"<sup>(1)</sup>.

لذلك اشترط (دي بوجراند) في إعادة اللفظ "وحدة الإحالة بحسب مبدأي الثبات و الاقتصاد و لكنّها قد تؤدي إلى تضارب في النص حين يتكرر المشترك اللفظي مع اختلاف المدلولات"<sup>(2)</sup>.

و من نافلة القول، إنّ التكرار عولج في البلاغة العربية بوصفه أصلا من أصول البديع عند ابن رشيق، و ابن أبي الإصبع المصري، و بدر الدين بن مالك، و السجلماسي، و ابن الأثير و غيرهم؛ و يجمل (جميل عبد المجيد) المفارقات بين البلاغيين العرب و علماء لغة النص في معالجة ظاهرة التكرار فيمالي: <sup>(3)</sup> 1/ معالجة هذه الظاهرة عند البلاغيين العرب من منظور بلاغي صرف، و من ثمّ كان التركيز على الكلام الأدبي و الشعري خاصة، و كذلك القرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي، بينما عولجت الظاهرة عند علماء لغة النص من منظور لساني صرف، و من ثم شملت النصوص بمختلف أنواعها، على أن منهم من حاول كشف نحو النص الأدبي/الشعري، مثل (فان دايك).

2/ عدم الاقتصار في هذه المعالجة عند علماء لغة النص، على مستوى الجملة، بل تجاوز هذا المستوى إلى الجمل و الفقرة و النص بتمامه، بينما ركّزت المعالجة عند البلاغيين العرب أكثر ما ركّزت و خاصة في مرحلة التقعيد على الجملة أو البيت، و إن جاءت عندهم -أحيانا- شواهد تجوزت هذا المستوى.

3/ وقف علماء لغة النص على أربع درجات للتكرار، و هم في هذا أفادوا من الدراسات اللغوية و الدلالية المعاصرة، بينما وقف البلاغيون العرب على درجتين فقط (إعادة العنصر المعجمي، و الترادف أو شبه الترادف)، لكن في الشواهد التي أوردها البلاغيون العرب و تعليقات بعضهم عليها ما يفيد رصد الدرجة الثالثة من سلم التكرار (الاسم الشامل)، و إن لم يصطلحوا على تسميتها، كما أنّ عندهم رسدا

(1) كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، تر: سعيد حسن بحيري. ص55.

(2) دي بوجراند: النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حستان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1998. ص303.

(3) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص85-86.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

دقيقا و شاملا لأنماط عديدة من إعادة العنصر المعجمي، و قد خصّوا كل نمط بمصطلح خاص، و عدّوه فنّا برأسه من فنون البديع، و ربّما يرجع ذلك إلى التنافس فيما بينهم على رصد نوع أو فرع جديد من البديع.

4/ سيطرة الغاية التقعيدية التعليمية على البلاغة العربية - خاصة مرحلة التقعيد - بينما سيطرة على علماء لغة النص الغاية الوصفية التشخيصية.

ويستنتج جميل عبد المجيد من هذه المفارقات - خاصة منها الأوليين - "كشف البلاغيين العرب عن جانب أو جوانب دور هذه الظاهرة في أدبية الكلام و شعريته على مستوى الجملة أو البيت غالبا، بينما كشف علماء لغة النص عن دور هذه الظاهرة في السبك، و الذي هو - عندهم - من أهم عوامل النصية"<sup>(1)</sup>.

و يشترط الدكتور صلاح فضل شرطا أساسيا حتى يقوم التكرار بهذه الوظيفة، و هو "أن يكون لهذا الملمح - المكرر - نسبة ورود عالية في النص تجعله يتميز عن نظائره... و أن يساعدنا رصده - أي التكرار - على فك شفرة النص و إدراك كيفية أدائه لدلالته..."<sup>(2)</sup>.

فالتكرار زيادة على كونه يؤدي وظائف دلالية معينة، فإنّه يؤدي كذلك إلى تحقيق التماسك النصي، و ذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره، هذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة، و هذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النص، بالتأكيد مع مساعدة عوامل التماسك النصي الأخرى.

إنّ الحديث عن التكرار الجزئي و الترادف أو شبه الترادف يقودنا إلى التطرق إلى عنصر آخر من عناصر الاتساق و هو الإحالة.

### 2.2 / الإحالة:

تمثّل الإحالة العلاقة بين عنصر معين في الجملة الواحدة وعنصر آخر ورد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، ويمكن أن تكون العلاقة أيضا بين عنصر معين وجملة أو سلسلة برمتها من الجمل السابقة أو اللاحقة؛ و يرى البعض أنّ الإحالة "تنشأ من استخدام الضمائر بدلا من الأسماء الظاهرة التي يكون ذكرها قد تقدم في بداية النص أو بداية الفقرة"<sup>(1)</sup>. و يُسمّى تعلق عنصر معين بما سبقه علاقة قبلية في حين يسمى تعلقه بما يلحقه علاقة بعدية.

(1) المرجع السابق. ص 86.

(2) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج 2، ص 22.

(1) إبراهيم خليل: في اللسانيات و نحو النص، ط 1، دار المسيرة، الأردن، 2007. ص 192-193.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

والظاهر أنّ الأسماء تحيل إلى مسمياتها وفق علاقة دلالية تطابقية بين خصائص الحيل والمحال إليه، والعنصر الإحالي لا يملك في اللغة دلالة مستقلة به، وإنما يتضمنها من خلال عودته على عنصر نصي مذكور في الخطاب<sup>(2)</sup>. و إذا كان ذلك كذلك، فسيكون لزاما في هذا البحث التطرق إلى الإحالة باعتبارها مظهرا من مظاهر الحبك أيضا.

كما ميّز الدارسون إجمالاً بين الإحالة الداخلية « *endophora* »، بمعنى العلاقات الإحالية داخل النص، سواء أكان بالرجوع إلى ما سبق و تسمى إحالة قبلية « *Anaphora* » أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي و تسمى بالإحالة البعدية *cataphora*، و بين الإحالة الخارجية " *exaphora* "، التي هي عكس الإحالة الداخلية.

إنّ مصطلح « *endophora* » يشير عند دافيد كريستال (*David crystal*) إلى علاقات التماسك *the relationship of cohesion* التي تساعد على تحديد تركيب النص<sup>(3)</sup>؛ بمعنى أنّ هذه الإحالة "تطلب من المستمع أو القارئ أن ينظر داخل النص للبحث عن الشيء المحال عليه"<sup>(4)</sup>. أمّا مصطلح « *Anaphora* » أي الإحالة القبلية، فيعني الإشارة بالضمير أو غيره إلى كلمة سبق ذكرها في الكلام، و قد ذكر كريستال أمثلة لهذه الإحالة بين الضمير و الاسم الظاهر<sup>(5)</sup>، مثال ذلك: محمد ركب الدراجة، لكن عليا لم يركبها.

فالضمير (ها) يشير رجوعاً إلى الدراجة، و بهذا أبدل الاسم بالضمير. و يرى هاليداي و رقية حسن أنّ عناصر الإحالة ثلاثة: الضمائر، و أسماء الإشارة، و أدوات المقارنة<sup>(6)</sup>، و تنقسم الضمائر إلى وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن، .. إلخ، و إلى ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابه، كتابنا، .. إلخ، وهو ما يقابل في الإنجليزية (*mine, yours, theirs, his, ours...*)<sup>(7)</sup>، أما أسماء الإشارة فيذهب هاليداي و رقية حسن "إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها: إمّا حسب الظرفية: الزمان (الآن، غداً، ..) و المكان (هنا، هناك، ..)، أو حسب الحياد (*the*)، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء، ..)، أو حسب البعد (ذاك، تلك، ..)، و القرب (هذه، هذا، ..)"<sup>(7)</sup>.

(2) محمد خطاي: لسانيات النص، ص17.

(3) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج2، ص42.

(4) ج. ب. براون و ج. بول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني و منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997. ص239.

(5) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي. ص38-39.

(6) محمد خطاي: لسانيات النص. ص17.

(7) المرجع السابق. ص18.

(7) المرجع السابق. ص19.

في حين أن المقارنة في نظر الباحثين تكون إما:

- عامة:
  - ← التطابق باستعمال عناصر مثل: *same*
  - ← التشابه باستعمال عناصر مثل: *similar*
  - ← الاختلاف باستعمال عناصر مثل: *otherwise, other*.
- خاصة: تتفرع إلى
  - ← كمية مثل: *more*
  - ← كيفية مثل: أجمل من، جميل مثل... (1)

وأما الإحالة البعدية « *cataphora* » فتقوم على إشارة بالضمير إلى كلمة أو جزء من الكلام سيأتي ذكره لاحقاً في الخطاب مثل:

أ- حدّث فلان قال: كذا وكذا.

ب- على الطلبة الآتية أسماؤهم أن يراجعوني في المكتب: فلان وفلان.

ومن أمثلة الإحالة البعدية في الذكر الحكيم، قوله تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوَلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ) [سورة: الحجر - الآية: 66]، ف"ذلك" تحيل إحالة بعدية إلى قوله: (دَابِرَ هُوَلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ).

والجدير بالذكر أنّ العناصر المحيلة من أسماء إشارة وضمائر وظروف زمان لا تكتفي بذاتها من حيث الدلالة على المعنى بل لا بد من التأويل بالرجوع إلى العناصر المذكورة في النص السابقة أو التالية لها، ومن هنا تتجلى لنا أهمية العلاقة الدلالية التي تبني عليها الإحالة.

كما يعرف علماء اللغة مصطلح « *cataphora* » بأنه " استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقاً في النص أو المحادثة" (2).

وأما الإحالة الخارجية "*exaphora*" فهي التي تحيل إلى عنصر يقع خارج النص، و هذا المصطلح "يشير إلى الأنماط اللغوية التي تشير إلى الموقف الخارجي عن اللغة *Extra linguistic situation* غير أنّ هذا الموقف يشارك الأقوال اللغوية، و من أمثلة تلك الأنماط المشيرة لما هو خارج النص *him, that, there*" (3).

إنّ هذا النوع من الإحالة يتوقف على معرفة سياق الحال، أو الأحداث و المواقف التي تحيط بالنص، حتى يمكن معرفة المحال إليه من بين الأشياء و الملابس المحيطة بالنص.

(1) المرجع السابق. ص19.

(2) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2. ص40.

(3) David crystal p.114

كما يميز الدارسون بين نمطين من الإحالة بحسب مداهما النصي، هما (4):

- 1 - الإحالة ذات المدى القريب: و تجري في مستوى الجملة الواحدة حيث لا توجد فواصل تركيبية جملية.
  - 2 - الإحالة ذات المدى البعيد: وهي و هي تجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص، و هي تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل.
- و يلفت هاليدي ورقية حسن الباحثين في مجال النصية إلى أهمية الإحالة المقامية التي تسهم في ربط النص بعالمه فيتحقق بذلك الانسجام النصي، ويكون القارئ حينها قادرا فهم مقاصد المتكلم وأغراض خطابه (1).

و من المصطلحات التي تقترب من معنى الإحالة مصطلح (*référence*) أي المرجعية، فقد تكون إشارة ضمير إلى اسم أو عبارة اسمية متقدمة أو متأخرة، و هي وظيفة الإحالة نفسها كما رأينا؛ بل قد ربط علماء لغة النص بينها و بين المرجعية القبليّة و البعدية (2).

و خلاصة ما نصل إليه في تحديد الإحالة ووظيفتها النصية كونها علاقة بين الوحدات اللسانية وما تشير إليه من مسميات، فحين نستعمل اسما معينا فإننا نحيل إلى مسمى بعينه، مما يعكس أهمية اللغة في الربط بين مستخدميها والعالم الخارجي؛ وبالنسبة إلى محلل الخطاب فإنّ الإحالة ليست شيئا يقوم به التعبير اللغوي ذاته وإنما هي نتيجة عمل وتأويل مستخدم اللغة أنفسهم حين يحملون الألفاظ على محمل ما ومقصد معين يرتضونه في مقام تواصل معلوم. لذلك يرى (سعيد حسن بحيري) أنّ "الإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام" (3).

"فوظيفة الإحالة إذن هي الإشارة لما سبق من ناحية، و التعويض عنه بالضمير أو بالتكرار، أو بالتتابع أو بالحذف من ناحية أخرى، و من ثمّ الإسهام في تحقيق التماسك النصي من ناحية ثالثة" (4).

### 3.2/ المصاحبة المعجمية أو التضام (*collocation*)

بداية نشير إلى اختلاف الدارسين حول ترجمة هذا مصطلح (*collocation*)، فمنهم من يترجمه إلى (المصاحبة المعجمية)، و منهم من يترجمه إلى (التضام)، و كلاهما يعني المصاحبات اللغوية بين أجزاء الجملة الواحدة أو أجزاء النص، و هو نوع من الاتساق المعجمي؛ و يعرفه محمد خطابي بقوله: "هو توارد

(4) الأزهر الزناد: نسج النص، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1993. ص123-124.

(1) المرجع السابق، ص124.

(2) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج2. ص43.

(3) المرجع السابق. ص19.

(4) المرجع السابق. ص39.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك<sup>(5)</sup>، كما أنّ المصاحبة تشير إلى "الطريقة التي يمكن من خلالها انتظام الكلمات معا، و إلى القيود المستعملة لبيان كيفية تضام الكلمات معا، مثل حروف الجر و معمولاتها، و الأفعال مع الأسماء... إلخ"<sup>(6)</sup>. و يعرفها (أولمان) بأنها "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة بكلمات أخرى معينة"<sup>(1)</sup> و هذه العلاقة الرابطة بين زوج من الألفاظ متعددة جدا، و قد ذكر هاليداي و رقية حسن بعضها، و هي<sup>(2)</sup>:

1/ التباين: *complementaires* و له درجات عديدة حيث قد يكون اللفظان:

أ- متضادين *opposites* مثل: ولد/بنت

ب- متخالفين *antonyms* مثل: أحب /أكره

ج- متعاكسين: *converses* مثل: أمر /أطاع.

2/ الدخول في سلسلة مرتبة *ordered series*

مثل: الثلاثاء/الأربعاء، الدولار/السنت، اللواء/العميد.

3/ الكل للجزء: *part to whole* مثل: السيارة/الفرامل، الصندوق/الغطاء.

4/ الجزء للجزء: *part to part* مثل: الفم/الذقن.

5/ الاندراج في صنف عام: *général class* مثل: الكرسي/ الطاولة، حيث تشملهما كلمة

الأثاث.

و ليست هذه العلاقة الوحيدة الرابطة بين زوج من كلمات، و إنّما هناك علاقات أخرى، و لكن ربما يصعب تحديدها، و ذلك مثل العلاقة الجامعة بين الأزواج: الضحك/النكتة، الحديقة/الحرث، المريض/الطبيب، المحاولة/النجاح، و غير ذلك، و قد "يتجاوز القارئ هذه الصعوبة بخلق سياق تترايط فيه العناصر المعجمية معتمدا على حدسه اللغوي و على معرفته بمعاني الكلمات"<sup>(3)</sup>. كما أنّ المصاحبة قد تتسع لتشمل ما يتجاوز زوجا من الكلمات و ذلك مثل: شعر/أدب/القارئ/الكاتب / الأسلوب<sup>(4)</sup>.

فالمصاحبة إذن قد تكون بالتضاد أو الترادف أو الكلية و الجزئية... إلخ من العلاقات بين الكلمات و بعضها، و هذه العلاقة لا تكون داخل الجملة الواحدة فقط، بل قد تكون بين كلمات في جمل متباعدة.

(5) محمد خطابي: لسانيات النص، ص25.

(6) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج2. ص43.

(1) جميل عبد المجيد: البدع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص107.

(2) هاليداي و رقية حسن: ص285.

(3) محمد خطابي: لسانيات النص، ص25.

(4) جميل عبد المجيد. ص107-108.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

أما في البلاغة العربية فإننا نجد فنونا بديعية عديدة تقوم مقام (المصاحبة المعجمية أو التضام)، و يمكن جمعها بالاعتماد على ما أورده جميل عبد المجيد في الجدول الآتي: (5)

المصاحبة المعجمية	ما يقابلها في فن البديع
1/ التباين: <i>complementaits</i> و له درجات عديدة حيث قد يكون اللفظان: أ- متضادين <i>opposites</i> مثل: ولد/بنت ب- متخالفين <i>antonyms</i> مثل: أحب /أكره ج- متعاكسين: <i>converses</i> مثل: أمر /أطاع.	1/ الطباق: أ- طباق الإيجاب: مثل: أيقاظ/رقود، تعز/تذل... ب- التدييح: ويختص بألفاظ الألوان... ج- إيهام التضاد: خلق الشاعر أو الكاتب لإمكانية تطابق كلمتين هما في الأصل ومن حيث المعنى المعجمي غير متطابقتين، و ذلك بالاعتماد على السياق المقامي و المقالي للنص.
2/ الدخول في سلسلة مرتبة <i>ordered series</i> مثل: الثلاثاء/الأربعاء، الدولار/السنت، اللواء/العميد.	2/ مراعاة النظرير: وهو عبارة عن جمع الأمور المتناسبة، كقوله تعالى "و الشمس و القمر بحسبان" و هو أربعة أنواع: أ- إيراد الملائم: أن يُؤتى بالشيء و شبيهه ب- إيراد النقيض: أن يُؤتى بالشيء و ضده ج- الانجرار: أن يُؤتى بالشيء و ما يستعمل فيه، القوس و السهم مثلا.. د- التناسب.
3/ الكل للجزء: <i>part to whole</i> مثل: السيارة/الفرامل، الصندوق/الغطاء.	3/ التوشيح ارتباط صدر الكلام بآخره، وهناك
4/ الجزء للجزء: <i>part to part</i> مثل: الفم/الذقن.	4/ التسهيم من فرق بينهما (1).
5/ الاندراج في صنف عام: <i>général class</i> مثل: الكرسي/ الطاولة، حيث تشملهما كلمة الأثاث.	

و يرى جميل عبد المجيد أنّ هناك ثلاثة فنون أخرى تعتمد على المصاحبة المعجمية و هي: اللف و النشر، و الاستخدام و التورية المرشحة؛ و هي -بالإضافة إلى تحقيقها للسبك المعجمي- تقوم أيضا

(5) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية. ص 109-121.

(1) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها. ص 320.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

بوظائف أخرى منها: رد الملفوف إلى المنشور بالنسبة للفن الأول، و تحديد المعنى بالنسبة للفن الثاني، و  
تضعيف الإيهام بالنسبة للفن الثالث<sup>(2)</sup>.

### 4.2/التوازي:

"و هو من أشكال النظام النحوي الذي يتمثل في تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول و النغمة  
و التكوين النحوي، بحيث تبرز عناصر متماثلة في مواقع متقابلة في الخطاب، و قد يسمّى التشاكل"<sup>(1)</sup>.

و يرى دي بوجراند ودريسلر أنّ "إعادة البنية مع مثلها بعناصر جديدة تشكل التوازي"<sup>(2)</sup>،  
يمثلان لهذا بجمل و عبارات مقتطفة من بيان إعلان الاستقلال الأمريكي<sup>(3)</sup>:

- سرق بحارنا، خرب سواحلنا، حرق مدننا.

فهنا جمل متوازية نحويًا (فعل + مفعول به مضاف إلى ضمير الملكية).

و في فقرة أخرى من الإعلان نفسه، يرد تواز نحوي آخر (حرف اللام+ المصدر):

لتقسيم قوة الجند...لحمايتهم...لقطع تجارتنا...لفرض ضريبة...لحرماننا...لإبعادنا...لإلغاء النظام الحر.

و يشير دي بوجراند و دريسلر إلى وجود ترابط بين التوازي النحوي و المحتوى في العبارات السابقة،

فالمحتوى فيها وصف لأفعال الملك، و هي أفعال -على تعددها- يشملها محتوى أو فعل واحد، و هو

(إساءة استخدام القوة)، و كذلك الأمر في البنية النحوية، فهي -على تعددها- واحدة، و بهذا جسد

التوازي النحوي توازي المحتوى، و قد يكون الأمر كذلك حين تتكرر البنية النحوية مقلوبة، كما في المثال

التالي: أعداء في الحرب، في السلام أصدقاء.

فهنا تكرار للبنية على جهة العكس، و المحتوى كذلك معكوس<sup>(4)</sup>.

و ترجع الريادة في دراسة هذه الظاهرة و كشف ارتباطها الوثيق بالشعر إلى ياكوبسون

(Jakobson) الذي استرعى انتباهه -و هو يدرس التراث الشفوي للشعر الروسي- "التوازي الذي ربط

من البداية إلى النهاية أبياتًا متجاورة"<sup>(5)</sup>. مما أكّد له ما ردّده قبله هوبكنس (1844-1889) من أنّ

"بنية الشعر هي بنية التوازي المستمر"<sup>(6)</sup>، و قد عمّق ياكوبسون دراسة هذه الظاهرة، و كشف عن تجلياتها

(2) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية. ص117-121.

(1) صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص. ص215.

(2) R.de Beaugrande & W.Dressler: introduction to text linguistics, p49

(3) op.cit.p49.

(4) R.de Beaugrande & W.Dressler: introduction to text linguistics, p58/ جميل عبد المجيد.

ص121.122.

(5) رومان ياكوبسون: قضايا الشعرية، تر: محمد الولي و مبارك حنون، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1988. ص105

(6) المرجع السابق. ص105-106.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

المختلفة في مستوى تنظيم و ترتيب البنى التركيبية، و في مستوى تنظيم و ترتيب الأشكال و المقولات النحوية، و في مستوى تنظيم و تركيب الترادفات المعجمية، و تطابقات المعجم التامة، و في الأخير في مستوى تنظيم و ترتيب تأليفات الأصوات و الهياكل التطريزية<sup>(1)</sup>.

و يبدو أن دراسة ياكوبسون عن التوازي، أفاد منها - فيما أفاد - أحد علماء اللغة النص و هو (فان دايك)، حيث حاول أن يضع قواعد النص الأدبي، من أجل وصف البنيات الأدبية، مثل: "الوزن *mètre* و الاستعارة *métaphore* و الحبكة السردية، و في إطار هذا تناول فان دايك المكونات السطحية الخاصة بالنص الشعري و تشمل عنده: الصوت *phonologie*، و الخط *grapheme*، و الصرف *morphologie* و التركيب *syntaxe*"<sup>(2)</sup>.

إنّ التوازي يحققه - حسب جميل عبد المجيد- في البلاغة العربية كل من: المقابلة، و المزوجة، و العكس و التبديل، و التفريق، و التقسيم، و الجمع مع التفريق، و الجمع مع التقسيم، و الجمع مع التفريق و التقسيم، و قد يتعاقد التوازي النحوي مع التوازي الصوتي في فنون بديعية أخرى و هي: التجزئة و الترصيع و المماثلة و التفويف (دائما) و فنا التسميط و الشطير<sup>(3)</sup>.

أما صلاح فضل فيرى أنّه "كلما كان التوازي عميقا متصلا بالبنية الدلالية كان أحفل بالشعرية، و أكثر ارتباطا بالتشاكل المكون للنسيج الشعري في مستوياته العديدة. و إذا كانت الأوزان الشعرية هي مرتكز هذا التوازي على المستوى الصوتي فإنّ أنماط الجمل النحوية و أطوالها و علاقاتها و مواقع عناصرها هي التي تعد مظهر تحقّقه على المستوى النحوي، مما يدخل فيما يسمى بنحو الشعر، و تؤدي ملاحظته و رصده إلى تكوين أجرومية للصيغ الشعرية كان التراث العربي فيما يبدو حافزا لاكتشافها في الشعرية الحديثة"<sup>(4)</sup>.

### 5.2 / الحذف: (élimination)

يحدّد هاليداي و رقية حسن الحذف بأنّه "علاقة داخل النص، و في معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، و هذا يعني أنّ الحذف عادة علاقة قبلية". و في نظر دي بوجراند فإنّ الحذف يمثّل استبعادا للعبارة السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بوساطة العبارات الناقصة<sup>(5)</sup>؛ و يوضح الدارسون الفرق بين الحذف و الاستبدال "كون الأول (استبدالاً

(1) المرجع السابق. ص106.

(2) v.dijk : some aspectes of text grammars.p.224-205

(3) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص124-126.

(4) صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص. ص215.

(5) دي بوجراند: النص و الخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط1، عالم الكتب، 1991. ص301.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

بالصفر)، أي أن علاقة الاستبدال تترك أثراً، و أثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً، و لهذا فإنّ المستبدل يبقى مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال، و بعبارة أخرى، لا يحل محل المحذوف أي شيء، و من ثم نجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق<sup>(1)</sup>، مثال ذلك ما أورده هاليداي و رقية حسن:

- يقرأ جون قصيدة ، و كاترين قصة. (أي و تقرأ كاترين قصة).

لكنّ محمد خطابي يرى "أنّ الحذف في هذا المستوى غير مهم من حيث الاتساق، وذلك لأنّ العلاقة بين طرفي الجملة علاقة بنيوية لا يقوم فيها الحذف بأي دور اتساق، و بناء عليه فإنّ (أهمية) دور الحذف في الاتساق ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل و ليس داخل الجملة الواحدة"<sup>(2)</sup>.

أمّا الحذف في نظر صلاح فضل فيتمثل "في اختزال بعض عناصر الجملة اللازمة في السياق العادي على أن يفهم معنى العنصر المحذوف نتيجة لضرورة استقامة السياق النحوي و الدلالي. و هو شكل عام في جميع اللغات"<sup>(3)</sup>. و هو ما يقرره طاهر سليمان حمودة إذ اعتبر أنّ الحذف أصبح ظاهرة لغوية "تشارك فيها اللغات الإنسانية، حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة"<sup>(4)</sup>.

و يمكن أن يعتبر (الاشتغال النحوي) - كما يقول صلاح فضل - من قبيل الحذف أيضاً، خاصة إذا أعملت الثاني اعتماداً على توضيحه اللاحق للأول فتحذف اللاحق منه. كما يمكن أن تحذف أدوات الربط في مثل هذه الجمل، مما ينتج نوعاً من سرعة الإيقاع و ديناميكية التعبير، و يتم ذلك في الشعر أو النثر، خاصة عند تعداد بعض الدرجات للوصول إلى ذروة التعبير المتصاعد مثل: تعال، اجر، طر، اخترق الجبال لي<sup>(5)</sup>.

لقد حدّد اللسانيون - بصفة عامة - أنواعاً رئيسة للحذف بينها المخطط الآتي<sup>(6)</sup>:

(1) محمد خطابي: لسانيات النص. ص21.

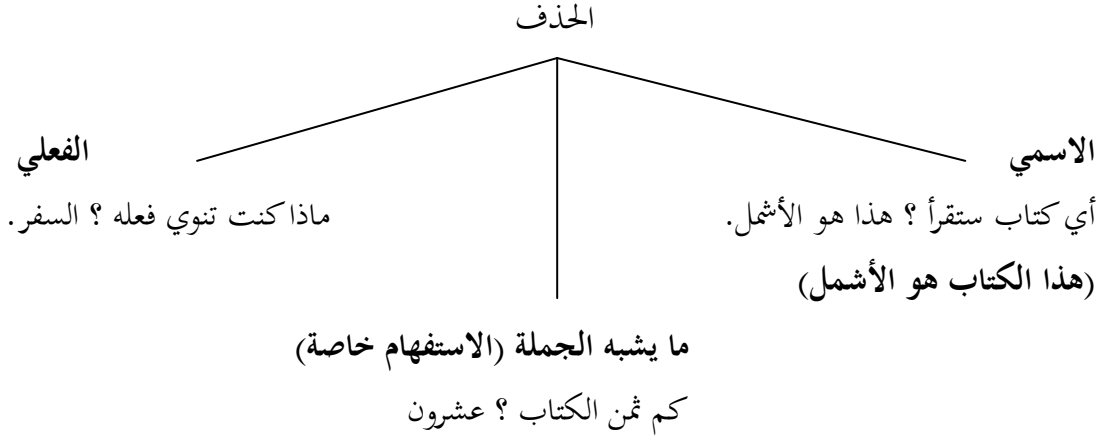
(2) محمد خطابي: لسانيات النص. ص22.

(3) صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص. ص212.

(4) طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي. ص6. / الفقي، ج2. ص191.

(5) صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص. ص212-213.

(6) طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ص253.



كما اتفق النقاد قديما و حديثا على أنّ شرط الحذف أن يكون هناك دليل على المحذوف أو ما يسمى (القربنة)، "و أهمية وجود الدليل تكمن في كونه يحقق المرجعية بين المذكور و المحذوف في أكثر من جملة"<sup>(1)</sup>.

و يلاحظ صبحي إبراهيم الفقي أنّ التماسك في تراكيب الحذف يقوم على محورين أساسيين<sup>(2)</sup>:

- الأول: التكرار باللفظ نفسه، أو بالمعنى فقط، أو كليهما معا.

- الثاني: المرجعية سواء أكانت سابقة أو لاحقة.

وربما يكون من المجدي منهجيا تأكيد أهمية الوظيفة البلاغية للحذف في سلّم الظواهر البلاغية العالمية باعتباره قاعدة كلية تخضع لها كلّ اللغات، ناهيك عن قيمته الجمالية فكثيرا ما يقرن الحذف بالبيان والبلاغة والشعرية ذلك أنّ "اكتمال عناصر الصياغة يدخلها منطقة الشفافية التي يستطيع المتلقي اختراقها سريعا إلى الناتج الدلالي، فلا تحصل للنفس لذة و لا ذوق بإدراك المعنى، أما الحذف فإنّه يدخل البنية دائرة الكثافة، بحيث لا يخرقها المتلقي إلا بعد معاناة، فيكون اكتساب المعنى شبيها باكتساب التصور، فيزداد الكلام حسنا، و تزداد النفس لذة"<sup>(3)</sup>.

من خلال ما تقدم عن الحذف نرى أنّ هذا الأخير من أهم وسائل التماسك النصي التي تبرز أهمية المتلقي، إذ هو الذي يدرك -عبر آفاقه الكثيرة- مواضع الحذف و كيفية قيام هذا الحذف بوظائفه البلاغية و النصية، " فالمتلقي -كما أشار إلى ذلك بهاء الدين السُّبكي- يعي بطبعه دوافع الحذف، لأنّه يدرك أنّ

(1) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج2. ص208.

(2) المرجع السابق. ص221.

(3) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997. ص 221-222.

المحذوف مدلول عليه عقلا، و من ثم يكون ذكره عبثا، و هو ما يعني تدخل عملية (التخييل) في بناء هذا السياق، مما يؤكد بلاغيته، و يصلها إلى درجة عالية من الأدبية<sup>(1)</sup>.

## 6.2/ الاستبدال أو الإبدال أو الإحلال (substitution)

تكاد تتفق جميع التعريفات حول الاستبدال مع تعريف هاليداي و رقية حسن كونه "عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"<sup>(2)</sup>، و يتحقق الإبدال في نظر دي بوجراند بارتباط مكونين من مكونات النص أو عالم النص يسمح لثانيهما بأن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأول<sup>(3)</sup>، مثال ذلك: قوله تعالى: [ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ] [آل عمران، الآية: 13]، فنلاحظ هنا أن كلمة (أخرى) حلت محل كلمة (فئة) و دلّت عليها.

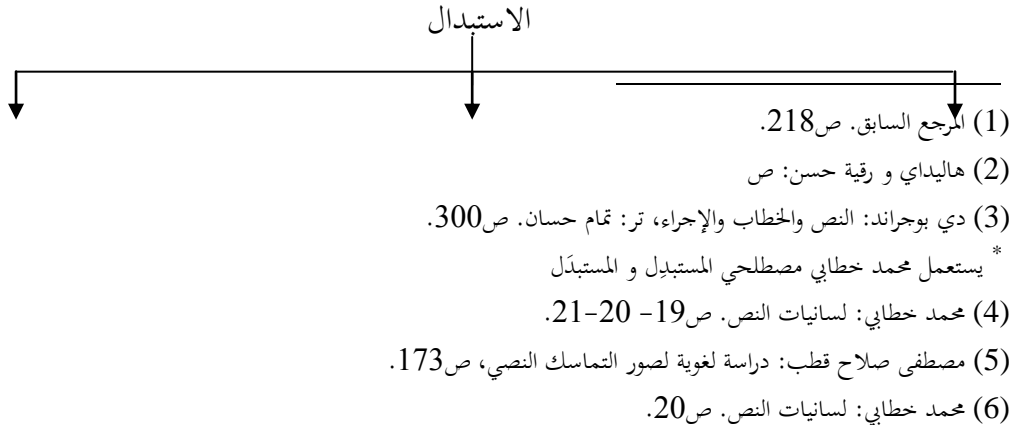
فالاستبدال إذن يعدّ علاقة اتساق، شأنه في ذلك شأن الإحالة، إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي-المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، و لئن كانت العلاقة بين عنصري الإحالة (الحيل و المحال إليه) علاقة تطابق، فإن العلاقة بين عنصري الاستبدال (المستبدل و المستبدل به) \* علاقة تقابل تقتضي إعادة التحديد و الاستبعاد (*répudiation*)<sup>(4)</sup>، كما أنّ معظم الاستبدالات النصية من طبيعة قبلية، فهي قائمة على علاقة بين عنصرين أحدهما متأخر والثاني متقدم<sup>(5)</sup>، و من ثم يمكن الحديث عن الاستمرارية ( أي وجود العنصر المستبدل بشكل ما في الجملة اللاحقة)، و لكي نوضح المقصود ب (الاستبعاد) نضرب المثال الآتي:

- قلمي لا يكتب أريد آخر. (يكتب).

إذ نلاحظ تقابلا بين قلمين أحدهما يكتب والآخر لا يكتب، مما يعني احتفاظ المتكلم بجزء من المعلومة المتعلق بالقلم الذي يكتب ويستبعد ما يشير إلى الذي لا يكتب.

### 1.6.2/ أنواع الاستبدال:

يلخص المخطط الآتي أنواع الاستبدال النصي، كما وضحتها هاليداي و رقية حسن<sup>(6)</sup>:



فأما الاستبدال الاسمي فيكون فيه العنصر البديل متصلا باسم ورد ذكره في موضع سابق من النص كما في قوله تعالى: قال تعالى: (وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ # وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) [سورة: ص - الآية: 37،38]، فكلمة (آخرين) بديل عن كلمة (الشياطين) المذكورة سابقا؛ وأما الاستبدال الفعلي فيكون العنصر البديل فيه متصلا بفعل أو أفعال ورد ذكرها سابقا في النص مثل قوله تعالى: (يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلَّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [سورة: المائدة - الآية: 67] فقوله عز و جل: (تفعل) استبدال فعلي للجمل السابقة : (بلغ ما أنزل إليك من ربك). وأما الاستبدال القولبي فيكون باتصال العنصر البديل بقول كامل ورد ذكره سابقا مثل قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [سورة: البقرة - الآية: 113] فعبارة: (مثل قولهم) استبدال قولبي من قولهم: (ليست النصارى على شيء).

لقد تطرق النحويون العرب إلى الإبدال أو البدل و لكن بوصفه تابعا من التوابع، و تحدث عنه النصيون أو النصانيون بوصفه وسيلة من وسائل التماسك النصي، لكن الاختلاف القائم بين البدل في النحو العربي، و الإبدال في علم اللغة النصي لا يمثل مانعا من الاعتراف بأن البدل في النحو العربي يحقق التماسك، لكن على مستوى الجملة الواحدة في الغالب<sup>(1)</sup>، في حين أن الاستبدال في علم النص يعدّ مظهرا من مظاهر الكفاءة النصية -أي على مستوى النص ككل- و محققا لمبدأ الاستمرارية.

مع انتهاء عرض السبك نشير إلى ما تبّه إليه هاليداي و رقية حسن، حيث ذكرا أنّ للسبك درجات، و هي تتوقف على عدد الوسائل المستخدمة، فكلّما ازداد عدد الوسائل السابقة في نص، ارتفعت درجة السبك فيه و من ثمّ درجة النصية، و العكس صحيح.

لكن بماذا نفسر غياب أدوات السبك في بعض النصوص، و مع ذلك تبدو أجزاءه آخذة بعضها برقاب بعض؟ هل يحتاج النص -كما يقول براون و يول- إلى مثل هذا الترابط على مستوى الأدوات حتى يكون نصا؟

(1) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي. ص268.

يرى علماء لغة النص أنّ هناك مظهرا آخر لبناء الخطاب توضع فيه الجمل والفقرات إلى جانب بعضها دون أن تظهر بينها وسائل الربط الشكلية التي أشرنا إليها سابقا، و "يوردون حجّتهم في مثل هذا الإجراء، بأنّه في البناء السطحي تنعكس دائما أجزاء فقط من معنى النص، و ليس كلّ المعلومات الدلالية، ما يعني أنّ وحدة أي نص لا يمكن أن توجد بشكل كاف إلا بمراعاة بناء القاعدة الدلالية"<sup>(1)</sup>، و المتمثلة فيما يسمّى بالحبك (*cohérence*)؛ فما مفهومه؟ و ما هي مظاهره؟

ثانيا: المستوى الدلالي:

### 1/ مفهوم الانسجام أو الحبك (*cohérence*)

يعدّ الحبك (*cohérence*) المعيار الثاني من معايير النصية عند دي بوجراند و دريسلر، إذ "يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص (*textual world*)، و نعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم *concepts* و العلاقات الرابطة *relations* بين هذه المفاهيم"<sup>(1)</sup>. كما يقوم الحبك -بالنسبة لمعظم الدارسين في مجال علم النص- على تلك العلاقات المنطقية والدلالية الكامنة في الخطاب، والتي تنظمه وتربط مكوناته بعضها ببعض فتجعل الخطاب المشتت ظاهريا منسجما مقبولا.

و الحبك أو الانسجام أو الاقتران - كما يسمّيه البعض - "لا ينبع من محتوى النص فحسب، و إنّما ينبع أيضا من العلاقة التي ينشئها مستعمل المقال - المتلقي - بين سلاسل الجمل، فيؤدي ذلك إلى النظر فيما سمّاه (فان دايك) البنية الكبرى *macro-structure* تمييزا لها عن البنية الصغرى، و هي الجملة"<sup>(2)</sup>.

ويرى صلاح فضل أنّه "عن طريق مفهوم البنية الكبرى استطاع علماء النص مقاومة الفكرة الشائعة عن أنّ التماسك النصي يتحدّد فحسب على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات و الجمل، لأنّ هذا المستوى الأخير لا يقدم سوى الأبنية الصغرى... و تظل البنية الكبرى هي التمثيل الدلالي الكلي الذي يحدد معنى النص باعتباره (عملا كليا فريد)، و بدون هذه البنية الكبرى و القواعد التي تحكمها و تكمن تحتها يمكن أن ننزل بسهولة إلى تصور التماسك النصي على اعتبار أنّه مجرد رابط سطحي و خطي بين الوحدات الجزئية"<sup>(3)</sup>.

(1) فولفجانج هايننه من و ديتير فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1999. ص37.

(1) سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري. ص155.

(2) إبراهيم خليل: في اللسانيات و نحو النص. ص200.

(3) صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص. ص266.

إنّ محلل الخطاب وهو يسعى إلى تحليل مظاهر الانسجام لا بد له من الربط بين الأقوال وسياقها التداولي والمقاصد التي تكمن وراءها والاعتبارات التي تجعل تلك الأقوال مقبولة من الناحية التداولية، وبعبارة أخرى لا بد أن ينظر المحلل في مدى مناسبة المقال للمقام، أو ما يعرف عند اللسانيين (بمعرفة العالم). لكن، ما هي مظاهر الانسجام؟ أو بعبارة أخرى، ما هي تلك العلاقات الدلالية و المنطقية التي تجعل من خطاب ما خطابا منسجما؟

## 2/ مظاهر الحبك أو الانسجام:

### 1.2/التضمن:

يعتبر فان دايك أنّ الشرط الأول لضمان الانسجام هو العلاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجمل، و يعطي كمثال عن هذا الشرط الجملة الآتية<sup>(1)</sup>:

- جون أعزب، فهو إذن غير متزوج.

حيث أن مفهوم (أعزب) ينطوي أو يتضمن على مفهوم (غير متزوج) تبعا للمعنى المقتضى في اللغة الطبيعية، إلا أنّ فان دايك يرى أنّ شرطا كهذا ليس كافيا لكي نتحدث عن جملتين مترابطتين.

### 2.2/التطابق الإحالي:

يضرب لنا فان دايك المثال الآتي: <sup>(2)</sup>

- جون أعزب، و كذلك بيتر غير متزوج.

فهو مثال غير مقبول -في نظره- و من ثم ليس مترابطا، و هذا يقتضي إضافة شرط آخر إلى التضمن و هو التطابق الإحالي، أي أن يكون نفس الشخص متحدثا عنه في طرفي الجملة.

### 3.2/ تعالق الوقائع (أو الأحداث):

يعتبر شرط التطابق الإحالي غير كاف أيضا، و هو ما يجعل الجملة الآتية غريبة في نظر فان دايك: <sup>(3)</sup>

- جون أعزب، و على ذلك فهو يشتري أغاني كثيرة.

فبالرغم من أن المتحدث عنه هو نفسه -جون- إلا أننا لا ندرى من أي منظور يمكن أن يتعالق واقع كون جون أعزب وواقع شرائه كثيرا من الأغاني أو الأسطوانات. و عليه فإن الانسجام يتطلب شرطا أعم و هو تعالق الوقائع التي تشير إليها القضايا.

### 1.3.2/ الترتيب الزمني:

(1) فان دايك: النص و السياق: تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000. ص75.

(2) المرجع السابق. ص75-76.

(3) المرجع السابق. ص76.

على أنّ ترابط الوقائع ينبغي أن يستجيب-بالنسبة لفان ديك- لبعض الشروط، منها الترتيب الزمني، "و هو ربط بين الأحداث أو الحركات حسب تعاقبها على محور الزمن؛ حيث يوافق سرد الأحداث في النص تتاليها الكرونولوجي، في الزمن الحقيقي أو الفيزيائي"<sup>(1)</sup>؛ فإذا كانت جملة مثل: (لقد كانت بالأمس حرارة مفرطة، فذهبنا إلى الشاطئ) مقبولة، فإنّ جملة مثل: (و بالأمس كانت الحرارة مفرطة، فذهبنا آخر الأسبوع إلى الشاطئ) غير مقبولة، و من ثم غير مترابطة لأنّها لا تستجيب لشرط الترتيب الزمني<sup>(1)</sup>.

### 2.3.2/ تعالق العوالم الممكنة

كما قد تحترم متتالية ما الترتيب الزمني ولكنها لا تكون مترابطة، و يقدم فان ديك مثالا لذلك بالجملة الآتية:

- لقد رأيت في منامي كون الحرارة شديدة، فذهبت إلى الشاطئ.

إنّ واقع كون الطقس حارا في عالم الحلم ليس سببا عاديا للذهاب إلى الشاطئ في عالم فعلي، و من ثمّ ينبغي أن يضاف شرط آخر إلى الترتيب الزمني و هو **تعالق العوالم الممكنة**. فمثل هذه الجملة تكون جائزة في نظر فان دايك، إذا كان حدث رؤية الحلم لها نوع من التعلق بحدث الذهاب إلى الشاطئ، مما يجعل جملة نحو: (لقد كان اليوم حارا جدا حتى أنّي قد حملت بأيّ ذهبت إلى الشاطئ) مقبولة، إذ يجوز أن تكون درجة الحرارة في العالم الواقعي قد أثّرت في كوني حالما على ذلك النحو بل و أيضا على محتوى الحلم، أي سبب وقوع الأحداث في العوالم التي يمكن الدخول إليها كان انطلاقا من العالم الواقعي<sup>(2)</sup>.

### 3.3.2/ علاقة السبب و النتيجة

يذهب فان ديك إلى أن أحد شروط تعالق الوقائع هو **علاقة السبب و النتيجة**، محددًا السبب على الشكل التالي: "يسبب (أ) الحدث (ب) إذا كان (أ) شرطًا كافيًا لظهور (ب)". فكلّما كان السابق شرطًا كافيًا للنتيجة كانت الوقائع متعلقة؛ مثال ذلك: (ولأنّ جون لم يكلف نفسه عناء العمل فقد رسب في الامتحان)<sup>(3)</sup>.

و بالإضافة إلى علاقة السبب و النتيجة، فقد صنف المناطقة و علماء فقه اللغة أنماطا عديدة من العلاقات المنطقية يمكن توضيحها من خلال الأمثلة الآتية<sup>(4)</sup>:

- ذهاب جون إلى نيويورك، تسبب له في مقابلة ماري (السبب-الأثر)

(1) الأزهر الزناد: نسيج النص، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1993. ص46.

(2) فان دايك: النص و السياق: تر: عبد القادر قنيني. ص76-77.

(3) المرجع السابق. ص77.

(4) المرجع السابق. ص77.

(4) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص147.

- بالذهاب إلى نيويورك، قابل جون ماري (الوسيلة - النتيجة)
- لو كان جون ذهب إلى نيويورك، لكان قد قابل ماري (الشرط - الجواب)
- بما أن جون ذهب إلى نيويورك، فمن المؤكد أنه يقابل ماري (المفترض - النتيجة).

### 4.3.2/ النشاط المتماثل

يعتبر فان ديك علاقة الشرط و النتيجة التي تميز الترابط غير واردة دائما، و يوضح ذلك المثال الآتي:

- لقد ذهبنا إلى الشاطئ، و لكن بيتر ذهب إلى المسبح.

ففي هذه الجملة لا يعبر الناتج (ذهاب بيتر إلى المسبح) عن قضية تشير إلى واقع يعدّ، بطريقة ما، نتيجة للواقع الذي يشير إليه السابق (ذهابنا إلى الشاطئ). و لكن الذي يضمن ترابط هذه الجملة هو "النشاط المتماثل" الحاصل تقريبا في نفس الوقت، أي "الذهاب إلى الشاطئ" و "الذهاب إلى المسبح" فالنشاط الممارس في كلتا الحالتين هو السباحة<sup>(1)</sup>.

### 5.3.2/ علاقات التعميم-التخصيص أو الإجمال-التفصيل

تعني علاقات التعميم-التخصيص، أو الإجمال-التفصيل، "إيراد معنى على سبيل الإجمال، ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه"<sup>(2)</sup>، مثل قوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ## وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[سورة: آل عمران - الآية: 106، 107] ففي العبارة الثانية تفصيل أو تفسير للحالة الإجمالية المثبة في العبارة الأولى، و هذه العلاقة-كثيرا ما-تقع في مستويات أعلى في النص، كما تشكل الملمح الأساسي للخطاب التفسيري.

### 6.3.2/ موضوع التخاطب

يرى فان ديك أنّ الوقائع التي تشير إليها القضايا تكون متعاقبة بقدر ما تكون مرتبطة بموضوع التخاطب أو التحاور، و من ثم استبعد الجملة الآتية: (لقد ذهبنا إلى الشاطئ وقد ولد بيتر في مانشيستر)، لأنّ موضوع السابق فيها هو "الذهاب إلى الشاطئ"، بينما موضوع اللاحق هو "مكان ميلاد بيتر". و هكذا ينتهي الباحث إلى أنّ "الشرط الأدنى لتعلق القضايا المعبرة عنها في جملة أو سلسلة متوالية يكمن في ارتباطها مع نفس (أو تعلق) موضوع التخاطب...إلا أنّ هذا الترابط لا يحتاج إلى أن يكون تصوريا فحسب بل ينبغي أيضا أن يكون متحققا في الواقع على معنى أن أحوال المقام (كوحداث الزمان و

(1) فان دايك: النص و السياق: تر: عبد القادر قيني. ص 78.

(2) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص146.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

المكان في العالم) تتخصص بحيث يصير الأفراد و الخواص و الأحداث مترابطة (على صفة من الهوية، و مبدأ السبق، و اللحق، و التعاقب)"(1).

إنّ المتأمل في الأبحاث الموجهة إلى دراسة الانسجام النصي يلاحظ بشكل لافت للنظر مدى استفادة تلك الأبحاث من تخصصات علمية متنوعة مثل علم الاجتماع وعلم النفس اللغويين والمنطق وغيرها، وكل ذلك في سبيل استكشاف الآليات الذهنية التي تتحكم في توليد الخطاب وبنائه وفهمه، كما يكتشف أيضا أنّ "التحليل الدلالي يعتمد في المقام الأول على كفاءة المفسّر و ثقافته و خلفيته و قدرته على التفكيك و اكتشاف علاقات الترابط و الوحدة، و تمكنه من الانتقال من المضامين الظاهرة التي تنبئ أشكال الدلالة عنها إلى المضامين الخفية التي تكمن في المعزى"(2).

و في ختام الحديث عن الانسجام و مظاهره، نشير إلى ما أشار إليه جميل عبد المجيد، من أن هذه العلاقات الدلالية لها ما يقابلها في فن البديع العربي، و يتجسد ذلك خاصة في الأشكال الآتية: التكرار المعنوي(على مستوى الجمل)، تجاهل العارف، المقابلة، العكس و التبدل، الرجوع، القول بالموجب، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تأكيد الذم بما يشبه المدح، التفسير، التقسيم، الجمع ثم التقسيم، اللف و النشر، التقسيم ثم الجمع، المذهب الكلامي، المزوجة، الجمع مع التفريق، الجمع مع التفريق و التقسيم، التعليل، تشابه الأطراف، التسهيم، التفويف، الاستطراد، إيهام الاستطراد، التخلص، فصل الخطاب، التفريع، الإدماج، الاستتباع(3). و يرى هذا الباحث أنّ هذه الفنون " تغدو بحكم ما فيها من علاقات دلالية، مؤهلة للإسهام في الحبك، كما تغدو بحكم تجاوز معظمها مستوى الجملة و البيت من جهة، و قابليتها للتحقق على مستوى الفقرة و النص من جهة أخرى، تغدو مؤهلة للإسهام في الحبك، فيما بين الجمل، و الفقرات، و النص بتمامه"(4).

أمّا محمد مفتاح فيرى "أنّ التنضيد\* و التنسيق\* ليسا كافيين و إن كانا ضروريين، فقد تحتوي الجمل على أدوات التنضيد و التنسيق و لكنها لا تكوّن نصا، و عليه فلا بد أن تضاف إليها عناصر أخرى

(1) فان دايك: النص و السياق: تر: عبد القادر قنيني. ص 82.

(2) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص. ص 14.

(3) جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. ص 148-173.

(4) المرجع السابق. ص 174.

\* التنضيد: يقصد به أدوات العلائق النحوية الآتية: و، أو، أدوات الاستثناء، حروف التعليل، ما يدل على الغاية و الشرط و الجواب.

\* التنسيق: الإحالة بأنواعها، الضمائر بأنواعها، أسماء الإشارة بأنواعها، أل، أسماء الاستفهام بأنواعها، أفعال التفضيل، أنواع الموصولات، الإجمال و التفصيل، التكرار بأنواعه، الكناية، المجاز المرسل، الاستعارة.

يختلف الباحثون في عددها و في تسمياتها، و أهمّها المرسل و المتلقي و القناة و الموضوع و المقام و الهدف، و إذا اجتمع التنضيد و التنسيق و العناصر المذكورة فإنّ تلك الجمل تصبح نصّاً منسجماً<sup>(1)</sup>. لذلك أردنا التطرق في ثالث فصول هذه الدراسة إلى عنصرين آخرين من عناصر النصية، بالإضافة إلى الاتساق و الانسجام، و هما التناص و المقامية، محاولين بذلك تحقيق مستويات البحث النصي المتمثلة في: المستوى النحوي، و المستوى الدلالي، و المستوى التداولي؛ لكن قبل ذلك نطرح التساؤل الآتي: ما مدى تحقق ظواهر السبك و الحبك في مقالات "سجع الكهان" التي نحن بصدد دراستها؟ للإجابة عن هذا السؤال سنكتفي بتحليل نموذج فقط من كل مقالة، نظراً للطول الذي تتسم به كل واحدة منها، بشرط أن تتوفر هذه النماذج على قدر من مظاهر السبك و الحبك بحيث يسمح لنا بتعميم الحكم على كل مقالة من المقالات.

### 3/ مظاهر السبك و الحبك في نماذج من "سجع الكهان"

#### نموذج من المقالة الأولى:

"أيتها البحيرة مالك في حيرة؟ لقد شهدت لبدر بن عمار بالفتوة، فهل تشهدين لأبي الطيب بالنبوة؟... و حدّثي الولي يا (ولية)، أتيهما كان عليك بلية؛ ذاك الذي وردك زائراً، أم هذا الذي وردك خائراً؟ إنهما لا يستويان؛ ذاك أسد غاب، رزقه في الناب، و هذا حلف و جار، رزقه على الجار؛ ذاك يعيش على فرائسه، و هذا يعيش على فضلات سائسه؛ ذاك رمز إقدام، و هذا موطن أقدام؛ ذاك ورد الفرات زئيره، و هذا جاوز الفرات تزويره؛ ذاك مشغول البال بتربية الأشبال، و هذا مشغول... بعرس الغول"<sup>(2)</sup>. نستطيع من خلال هذا النموذج أن نقف على مظاهر السبك و الحبك و ذلك بالإشارة على الأدوات الآتية:

- الإحالة: و هي من أهم الأدوات التي أدت إلى سبك و حبك النص، و يوضّح ذلك ما يأتي:
- شهدت ← تاء التأنيث تحيل إحالة قبلية إلى البحيرة
- تشهدين ← الضمير المخاطب المؤنث المستتر أنت يحل إحالة قبلية إلى البحيرة
- حدّثي ← ياء المخاطب قبلها كسرة تحيل إحالة قبلية إلى البحيرة
- عليك ← كاف المخاطب تحيل إحالة بعدية إلى الوليّة
- ذاك ← اسم إشارة يحيل إحالة خارجية إلى الأسد
- الذي ← اسم موصول يحيل إحالة خارجية إلى الأسد

(1) محمد مفتاح: التلقي و التأويل، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994. ص158.

(2) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص520.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهّان'

وردك ← كاف المخاطب تحيل إحالة قبلية إلى الولية  
 هذا ← اسم إشارة يحيل إحالة خارجية إلى ملك الأردن (عبد الله بن الحسين)  
 الذي ← اسم موصول يحيل إحالة خارجية إلى ملك الأردن (عبد الله بن الحسين)  
 إنهما ← الضمير المتصل 'هما' يحيل إحالة خارجية إلى الأسد و ملك الأردن (عبد الله بن الحسين)  
 رزقه، زئيره، فرائسه ← الهاء في هذه الكلمات تحيل إحالة قبلية إلى الأسد  
 رزقه، تزويره، سائسه ← الهاء في هذه الكلمات تحيل إحالة قبلية إلى ملك الأردن (عبد الله بن الحسين).  
 - التوازي: في قوله: (ذاك الذي وردك زائرا، أم هذا الذي وردك خائرا؟ إنهما لا يستويان؛ ذاك أسد غاب،  
 رزقه في الناب، و هذا حلف وجار، رزقه على الجار؛ ذاك يعيش على فرائسه، و هذا يعيش على فضلات  
 سائسه؛ ذاك رمز إقدام، و هذا موطن أقدام؛ ذاك ورد الفرات زئيره، و هذا جاوز الفرات تزويره)، إذ  
 نلاحظ تقابلا في التركيب النحوي، و تشابها في النغمة و ذلك كما يأتي:

ذاك ←	اسم إشارة	→ هذا
الذي ←	اسم موصول	→ الذي
وردك ←	فعل ماضي + الضمير (الكاف)	→ وردك
زائرا ←	حال	→ <u>خائرا</u>
ذاك ←	اسم إشارة	→ هذا
أسد ←	خبر	→ حلف
غاب ←	صفة	→ <u>وجار</u>
رزقه ←	مبتدأ + الضمير 'الهاء'	→ رزقه
في الناب ←	جار و مجرور	→ على الجار
ذاك ←	اسم إشارة	→ هذا
رمز ←	خبر	→ موطن
إقدام ←	مضاف إليه	→ أقدام
ذاك ←	اسم إشارة	→ هذا
ورد ←	فعل ماضي	→ جاوز

(تماثل صوتي داخلي)

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

الفرات ← م.به → الفرات  
 زئيره ← فاعل + الضمير 'الهاء' → تزويره

- الحذف: في قوله (و هذا مشغول...بعرس الغول)، وربما كان الحذف ضروريا هنا لتوافق الفواصل بين (مشغول- الغول)، فلو أضاف الكاتب كلمة (البال) إلى كلمة (مشغول) كما هو الحال في الجملة الأولى (ذاك مشغول البال بتربية الأشبال)، لاختل الإيقاع الموسيقي، و ذلك لأنّ لها - أي كلمة البال- ما يقابلها في الجملة الأولى و هي كلمة (الأشبال)، وهذا ما لم يتوفر في الجملة الثانية. و هناك شيء أهم من حيث الدلالة و هو أنّ معنى عبارة (مشغول البال) في الجملة الأولى يحمل دلالة القلق و الأرق و الحرص على مستقبل الأشبال، لكن في المقابل لو أضاف الإبراهيمي كلمة (البال) إلى مشغول في الجملة الثانية لم و لن يستقيم المعنى، لأنّ الإنسان الذي يحضر عرسا ما، يكون مستمتعا بوقته بعيدا عن القلق و التفكير في أمور تهمّه و تغمّه، فشتان ما بين الحالتين.

### نموذج من المقالة الثانية:

"أيها العربي: الحق سافر، و العدو كافر، و القوي ظافر، فعلام تنافر خصمك إلى خنافر؟ و يلك إنّ المنافرة لا تكون إلا في المشكوك، و إنّ الحق تحميه السيوف لا الصكوك؛ و ويجك إن منافرة الكهنة إلى الكهنة، بالخبية مرتحنة، مجلس الأمن مخيف، و الراضي بحكمه ووضعه ذو عقل سخيّف، إنهم ليسوا من شكلك، و إنهم متفقون على أكلك"<sup>(1)</sup>.

تتجلى مظاهر السبك و الحبك في هذه الفقرة من خلال الأدوات الآتية:

- التوازي في قوله:(الحق سافر، و العدو كافر، و القوي ظافر)؛ إذ تكوّنت هذه العبارة من جمل متماثلة في الطول و النغمة و التركيب النحوي كالاتي:

الحقّ سافر	←	مبتدأ + خبر
العدوّ كافر	←	مبتدأ + خبر
القويّ ظافر	←	مبتدأ + خبر

تشابه الخبر في النغمة (نافر).

- الإحالة في قوله:(خصمك، و يلك، و يجك، شكلك، أكلك)، ف(الكاف) في جميع هذه الكلمات تحيل إحالة داخلية قبلية إلى (العربي).

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص523.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهّان'

- الإحالة الخارجية في قوله: ( فعلام تنافر خصمك إلى خنافر)، ف(خنافر بن التوءم) كاهن معروف، و قد أشرنا إليه في الفصل الأول من هذا البحث.
- التكرار الجزئي في قوله: (تنافر، المنافرة، منافرة) إذ تنتمي هذه الكلمات إلى جذر لغوي واحد و هو (نفر)، و المنافرة من "الاستنفار: بمعنى الاستنجاد و الاستنصار، أي طلب النصر؛... و نافرت الرجل منافرة إذا قاضيته،... و المنافرة المفاخرة و المحاكمة..."<sup>(1)</sup>.
- علاقة السبب-النتيجة في قوله: (و يلك إنّ المنافرة لا تكون إلّا في المشكوك)، فكلّ مسألة مشكوك فيها، أو أختلف حولها، سبب في المنافرة أو الاحتكام إلى قاض أو حاكم ليفصل في تلك المسألة، و عليه كانت المنافرة نتيجة لذلك الشك أو الاختلاف.
- علاقة المفترض - النتيجة في قوله: (و إنّ الحق تحميه السيوف لا الصكوك)، فالمتمائل في صفحات التاريخ يدرك أنّ حماية الحق اقتضت من صاحبه دائما حملا لراية الجهاد و الدفاع عنه، أمّا القبول بالوعود الكاذبة، و الخطب الجوفاء أمام الملأ، فهيهات أن تأتي بنتيجة.
- كما نجد في هذه الجملة أيضا إحالة في قوله(تحميه)، إذ أنّ (الهاء) تحيل إحالة قبلية إلى (الحق)؛ بالإضافة إلى ذلك نجد "الحذف الفعلي"، لأنّ أصل الجملة: (و إنّ الحق تحميه السيوف لا [تحميه] الصكوك)، فحذف كلمة (تحميه) لأنّ القارئ يستطيع أن يهتدي إليها اعتماد على ما ورد في الجملة الأولى.
- علاقة الوسيلة- النتيجة في قوله: (ويحك إنّ منافرة الكهنة إلى الكهنة، بالخيبة مرهنة)، ذلك أن الله عز و جلّ قد أزهد الكهانة و قضى على أباطيل الكهّان بنزول القرآن الكريم، و بعث خاتم النبيين.
- النشاط المتماثل في قوله: (ويحك إنّ منافرة الكهنة إلى الكهنة، بالخيبة مرهنة، مجلس الأمن مخيف، و الراضي بحكمه ووضعه ذو عقل سخيف)؛ إنّ النشاط المتماثل هنا هو (المنافرة)، فكما أنّ منافرة الكهنة إلى الكهنة بالخيبة مرهنة، كذلك الأمر بالنسبة إلى منافرة الدول القوية [الظالمة] إلى مجلس الأمن، لأنّ قرارات هذا الأخير خاضعة لهيمنة و إرادة تلك الدول، و من ثم ستكون نتيجة هذه المحاكمة بردا و سلاما على هؤلاء؛ أما تلك الدول التي لجأت إلى ذلك المجلس فهم من الذين ظلّ سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا.
- و في هذه الجملة نجد أيضا الإحالة في قوله: (بحكمه و وضعه)، إذ أنّ (الهاء) تحيل إحالة قبلية إلى مجلس الأمن مما ساهم في اتساق الجمل.

(1) ابن منظور: لسان العرب، م5. ص225-226.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

- كما أنّ قوله: (مجلس الأمن مخيف، و الراضي بحكمه ووضعه ذو عقل سخيف)؛ يحيل إحالة خارجية إلى قرارات مجلس الأمن الجائرة و الخاضعة لأطماع الدول الظالمة، سواء ما تعلّق بالقضية الفلسطينية أو غيرها من القضايا العادلة.

- تعالق الوقائع في قوله: (إنّهم ليسوا من شكلك، و إنهم متفقون على أكلك)، فلأنّ تلك الدول بما فيها مجلس الأمن تنتمي إلى أصل واحد وهو ذلك العدو الكافر، فقد كان هدفهم واحدا أيضا و هو القضاء على العرب و المسلمين، و السيطرة على منابع الثروة لديهم. بالإضافة إلى ذلك ارتبطت الجملتان بما سبقهما من خلال الإحالة القبلية بواسطة الضمير(هم) في قوله (إنّهم)، في إشارة إلى تلك الدول الغاصبة.

### نموذج من المقالة الثالثة:

"أيها الأعارب، هل فيكم بقايا من حرب أو محارب؟ دبّت بينكم العقارب، و أنتم أقارب، فتكدّرت المشارب، و تقوّضت المضارب؛ و كهمت المضارب، و غاب المسدّد في الرأي و المقارب، و لم تغن النذر و المثالات و التجارب، إنّ لدهاة المغارب يدا خفية المسارب، قرأوكم سطورا لا رجالا، و عرفوكم بطاء على الجلى لا عجالا، و حفظوكم شعرا بلا روي، وفكرا بلا رويّة فأخذوكم ارتجالا، و خالوكم على البعد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا، و حسبوكم عمدا في التركيب الأعمى، فألفوكم مفاعيل و أحوالا، فأعربوكم إعراب الفضلات، و عاملوكم معاملة المهملات، و راضوكم على المهانة حتى ذل جانبكم، ووطئت مناكبكم، فأصبحوا لا يبالون برضاكم لأنه لا ينفع، و لا يأبهون لسخطكم لأنه لا يضر. إن الغضبة لا تعقبها وثبة، هي غضبة الذليل العاجز؛ و لو افترت كل بارقة\* منكم عن صاعقة، لما حمد شائموها\* القطر؛ إن غضبة العاجز لا تُبكي و لا تُنكي، تشتعل في الحنايا و لا تهدم الحنايا، تحرق صاحبها و لا تُحرق الناس، و تلك هي غضبتكم حين تغضبون"<sup>(1)</sup>.

يستطيع محلل الخطاب أن يقف على مظاهر السبك و الحبك في هذه الفقرة من خلال ما يأتي:

- الحذف في قوله: (هل فيكم بقايا من حرب أو محارب؟)، فالأصل في الجملة أن تكون كالاتي: (هل فيكم بقايا من حرب أو هل فيكم بقايا من محارب؟)، لكنّ الكاتب حذف الجملة الاستفهامية (هل فيكم

\* البارقة: سحابة ذات برق.

\* شائموها: شام السحاب و البرق شيما: نظر إليه أين يقصد و أين يطر، و قيل هو النظر إليهما من بعيد.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص524.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

بقايا من) تجنبا للتكرار و بحثا عن الإيجاز، كما أنّ القارئ يستطيع إدراك العلاقة الدلالية الكامنة في المستوى العميق من هذه الجملة من خلال التأمل البسيط في التركيب.

- التكرار الجزئي في قوله: (حرب-محارب، أقارب-المقارب)، إذ ينتميان إلى مادة لغوية واحدة و هي مادة (حرب)، و مادة (قرب) على التوالي.

- الإحالة في قوله: (فيكم، بينكم، أنتم، قرأوكم، عرفوكم، حفظوكم، فأخذوكم، خالوكم، فوجدوكم، حسبوكم، فألفوكم، فأعربوكم، عاملوكم، راضوكم، جانبكم، غضبتكم، برضاكم، لسخطكم، منكم، مناكبكم)، إذ أنّ "كاف" المخاطب و "ميم" الجماعة بالإضافة إلى ضمير المخاطب "أنتم" في جميع هذه الكلمات، تحيل كلها إحالة قبلية إلى "الأعرب"، أما الضمير المستتر "هم" فيحيل إحالة قبلية إلى "دهاة المغرب"، و هذا ما جعل النص على درجة كبيرة من السبك.

- التوازي في قوله (فتكدرت المشارب، و تقوّضت المضارب؛ و كهمت المضارب) التشابه في

+ الحروف الأخيرة (ا،ر،ب) أدى إلى وحدة النغمة	{	فاعل	فعل ماضي	فاعل	فعل ماضي	فاعل	فعل ماضي	
			+		+		+	
			تاء التأنيث		تاء التأنيث		تاء التأنيث	

- علاقة السبب - النتيجة في قوله: (دبت بينكم العقارب، و أنتم أقارب) ← السبب  
(فتكدرت المشارب، و تقوّضت المضارب؛ و كهمت المضارب، و غاب المسدّد في الرأي و المقارب، ولم تغن النذر و المثالات و التجارب) ← النتيجة.

- كما نجد في هذه الجملة الأخيرة إحالة في قوله (فتكدرت المشارب، و تقوّضت المضارب؛ و كهمت المضارب)، حيث أنّ (تاء) التأنيث تحيل إحالة بعدية إلى كلّ من: (المشارب، المضارب، المقارب) على التوالي؛ أمّا تكرار (المضارب) فهو تكرار للفظ دون المعنى، ذلك أنّ (المضارب) الأولى بمعنى الخيام<sup>(1)</sup>، أما (المضارب) الثانية فمأخوذة من "ضريبة السيف و مضربته و مضربته... أي حدّه"<sup>(2)</sup>، و "سيف كهام و كهيم: لا يقطع"<sup>(3)</sup>.

- التكرار الجزئي من خلال الترادف في قوله: (النذر، المثالات، التجارب)، فجميع هذه الكلمات تشير إلى معنى واحد و هو كلّ ما يُجذّر و يُعتبر به؛ و قوله أيضا (المهملات - الفضلات)، (بيالون-يأهون)،

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص524.

(2) ابن منظور: لسان العرب، م1. ص544.

(3) المرجع السابق: م12، ص529.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

- علاقة الإجمال-التفصيل في قوله: (إنّ لدهاة المغارب يدا خفية المسارب، قرأوكم سطورا لا رجالا، و عرفوكم بطاء على الجلى لا عجالا، و حفظوكم شعرا بلا روي، وفكرا بلا رويّة فأخذوكم ارتجالا، و خالوكم على البعد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا، و حسبوكم عمدا في التركيب الأممي، فألفوكم مفاعيل و أحوالا)، ذلك أنّ قوله (إنّ لدهاة المغارب يدا خفية المسارب) إجمال لما سيأتي بعدها، حيث أنّ هذه اليد -يد العدو- تنتشر في مسالك خفيّة لتشمل معرفة أحوال العرب، و طريقة تفكيرهم، و مكانتهم بين الأمم.

- و قد تضمّنت هذه الفقرة الحذف (ما يشبه الجملة) في قوله (قرأوكم سطورا لا رجالا)

← أي (ولم يقرأوكم) رجالا.

و كذلك قوله (و عرفوكم بطاء على الجلى لا عجالا) ← (و لم يعرفوكم) عجالا.

- المصاحبة المعجمية في قوله (سطورا - رجالا، بطاء - عجالا، البعد- القرب، أعمالا- أقوالا، خالوكم- فوجدوكم، حسبوكم- فألفوكم، عمدا- مفاعيل و أحوالا)، بالإضافة إلى قوله (رضاكم- سخطكم، ينفع- يضر، تحرق- لا تحرق، صاحبها- الناس) إذ نلاحظ أنّ كلّ لفظة ارتبطت بأختها مثنى مثنى بحكم علاقة التباين أو ما يسمى التعاكس أو الاختلاف أو التضاد.

- الإحالة في قوله: (فأصبحوا لا يبالون برضاكم لأنّه لا ينفع، و لا يأبهون لسخطكم لأنّه لا يضر. إنّ الغضبة لا تعقبها وثبة، هي غضبة الذليل العاجز؛ و لو افتّرت كل بارقة\* منكم عن صاعقة، لما حمد شائموها\* القطر؛ إن غضبة العاجز لا تُبكي و لا تُنكي، تشتعل في الحنايا و لا تهدم الحنايا، تحرق صاحبها و لا تُحرق الناس، و تلك هي غضبتكم حين تغضبون)، فالقارئ لهذه الفقرة يلاحظ أنّ حرف "الهاء" ساهم بشكل كبير في الربط بين الجمل و ذلك من خلال الإحالة القبلية إلى ما سبقه، و يمكن توضيح ذلك من خلال ما يأتي:

لأنّه (لا ينفع) ← (الهاء) تحيل إلى الرضى

لأنّه (لا يضر) ← (الهاء) تحيل إلى السخط

تعقبها ← (الهاء) تحيل إلى الغضبة

شائموها ← (الهاء) تحيل إلى البارقة

صاحبها ← (الهاء) تحيل إلى غضبة العاجز.

\* البارقة: سحابة ذات برق. /ابن منظور: لسان العرب، م10. ص18.

\* شائموها: شام السحاب و البرق شَيْما: نظر إليه أين يقصد و أين يمطر، و قيل هو النظر إليهما من بعيد. / المرجع السابق. م12. ص330.

- علاقة السبب - النتيجة في قوله: (قرأوكم سطورا لا رجالا، و عرفوكم بطاء على الجلى لا عجالا، و حفظوكم شعرا بلا روي، وفكرا بلا روية فأخذوكم ارتجالا)، فجملة (فأخذوكم ارتجالا) نتيجة لما سبقها (قرأوكم.....بلا روية)؛ و كذلك قوله: ( و خالوكم على البعد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا، و حسبوكم عمدا في التركيب الأمي، فألفوكم مفاعيل و أحوالا، فأعربوكم إعراب الفضلات، و عاملوكم معاملة المهملات)، إذ أن قوله (إعراب الفضلات، و عاملوكم معاملة المهملات) نتيجة لما تقدم من قوله (و خالوكم ... مفاعيل و أحوالا)؛ و الأمر نفسه بالنسبة لقوله (و راضوكم على المهانة حتى ذل جانبكم، ووطئت مناكبكم، فأصبحوا لا يبالون برضاكم لأنه لا ينفع، و لا يأبهون لسخطكم لأنه لا يضر)، حيث أن قوله (و راضوكم على المهانة حتى ذل جانبكم، ووطئت مناكبكم) سبب لما يأتي بعدها من قوله (فأصبحوا لا يبالون برضاكم لأنه لا ينفع، و لا يأبهون لسخطكم لأنه لا يضر).

- التكرار لكلمة (غضبة) سواء من خلال تكرار العنصر المعجمي نفسه أو من خلال الضمائر(هي، تلك، ها)، و ذلك في قوله: (إنَّ الغضبة لا تعقبها وثبة، هي غضبة الذليل العاجز؛ و لو افترت كل بارقة منكم عن صاعقة، لما حمد شائموها القطر؛ إن غضبة العاجز لا تُبكي و لا تُنكي، تشتعل في الحنايا و لا تهدم الحنايا، تحرق صاحبها و لا تُحرق الناس، و تلك هي غضبتكم حين تغضبون).

- علاقة المفترض - النتيجة في قوله: (و لو افترت كل بارقة منكم عن صاعقة، لما حمد شائموها القطر)، و معنى هذا أن مثل غضبتكم كمثل سحابة شديدة الصواعق إلا أنّها قليلة القطر.

- تكرار اللفظ دون المعنى في قوله:(تشتعل في الحنايا و لا تهدم الحنايا)، ف"الحنايا" الأولى من "الحنيّة: أي القوس"<sup>(1)</sup>، أما "الحنايا" الأخرى فهي بمعنى "الحانوت، فاعول من حنوت، تشبيها بالحنيّة من البناء...و كانت العرب تسمي بيوت الخمارين الحوانيت..."<sup>(2)</sup>.

- التضمّن في قوله: (قرأوكم، عرفوكم، حفظوكم) فهذه الكلمات تتضمّن على معنى "التعلّم".

#### نموذج من المقالة الرابعة

"يا بلاد الأذواء\*، لا أقول: وقيت الأسواء، و لا سقيت الأنواء، و لكن أقول: ثكلت الأبناء، يا مطارح الأبناء، فكل أدوائك من أبنائك، و إذا كان الولد سخنة عين و مجلبة عرّ و شين، فالشكل فيه نعمة لا رزية، و العقم به فضل و مزية.

(1) ابن منظور: لسان العرب، م14. ص203.

(2) المرجع السابق، م14. ص205.

\* الأذواء: هم الذين يلون الأقيال في الحكم، و الأذواء جمع ذو، منهم: ذو فيغان، ذو يهر، ذو يزن...أما القيل (مفرد الأقيال): فهو الذي يخلف الملك في مجلسه، ويحكم فلا يردّ حكمه. و بلاد الأذواء هي اليمن.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

سموك السعيدة فشقيت بمن ولدت، و ما سعدوا و لا سعدت؛ فأين أنت اليوم ممن كنت سعيدة بهم و كانوا سعداء بك؟ أين أنت من سعد العشيرة و حماة الأهل و الجيرة؟ أين أنت من حمير و أشياعهم و تبّع و أتباعهم؟ أين؟ لا أين...

أما ظفار، فقد حالف عهدا الإخفار، و خالف ظلامها الإسفار، و أما حضرموت، فقد ساورها الموت، و جاورها الحسران و الفوت، و حاورها النجّيّ فما سمع لها صوت، و أما صنعا، فما أحسن بنوها صنعا، قد أصبحت حرقاء، و عطلت من طوق الوراق، و عقت أن تتمخّض عن ألمعية (زرقاء)، ما حاكت في عبقرى الأزمنة و لا وشت، و طار الناس فما حبت و لا مشت.

انعكست الخصائص و غلبت النقائص، و أعوز الجوّ الطائر حين أعوز البحر الغائص"<sup>(1)</sup>.

يمكن لمحلل الخطاب أن يقف في هذه الفقرة على مظاهر عديدة للسبك و الحبك منها:

- الإحالة في قوله: (وقيت، سقيت، كنت، ثكلت، أدوائك، أبنائك، سموك، فشقيت، ولدت، سعدت، أنت، كنت، بك)، (فناء التأنيث) بالإضافة إلى الضمير المتصل (الكاف)، و ضمير المخاطب (أنت) تحيل كلّ هذه الأدوات إحالة قبلية إلى "بلاد الأذواء".

- التكرار سواء من خلال تكرار العنصر المعجمي نفسه و المتمثل في الاستفهام في قوله: (أين أنت؟)، أو من خلال الترادف في قوله: (فكل أدوائك من أبنائك، و إذا كان الولد سخنة عين و مجلبة عرّ و شين، فالثكل فيه نعمة لا رزية، و العقم به فضل و مزية)، و يتّضح ذلك بما يأتي:

الولد = الابن

الثكل = العقم ( فقد الأبناء )

الفضل = المزية

بالإضافة إلى تكرار اللفظ دون المعنى في قوله (و لكن أقول: ثكلت الأبناء، يا مطارح الأبناء)، حيث أن الأبناء الثانية تحيل إلى طائفة من الفرس الذين استوطنوا اليمن، أما الأولى فهي بمعنى الولد.

- علاقة السبب-النتيجة في قوله: (فكل أدوائك من أبنائك).  
النتيجة السبب

- علاقة الشرط-الجواب في قوله (و إذا كان الولد سخنة\* عين و مجلبة عرّ و شين، فالثكل فيه نعمة لا رزية، و العقم به فضل و مزية).  
جملة الشرط جواب الشرط

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص528.

\* سخنة العين: نقيض قرّتها. / ابن منظور: لسان العرب، م 13. ص206.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

- كما نجد في هذه الجملة إحالة في قوله: (فالتكل فيه... و العقم به)، حيث تحيل (الهاء) إحالة قبلية إلى الولد، و هذا ما زاد في قوة السبك بالإضافة إلى علاقة الشرط- الجواب التي أشرنا إليها سابقا.

- التكرار الجزئي في قوله: (السعيدة، سعدوا، سعدت، سعيدة، سعداء، سعد العشيرة)، فهذه الكلمات تنتمي إلى جذر لغوي واحد و هو مادة (سعد).

- الإحالة في قوله: (سموك السعيدة فشقيت بمن ولدت، و ما سعدوا و لا سعدت؛ فأين أنت اليوم ممن كنت سعيدة بهم و كانوا سعداء بك؟)، فقد احتوت هذه العبارة على إحالة قبلية إلى (الأبناء) من خلال (واو الجماعة)، و ضمير الغائب (هم) تارة، و الاسم الموصول (من) تارة أخرى؛ أما قوله: (سموك) فهي إحالة خارجية بواسطة الضمير المستتر (هم) الذي يجبل إلى (العرب) الذين أطلقوا اسم (السعيدة) على بلاد الأذواء (اليمن).

- الحذف في قوله: (أين أنت من حمير و أشياعهم و تبع و أتباعهم؟)، فتقدير هذه الجملة هو: (أين أنت من حمير و أشياعهم، و [أين أنت من] تبع و أتباعهم؟ و هو (حذف ما يشبه الجملة) لجأ إليه الكاتب نظرا لتكرار هذه العبارة أكثر من مرّة على مستوى الفقرة ككل.

- كما نجد في هذه العبارة الإحالة بالإضافة إلى التكرار بواسطة الترادف، أمّا الأولى فتظهر من خلال الضمير (هم) في كلّ من:

أشياعهم ← إحالة قبلية إلى حمير

أتباعهم ← إحالة قبلية إلى تبع

و أمّا التكرار فيتمثل في ذكر هاتين الكلمتين أي (الأشياع، الأتباع)، إذ يدلّان على معنى واحد و هو معنى التبعية.

- التوازي في قوله: (أما ظفار، فقد حالف عهدها الإخفار، و خالف ظلامها الإسفار) و يمكن توضيح ذلك من خلال ما يأتي:

{ اتفاق في النعمة (ا،ف،ر)	خالف →	فعل ماضي	← خالف
	ظلامها →	م. به + ضمير متصل	← عهدها
	الإسفار →	فاعل	← الإخفار

- و "الهاء" في كلّ من (عهدها، ظلامها) تحيل إحالة قبلية إلى (ظفار).

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

- التضمّن في قوله: (و أمّا حضرموت، فقد ساورها الموت، و جاورها الخسران و الفوت\*، وحاورها النجّي فما سمع لها صوت)، إذ أنّ عدم سماع صوت المنادى يتضمّن وفاته، اعتمادا على ما سبق ذكره في الجملة السابقة (ساورها الموت).

- كما أن (الماء) في كلّ من (ساورها، جاورها، حاورها، لها)، تحيل إحالة قبلية إلى (حضرموت).

- الإحالة في قوله: (و أما صنعا، فما أحسن بنوها صنعا، قد أصبحت خرقاء، و عطلت من طوق الوراق، و عقلت أن تتمخّض عن ألمعية (زرقاء)، ما حاكت في عبقرى الأزمنة و لا وشت، وطار الناس فما حبت و لا مشت)، و تختلف من جملة إلى أخرى كما يأتي:

بنوها ← تحيل (الماء) إحالة قبلية إلى صنعا

أصبحت ← تاء التأنيث تحيل إحالة قبلية إلى صنعا

عطلت ← تاء التأنيث تحيل إحالة بعدية إلى الوراق (الحمامة)<sup>(1)</sup>

عقلت ← تحيل تاء التأنيث إحالة بعدية إلى زرقاء.

حاكت، وشت، حبت، مشت ← تحيل تاء التأنيث إحالة قبلية إلى صنعا.

- المصاحبة المعجمية في قوله: (ما حاكت في عبقرى الأزمنة و لا وشت، وطار الناس فما حبت و لا مشت)، و تتضح هذه المصاحبة من خلال الدخول في سلسلة مرتبة في قوله (حاكت... وشت)، و قوله (حبت... مشت)، إذ بعد النسج يأتي التحسين، و بعد الحبو يكون المشي.

- و قد يتساءل القارئ عن سبب ورود الكلمات الآتية "خرقاء، الوراق، زرقاء" في قوله (و أما صنعا، فما أحسن بنوها صنعا، قد أصبحت خرقاء، و عطلت من طوق الوراق، و عقلت أن تتمخّض عن ألمعية زرقاء)؛ بمعنى، هل كان اختيار الإبراهيمي لهذه الكلمات اختيارا اعتباطيا مراعاة للسجع فقط، أم هو اختيار مقصود؟

ورد في معجم لسان العرب "أصنع الرجل: إذا أعان أخرج"<sup>(2)</sup>، و من ثم فإن اختيار الكاتب لكلمة "خرقاء" نتيجة لإطلاعه على مادة (صنع) التي تنتمي إليها كلّ من كلمتي (صنعا و صنعا)، أي أنّ ارتباط كلمة "خرقاء" معجميا بما قبلها كان سببا في الإتيان بها في هذا الموضع.

و الحال كذلك بالنسبة لكلمتي (الوراق) و (زرقاء)، إذ لم يكن اختيار الكاتب لهما مجرد مراعاة للسجع فقط و إنّما هو تعبير مقصود، و بيان ذلك ما يأتي:

\* الفوت: فاتي الأمر فوتا و فواتا: ذهب عني/ ابن منظور: لسان العرب، م2. ص69.

(1) ابن منظور: لسان العرب، م10. ص386.

(2) المرجع السابق، م8. ص210.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

- جاء في معجم لسان العرب: "العطل: فُقدان الحلي..."(3)، و "قيل للرماد أورك، و للحمامة و الذئبة ورقاء"(4)، و بذلك يصبح معنى الجملة الآتية (و عطلت من طوقِ الوراق) أي فقدت الحمامة طوقها؛ أما بالنسبة لكلمة (زرعاء)، فالمقصود هنا هو (زرعاء اليمامة)، و الدليل على ذلك ورود كلمة (ألمعية) قبلها، و "الألمعي: الداهي الذي يتظنن الأمور فلا يخطئ..."(1)، و قد عُرفت زرعاء اليمامة بشدة ذكائها و "أنها كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام"(2)؛ لكن ما علاقة كلمة "الوراق" بكلمة "زرعاء"؟

الإجابة عن هذا التساؤل نجدها في "معجم لسان العرب" في مادة "يمم" - وهي التي ينتمي إليها شرح كلمة (زرعاء اليمامة) - حيث ورد "اليمام البري من الحمام، الذي لا طوق له"(3)، و بالتالي ارتبط معنى الجملة الأولى معجميا بما قبلها.

نستنتج إذن أنّ اختيار الإبراهيمي لهذه الكلمات كان مراعاة للسجع تارة و ربطها ببعضها من خلال المصاحبة المعجمية تارة أخرى.

- التوازي في قوله: (انعكست الخصائص و غلبت النقائص، و أعوز الجوّ الطائر حين أعوز البحر الغائص)، و يمكن تفصيل ذلك بما يأتي:

انعكست	←	فعل + تاء التأنيث	→	غلبت	} وحدة النغمة (حرف الصاد)
الخصائص	←	فاعل	→	النقائص	

أعوز	←	فعل	→	أعوز	} وحدة النغمة (حرف الصاد)
الجوّ	←	م. به	→	البحر	
الطائر	←	فاعل	→	الغائص	

و قد تضمنت هذه العبارة أيضا المظاهر الآتية:

- الإحالة في قوله: (انعكست الخصائص)، إذ تحيل (التاء) إحالة بعدية إلى (الخصائص)، كما أحالت (التاء) في (غلبت) إحالة بعدية إلى (النقائص).

(3) المرجع السابق، م11. ص454.

(4) المرجع السابق، م10. ص386.

(1) المرجع السابق، م8. ص327.

(2) المرجع السابق، م12. ص648.

(3) المرجع السابق، م12. ص648.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

- تعالق العوالم الممكنة: حيث نجد هناك مناسبة بين ورود كلمة (الطائر) مع كلمة (الجوّ)، و الأمر نفسه بالنسبة لكلمة (الغائص) مع كلمة (البحر).
- الترتيب الزمني من خلال ورود كلمة (حين) و التي أفادت وقوع الحدثين في نفس الوقت؛ و عليه فإنّ استجابة هذه العبارة لشرط التطابق الإحالي، و تعالق العوالم الممكنة، بالإضافة إلى الترتيب الزمني ساهم في انسجامها بشكل كبير.

### نموذج من المقالة الخامسة

"يا أسلاف، ورثتم الحكمة و سيرتم الأمثال و الفقر، و عمّرت من التاريخ صحائف بالمحامد، و شغلتم القرون بالحديث عنكم، و شدتم الباقيات للحضارة، و زيّتم الحياة بالقوة و البأس الشديد، و سبقتم العالم إلى موارد العزة في الدنيا، و وقفتم في نصف هذه الكرة تحكمون و تتحكمون، و تصلون شرقها بغربها و تقسمون، فبدتم و ما بادت آثاركم و لا أخباركم.

و يا أخلاف، ماذا صنعتم؟ و بماذا اقتنعتم؟ هذه آثار سلفكم، عرف الغريب مواقعها، و جهلتم مواضعها، فهل النسب مدخول؟ أو الانتساب غير منحول؟ ويلكم! إن الألوان، على الدلالة أعوان، سوّد بنو العباس لسؤددهم، و بيّض العلويون لطهارتهم، و خضّر العبيديون لدعواهم و دعائيتهم، و زرّقتهم... لماذا؟..."<sup>(1)</sup>.

تبدو مظاهر السبك و الحبك في هذا النموذج من المقالة الخامسة من خلال ما يأتي:

- الإحالة بواسطة (ميم الجماعة) و ضمير المخاطب المستتر (أنتم) في قوله: (ورثتم، فبدتم، عمّرت، شغلتم، شدتم، زيّتم، سبقتم، وقفتم، سيرتم، صنعتم، اقتنعتم، جهلتم، زرّقتم)، و هي إحالة قبلية إلى "الأسلاف"، كما تمّت هذه الإحالة من خلال (كاف المخاطب)، و (ميم الجماعة) في قوله: (عنكم، أخباركم، آثاركم، سلفكم، ويلكم)، بالإضافة إلى (واو الجماعة) في قوله: (تقسمون، تتحكمون، تصلون، تحكمون)؛ وجميع هذه الأدوات تحيل إحالة قبلية أيضا إلى "الأسلاف".

- التكرار سواء من خلال الترادف أي تكرار المعنى دون اللفظ في قوله: (و زيّتم الحياة بالقوة و البأس الشديد) و قوله (هذه آثار سلفكم، عرف الغريب مواقعها، و جهلتم مواضعها)، (فالقوة) و (البأس الشديد) كلاهما تدلان على معنى واحد و إن اختلفت درجة إحداها عن الأخرى؛ كما أنّ (الموقع) و (الموضع) كلاهما تدلان على (المكان)؛ أو من خلال التكرار الجزئي في قوله: (و وقفتم في نصف هذه الكرة تحكمون و تتحكمون)، و قوله: ( فهل النسب مدخول؟ أو الانتساب غير منحول)، حيث أنّ كلمتي

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص531.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

(تحكمون، تتحكمون) تنتمي إلى جذر لغوي واحد و هو (حكم)، و الحال كذلك بالنسبة لكلمتي (النسب و الانتساب) إذ تنتمي إلى مادة (نسب).

- الإحالة في قوله: (و وقفتم في نصف هذه الكرة تحكمون و تتحكمون، و تصلون شرقها بغربها و تقسمون، فبدتم و ما بادت آثاركم و لا أخباركم) و يمكن توضيح ذلك كالآتي:

هذه ← إحالة بعدية إلى الكرة الأرضية

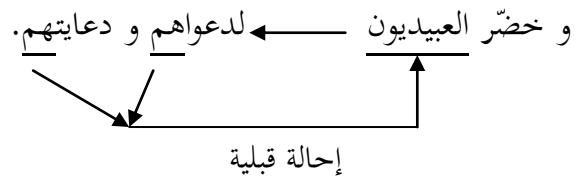
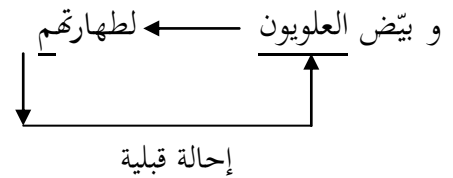
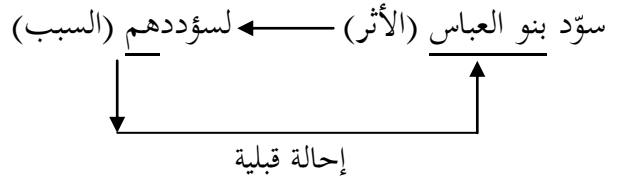
شرقها بغربها ← "الهاء" تحيل إحالة قبلية إلى الكرة الأرضية

بادت ← تاء التأنيث تحيل إحالة بعدية إلى الآثار

- كما نجد في هذه الجملة الحذف الفعلي في قوله: (فبدتم و ما بادت آثاركم و لا [..] أخباركم) أي (و لا بادت أخباركم؟) و الحذف الاسمي في قوله: (فهل النسب مدخول؟ أو [..] الانتساب غير منخول؟) أي (أو هل الانتساب غير منخول؟)، و لعلّ الحذف ضروري في هذين الموضعين، تجنباً للتكرار المفرط في الجملة الأولى، و دفعاً للثقل في الجملة الثانية.

- علاقة السبب - النتيجة: حيث نلاحظ أنّ قوله: (فبدتم و ما بادت آثاركم و لا أخباركم) نتيجة لكلّ ما تقدمها من قوله: (يا أسلاف،... و تقسمون).

- علاقة الأثر - السبب بالإضافة إلى الإحالة القبلية في قوله: (سود بنو العباس لسؤددهم، و بيض العلويون لطهارتهم، و خضر العبيديون لدعواهم و دعائهم)، و يمكن تفصيل ذلك من خلال الشكل الآتي:



## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

- المصاحبة المعجمية في قوله: (فبدم و ما بادت آثاركم و لا أخباركم.) و قوله: (عرف الغريب مواقعها، و جهلتم مواضعها)، إذ نلاحظ تضادا بين الكلمات الآتية:

بدم # ما بادت

عرف # جهلتم.

- علاقة الإجمال - التفصيل: ذلك أنّ قوله: (إنّ الألوان، على الدلالة أعوان) إجمال لما سيأتي من قوله: (سوّد بنو العباس...لماذا؟)، إذ فصلّ لنا كيف دلّت الألوان على هيئة أصحابها، و ذلك كالآتي:

بنو العباس ← لباس أسود + راية سوداء

العلويون ← لباس أبيض + راية بيضاء

العبيديون ← لباس أخضر + راية خضراء

- علاقة التضمّن في قوله: (فهل النسب مدخول؟ أو الانتساب غير منخول؟)، ذلك أنّ معنى كلمة (مدخول): "العيب الداخِل في الحسب..."(1)، أمّا كلمة (منخول) فهي من "النَّخْلُ أي التصفية"(2)، و من ثمّ كان معنى الجملة الثانية (غير منخول) متضمنا معنى الجملة الأولى.

### نموذج من المقالة السادسة:

"تالله ما ضاعت فلسطين اليوم، و لكنّها ضاعت يوم وُعدوا بها، فركنوا إلى العمل، و ركنتم إلى الكلام، بل ضاعت قبل ذلك بقرون، منذ نبت قرن صهيون، فتماريتم بالندر، و لم تأخذوا الحذر. لا تقولوا إن شرّ دين ما جرّ التشريد للمتشردين، فإنّ شرّا منه عقلكم الذي جرّ العار للعرب أجمعين، و كرّ بالخزي على جميع المسلمين"(3).

إنّ المتأمل لهذه الفقرة سيكتشف أنّ الإحالة أدّت دورا كبيرا في سبك و حبك النص، و يمكن توضيح ذلك من خلال ما يأتي:

ما ضاعت ← (التاء) تحيل إحالة بعدية إلى فلسطين

لكنها ← (الهاء) تحيل إحالة قبلية إلى فلسطين

ضاعت ← (التاء) تحيل إحالة قبلية إلى فلسطين

(1) ابن منظور: لسان العرب، م11. ص641.

(2) المرجع السابق، م11. ص652.

(3) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص533.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

وُعدوا	←	(الواو) + الضمير المستتر (هم) إحالة قبلية إلى اليهود
	←	إحالة خارجية إلى (وعد بلفور)
بها	←	(الهاء) تحيل إحالة قبلية إلى فلسطين
فركنوا	←	(الواو) + الضمير المستتر (هم) تحيل إحالة قبلية إلى الغرب
ركنتم	←	(ميم) الجماعة + ضمير مستتر (أنتم) إحالة قبلية إلى العرب
فتماريتم	←	(ميم الجماعة) + ضمير مستتر (أنتم) إحالة قبلية إلى العرب
تأخذوا	←	(الواو) + الضمير المستتر (أنتم) إحالة قبلية إلى العرب
تقولوا	←	(الواو) + الضمير المستتر (أنتم) إحالة قبلية إلى العرب
منه	←	(الهاء) تحيل إحالة قبلية إلى الدين
عقلكم	←	(كاف) المخاطب + (ميم) الجماعة إحالة قبلية إلى العرب
الذي	←	إحالة قبلية إلى عقل العرب.

بالإضافة إلى ذلك ظهرت بعض الأدوات الأخرى منها:

- التكرار في قوله: (تالله ما ضاعت فلسطين اليوم، و لكنها ضاعت يوم وُعدوا بها، فركنوا إلى العمل، و ركنتم إلى الكلام، بل ضاعت قبل ذلك بقرون، منذ نبت قرن صهيون، فتماريتم بالندر، و لم تأخذوا الحذر)، حيث نلاحظ تكرار للعنصر المعجمي نفسه (ضاعت).

كما تجلّت في هذه الفقرة أدوات عديدة ساهمت في حبكها و سبكها منها:

- الترتيب الزمني: و ذلك باستخدام الصيغ الآتية: اليوم (الحاضر)، يوم + الفعل الماضي المبني للمجهول (الماضي)، قبل ذلك بقرون (الماضي البعيد).

- الاستبدال في قوله: (بل ضاعت قبل ذلك بقرون)، و هو استبدال قولي، إذ استعمل الكاتب اسم الإشارة (ذلك)، بدل تكرار عبارة (يوم وُعدوا بها).

- علاقة السبب - النتيجة: و يمكن توضّحها كما يأتي:

ضاعت (أي فلسطين): (النتيجة) ← يوم وُعدوا بها(وعد بلفور) + فركنوا إلى العمل، و ركنتم إلى الكلام: (السبب).

ضاعت (أي فلسطين): (النتيجة) ← منذ نبت قرن صهيون + فتماريتم بالندر، و لم تأخذوا الحذر: (السبب).

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في ' سجع الكهان'

- التكرار سواء من خلال إعادة العنصر المعجمي نفسه في قوله: (شَرَّ - شَرًّا)، (جَرَّ - جَرًّا)؛ أو الانتماء إلى جذر لغوي واحد مثل مادة (شرد) في قوله: (التشريد، للمتشردين)؛ و مادة (جمع) في قوله: (أجمعين - جميع)؛ أو من خلال الترادف في قوله: (العار - الخزي).
- الاندراج في صنف عام في قوله: (العرب - المسلمين) تجمعهما كلمة (الناس) مثلاً.
- الحذف الاسمي في قوله: (فإن شَرًّا منه عقلكم الذي جرّ العار للعرب أجمعين، و [...]) كَرَّ بالخزي على جميع المسلمين)، حيث حذف ما يدل على الإحالة إلى (عقلكم) و هو اسم الإشارة (الذي)، مكثفياً بالوصل بحرف "الواو".

### نموذج من المقالة السابعة

"أي جيران الشمال\*، و معاهد الآمال، أعيدكم بالعروبة و هي الأمّ، و بالوطن و هو الهم، و الأمّ، و بعمر، حادي الزمر، عمر الشهيد، و ما عهده بالعهد، و بما أرتقم من دموع و دماء، لم يبق منها إلاّ الدّماء\*، و بالإسلام- و هو الدّمّام\* - أن تختلفوا في الحق، فترضوا بالشّقّ، أو توسّعوا الشّقّ، فتقعوا جميعاً في الرقّ؛ و أعيدكم أن تغتروا بالوعود الخالبة من الدول الغالبة، فإنما ذلك إبساس\* من الأيدي الخالبة، و أعيدكم أن تنكروا التقسيم و أنتم منقسمون، و أعيدكم أن يكون غرب النيل كشرق الأردن... و أعيدكم أن ترضوا بالخفض، و لا تقبلوا (الضم)، إن الضم علامة (البناء)، و آية (استقرار) البناء، فاجهدوا في إثبات الضم و خلاككم ذم"(1).

تتمثل مظاهر السبك و الحبك من خلال هذه الفقرة فيما يأتي:

- الإحالة في قوله:

و هي الأم ← الضمير (هي) يحيل إحالة قبلية إلى العروبة

و هو الهم ← الضمير (هو) يحيل إحالة قبلية إلى الوطن

عهده ← حرف (الهاء) يحيل إحالة قبلية إلى عمر

أرتقم ← (ميم) الجماعة تحيل إحالة قبلية إلى جيران الشمال

منها ← حرف (الهاء) يحيل إحالة قبلية إلى الدماء

\* الشمال الإفريقي.

\* الدّمّاء: بقية الروح في المذبوح، و قيل: الدّمّاء: قوة القلب/ ابن منظور: لسان العرب، م14. ص289.

\* الدّمّام: و المذمة: الحق و الحرمة و الجمع أذمة/ ابن منظور: لسان العرب، م12. ص221.

\* الإبساس عند الحلب: أن يقال للناقة بسن بسن/ ابن منظور: لسان العرب، م6. ص28.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص534.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

- و هو الذّمّام ← الضمير (هو) يحيل إحالة قبلية إلى الإسلام  
تختلفوا، فترضوا، توسّعوا، فتقعوا، تغتروا، تنكروا، فأجهدوا، تقبلوا، ← (واو) الجماعة + الضمير  
المستتر (أنتم) يحيلان إحالة قبلية إلى (جيران الشمال).  
أعيدكم، خلاكم ذم ← (كاف) المخاطب + (ميم) الجماعة، يحيلان إحالة قبلية إلى (جيران  
الشمال).  
أنتم ← يحيل إحالة قبلية جيران الشمال.  
- الحذف الفعلي في قوله (و بالوطن و هو الهم، و الأمّ)، و قوله (و بعمر، حادي الزمر)، (و بما أرقتم من  
دموع و دماء)، و قوله (و بالإسلام- و هو الذّمّام-)، إذ حذف الكاتب عبارة (و أعيدكم) في بداية  
الجملة تجنباً للتكرار المفرط، و اكتفائه بالوصل بواسطة حرف (الواو)، مما جعل هذه الجملة مرتبطة بالجملة  
الأولى و المتمثلة في قوله (أعيدكم بالعروبة و هي الأمّ).  
- التكرار بصوره المختلفة منها:  
- إعادة العنصر المعجمي نفسه كما في قوله: (أعيدكم بالعروبة و هي الأمّ، و بالوطن و هو الهم، و  
الأمّ)، و "أمّ الشيء: أصله"<sup>(1)</sup>، كما جاء في معجم لسان العرب، أي أنّ العروبة هي الأصل، و هو ما  
أشار إليه الإبراهيمي في مقالة له بعنوان "عروبة الشمال الإفريقي"، يقول: "عروبة الشمال الإفريقي بجميع  
أجزاه طبيعية، كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء،..."<sup>(2)</sup>.  
أمّا كلمة "الأمّ" الثانية فهي بمعنى "المجمّع و المضمّم"<sup>(3)</sup>؛ بالإضافة إلى تكرار عبارة (أعيدكم).  
- الانتماء إلى الجذر اللغوي نفسه كما في قوله (و بالإسلام- و هو الذّمّام- أن تختلفوا في الحق، فترضوا  
بالشّق، أو توسّعوا الشّق)، فشِقُّ الحق نصفه، و الشّقُّ هو الصدع<sup>(4)</sup>؛ و كذلك الحال بالنسبة لكلمتي  
(التقسيم - منقسمون) إذ تنتمي إلى نفس الجذر اللغوي (قسم).  
- المصاحبة المعجمية من خلال علاقة التعاكس بين (الغرب و الشرق) في قوله: (و أعيدكم أن يكون  
غرب النيل كشرق الأردن).  
- تعالق الوقائع في قول الكاتب: (و أعيدكم أن ترضوا بالخفض\*، و لا تقبلوا (الضم)، إن الضم علامة  
(البناء)، و آية (استقرار) البناء، فأجهدوا في إثبات الضم و خلاكم ذم)، و كأني به يريد القول: إني أخاف

(1) ابن منظور: لسان العرب، م12. ص24.

(2) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص428.

(3) ابن منظور: لسان العرب، م12. ص33.

(4) المصدر السابق، م10. ص181-182.

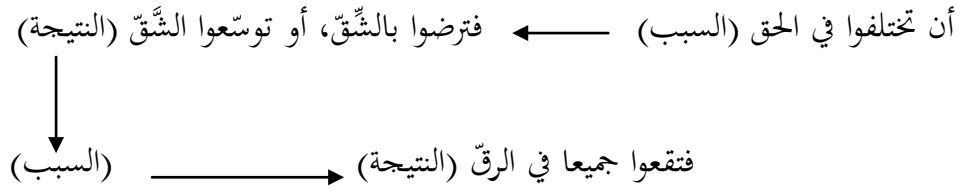
\* الخفض ضد الرفع. المصدر السابق، م7. ص145.

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

عليكم يا جيران الشمال أن ترضوا بالانحطاط و كسر جسر العروبة الذي يجمعكم، و لا تقبلوا بالاتحاد – الضم–، فكما أنّ هذا الأخير علامة بناء لدى النحاة، فهو أيضا دليل على استقرار و ثبات بناء و وحدة هذه الأمة، فتأبروا و جاهدوا من أجل إثبات هذه الوحدة.

– الاستبدال في قوله: (و أعيدكم أن تغتروا بالوعود الخالبة من الدول الغالبة، فإنما ذلك إيساس من الأيدي الخالبة)، إذ أنّ اسم الإشارة (ذلك) استبدال قولي لعبارة (أن تغتروا بالوعود الخالبة من الدول الغالبة).

– علاقة السبب- النتيجة في قوله: (...أن تختلفوا في الحق، فترضوا بالشَّقِّ، أو توسَّعوا الشَّقِّ، فتقعوا جميعا في الرقِّ) و يمكن توضيح ذلك كالآتي:



## الخاتمة

يمكننا في ختام هذا الفصل أن نستخلص بعض النتائج أهمّها:

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

- كان اهتمام النقاد بالدراسة النصية كونها لا تعتمد على الروابط الشكلية فحسب، و إنما تتعدها إلى البحث في الدلالة الناتجة عن ذلك الربط.
- من بين المصطلحات المعبرة عن التماسك النصي من حيث الروابط الشكلية و الدلالية في التحليل النصي مصطلحا الاتساق أو السبك (*cohésion*) و الانسجام أو الحبك (*cohérence*)، و لكلٍ منهما أدوات و أنواع إذ يعتبران أساسا مهما من أسس الدراسة النصية.
- اختلاف الترجمات لكلا المصطلحين، و اعتماد هذه الدراسة مصطلح "السبك" مقابلا لمصطلح (*cohésion*)، و "الحبك" مقابلا لمصطلح (*cohérence*)؛ و ذلك لأتّهما أكثر شيوعا في التراث النقدي و البلاغي عند العرب.
- يتصل (السبك) عند بعض الدارسين بخطية النص و تسلسل التراكيب، و الوسائل الشكلية التي يستخدمها المرسل حتى يضمن تسلسلها.
- كما يقوم (الحبك) -بالنسبة لمعظم الدارسين في مجال علم النص- على تلك العلاقات المنطقية والدلالية الكامنة في الخطاب، والتي تنظمه وتربط مكوناته بعضها ببعض فتجعل الخطاب المشتت ظاهريا منسجما مقبولا.
- تتمثل مظاهر السبك المشار إليها في هذا البحث في: التكرار بأنواعه، الإحالة بنوعيتها، الحذف بأنواعه، الاستبدال بأنواعه، التوازي، المصاحبة المعجمية أو التضام.
- تتمثل مظاهر الحبك في: التضمن، التطابق الإحالي، موضوع التخاطب، الترتيب الزمني، تعالق العوامل الممكنة، علاقة السبب و النتيجة، النشاط المتماثل، علاقات التعميم-التخصيص أو الإجمال-التفصيل، تعالق الوقائع (أو الأحداث).
- أشار جميل عبد المجيد إلى أنّ الكثير من ظواهر السبك و الحبك عند علماء لغة النص لها ما يقابلها في البلاغة العربية و خاصة في فن البديع.
- ترجع الريادة في دراسة ظاهرة التوازي و كشف ارتباطها الوثيق بالشعر إلى ياكوبسون (*Jakobson*) أثناء دراسته للتراث الشفوي للشعر الروسي.
- أفاد 'فان دايك' (*Van Dijk*) من دراسة ياكوبسون عن التوازي، حيث حاول أن يضع قواعد النص الأدبي من أجل وصف البنيات الأدبية.
- يوضح الدارسون الفرق بين الحذف و الاستبدال "كون الأول (استبدالاً بالصفرة)، أي أنّ علاقة الاستبدال تترك أثرا، و أثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تحلّف أثرا، و لهذا

## الفصل الثاني: السبك و الحبك في 'سجع الكهان'

فإن المستبدل يبقى مؤشرا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال.

- كما اتفق النقاد قديما و حديثا على أنّ شرط الحذف أن يكون هناك دليل على المحذوف أو ما يسمى (القرينة)، و أهمية وجود الدليل تكمن في كونه يحقق المرجعية بين المذكور و المحذوف في أكثر من جملة.
- يعتبر الحذف من أهم وسائل التماسك النصي التي تبرز أهمية المتلقي، إذ هو الذي يدرك -عبر آفاهه الكثيرة- مواضع الحذف و كيفية قيام هذا الحذف بوظائفه البلاغية و النصية.
- العلاقة بين عنصري الإحالة (المحيل و المحال إليه) علاقة تطابق، بينما العلاقة بين عنصري الاستبدال (المستبدل و المستبدل به) علاقة تقابل تقتضي إعادة التحديد و الاستبعاد.
- خرج عالم اللسان الهولندي فان ديك (*Van Dijk*) بالنحو من الانكفاء على دراسة البنية الصغرى ممثلة بالجملة، إلى العناية ببنية أكبر، مكونة من جملة متصلة طويلة تؤلف وحدة معنوية هي النص.
- إنّ المتأمل في الأبحاث الموجهة إلى دراسة الانسجام النصي يلاحظ بشكل لافت للنظر مدى استفادة تلك الأبحاث من تخصصات علمية متنوعة مثل علم الاجتماع و علم النفس اللغويين والمنطق وغيرها، وكل ذلك في سبيل استكشاف الآليات الذهنية التي تتحكم في توليد الخطاب وبنائه وفهمه، كما يكتشف أيضا أنّ التحليل الدلالي يعتمد في المقام الأول على كفاءة المفسر و ثقافته و خلفيته و قدرته على التفكير و اكتشاف علاقات الترابط و الوحدة، و تمكنه من الانتقال من المضامين الظاهرة التي تنبئ أشكال الدلالة عنها إلى المضامين الخفية التي تكمن في المغزى.

# الفصل الثالث

تمهيد

## أولاً: التناص

- 1 / نشأة التناص:
- 2 / مفهوم التناص عند الغرب
- 3 / مفهوم التناص عند العرب
- 4 / أنواع التناص

## ثانياً: المقامية

- 1 / مفهوم المقام/السياق:
- 2 / أنواع السياق:
  - 1.2 / السياق اللغوي: (Verbal Context)
  - 2.2 / السياق غير اللغوي:
    - 1.2.2 / السياق العاطفي أو الانفعالي: (Emotional Context)
    - 2.2.2 / سياق الموقف (Situational Context)
    - 3.2.2 / السياق الثقافي (cultural Context)

## ثالثاً: التحليل

خاتمة الفصل الثالث

### تمهيد:

لقد كان من شروط تعلّم الشعر عند العرب، أن يُطلب من الشاعر في مرحلة التّلقّي أن يحفظ كثيراً من أشعار غيره ثم ينساها في مرحلة العطاء الشعري، لتدخل محفوظاته هذه في نسيج عطائه، ولكن في شكل جديد؛ و عليه فإنّه لا يمكن لأيّ كان إنكار تأثر أديب بآخر بغضّ النظر عن أصالة كلّ أديب و انتمائه؛ في الوقت نفسه لا يمكن قبول تأثر أديب بآخر بل و تقليده و نقل كل ما هو غريب عن مجتمعه و فكره و عقيدته و محاولة تثبيته.

ولما كانت الظواهر اللغوية خاضعة لضغوط مقامية واعتبارات غير لغوية، وكانت مراعاة هذه الاعتبارات ضرورية - لأنّ الاكتفاء بالمعنى الحرفي أو معنى المقال أو معنى ظاهر النص يعتبر دائماً سبباً في قصور الفهم - كان البحث عن دلالة النص من داخله تتجاوز تلك الدراسات البسيطة التي تعتمد على المضمون و تنسى السياق النصّي و الثقافي و الاجتماعي؛ يقودنا هذا الحديث للتطرق إلى عنصرين هامين في التحليل النصّي و هما "التناس و المقامية"، محاولين إبراز مفهوم كلّ منهما، و دورهما في الأخذ بذهن القارئ إلى الفهم الصحيح للنص.

## 1/ نشأة التناص:

إنّ عملية إنتاج النصوص عملية مستمرة باستمرار وجود قارئ يفسّر و يؤول و يعيد الصياغة في شكل آخر، "فالنص مكوّن من كتابات متعددة تنحدر من ثقافات مختلفة...تدخل في حوار مع بعضها البعض تتحاكى و تتعارض، بيد أنّ هناك نقطة يجتمع عندها هذا التعدد...و هي ليست سوى القارئ، القارئ هو الفضاء الذي ترسم فيه كلّ الاقتباسات التي تتألف منها الكتابة"<sup>(1)</sup>.

لكن يشترط في هذا القارئ أن يكون ذا زاد معرفي يؤهله لمعرفة مواطن التناص، بحيث "يصعب على القارئ غير المكوّن أن يستطيع تبيّن وجود التناص أحياناً؛ إذا غاب عنه تحديد المتناص كبنية نصية مدججة في إطار بنية نصية أخرى هي أصل"<sup>(2)</sup>.

وبمجرد أن يطلق الكاتب (نصّه) الجديد، الذي هو عبارة عن مجموعة من نصوص سابقة ومعاصرة، فإنه يُدخل (نصّه) في عمليات (تناص) جديدة؛ و المبدع قد يتناص مع نفسه من خلال نصوصه هو، كما يستطيع أن يتناص مع نص واحد فقط لمبدع آخر، أو نصوص أخرى لأدباء آخرين، و قد تكون عملية التناص بين جنسين أدبيين لا على مستوى جنس أدبي واحد؛ لذلك يعدّ التناص في تجلياته "شكلا من أشكال التحول و خلق علاقات جديدة بين النصوص المتفرقة في الزمان و المكان و المتناثرة عبر ثقافات مختلفة"<sup>(3)</sup>، بل إنّه "يسمح بفتح حوار بين العمل الأدبي و النصوص الثقافية الأخرى المختلفة، من حيث التكوين و الأثر و إلغاء الحواجز بين أصناف التعبير (تشكيلية، حركية، صوتية...) و ربطها بعلائق جديدة و جعلها وحدة دالة أو إعطاء دلالات جديدة مغايرة للدلالات القديمة التي كانت تتميز بها ضمن سياقها السابق و موضعها في سياق جديد"<sup>(4)</sup>.

ويرى كثير من الدارسين أنّ الناقدة البلغارية الأصل "جوليا كريستيفا" (J. KRISTEVA) هي حائزة قصب السبق في وضع هذا المصطلح لأنّها أوجدته واضحا محدد المعالم و ذلك في أبحاث لها نشرت سنة 1966-1976 في مجلتي (Tel quel) و (critique) في فرنسا، ثم استثمرته من بعدها جماعة (Tel quel) التي طرحت من خلاله صيغة النص المتعدد، الذي يتوالد في الآن عينه من نصوص عديدة سابقة عليه، بينما كانت (كريستيفا) تدججه مع كلمة أخرى هي (idéologème)، و "نظرت إلى النص الأدبي باعتباره أداة تحويل للنصوص السابقة أو المعاصرة، فدخول هذه النصوص إلى نص جديد ينتج عنه

(1) رولان بارت: درس السميولوجيا، تر: عبد السلام بلعيد، دار توبقال، ط3، المغرب، 1993. ص87.

(2) حسين جمعة: المسبار في النّقْد الأدبي (دراسة في نقد النقد للأدب القديم و التناص)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003. ص163.

(3) حسين خمري: فضاء التخيل -مقاربات في الرواية- منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002. ص103.

(4) المرجع السابق. ص102.

بالضرورة تحويل في دواها و مدلولاتها، و كأن النص يعيد قراءة النصوص التي دخلت في تكوينه و يقوم بتحويلها لفائدته الخاصة<sup>(1)</sup>، فيصبح التناص من وجهة نظرها هو التقاطع داخل نص مأخوذ من نصوص أخرى، و هي ترى أنّ أيّ نص مبني كفسيفساء من الاقتباسات، و أيّ نص هو امتصاص و تحويل لنص آخر<sup>(2)</sup>.

غير أنّ الولادة الحقيقية كانت على أيدي الشكلايين الروس و إن لم تكن ولادة خالصة حيث إنّهم يؤمنون بالتناص من خلال تداخل النصوص و ظهور أثر بعضها على بعض، و دمج عدد كبير من المكونات اللسانية و الأسلوبية و الثقافية المختلفة، و هو ما يؤكده تودوروف في كتابه (الشعرية)، ويرى أنّ "ميخائيل باختين" (Michael Bakhtine) هو أوّل من صاغ نظرية حول تعدد القيم النصّية المتداخلة، و أكّد أيضا أنّ كلّ نص يقع عند ملتقى نصوص أخرى و يكتفها و يراجع صيغتها و يضع البنية الأدبية في المجموع الاجتماعي الذي يعتبر بمثابة مجموع نصي، "و قد استخدم مصطلح الحوارية للدلالة على تقاطع النصوص و الملفوظات في النص الروائي الواحد، كما أنّه استخدم مصطلحات أخرى تلتقي مع مفهوم الحوارية أو توضح بعض الظواهر التي تنضوي تحت الحوارية منها مفهوم تعددية الأصوات polyphonie و مفهوم تعددية اللغات plurilinguisme<sup>(3)</sup> و لم يستعمل مصطلح التناص و لكنّه أسّس له نظريا في كتاباته و خاصة في كتابه "شعرية دوستويفسكي" (la poétique de Dostoïevski) و تكلم كثيرا عن مصطلح (الحوارية) الذي "أوسع من التداخل النصّي و أحد العناصر النصّية لبناء الخطاب، و منه الخطاب الشعري"<sup>(4)</sup>.

و تجدر الإشارة إلى أنّ "تودوروف يسمّي الخطاب الذي لا يستحضر شيئا مما سبقه (أحادي القيمة)، و يسمّي الخطاب الذي يعتمد في بنائه على هذا الاستحضر بشكل صريح (خطاباً متعدد القيمة)"<sup>(5)</sup>.

## 2/ مفهوم التناص عند الغرب

لقد لمعت في الغرب أسماء عديدة احتضنت مصطلح (التناص) مثل جوليا كريستيفا، و جيرار جينيت و رولان بارت، و ميشيل أريفي، و لوران جيني، و جان ريكاردو، و ميشيل ريفاتير، و غيرهم كثير؛ و كانت كتابات هؤلاء تنشر في مجلة (Tel quel) حتى غدت علما عليهم، لكنّ ذلك لم يجعلهم يتفقون على

(1) حميد حميداني: القراءة و توليد الدلالة (تغيير عادتنا في قراءة النص الأدبي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص25.

(2) عمر عبد الواحد: التعلق النصي، ط1، دار الهدى، مصر، 2003، ص42.

(3) حميد حميداني: القراءة و توليد الدلالة (تغيير عادتنا في قراءة النص الأدبي)، ص23.

(4) محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته و إبدالاته، ج3 (الشعر المعاصر)، ط3، دار توبقال، الدار البيضاء، 2001، ص189.

(5) محمد عزّام: النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص29.

## الفصل الثالث: التناص و المقامية في 'سجع الكهان'

تعريف واحد؛ "فالتناصية عند (مارك أنجينو): 'هي تقاطع في النص مؤدّى مأخوذ من نصوص سابقة'. ولما استعمل أنجينو مصطلح التناصية لنظرية التناص ومثله (لوران جيبي) استعمل (ريفاتير) (Michel Rivateur) مصطلح التناص، ويعرّف كلّ منهما مصطلحه النصي؛ فيقترح (لوران جيبي) تعريفاً لها: هي 'عمل يقوم به نص مركزي لتحويل نصوص وتمثلها ويحتفظ بزيادة المعنى'. ويعرّف (ميشيل ريفاتير) التناص قائلاً: 'إنّ التناص هو أن يلحظ القارئ علاقات بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت بعده'"(1). في حين جاء "جيرار جينيت" (G.Genette) بمصطلح "التعالّي النصي" (TRANSTEXTUALITE) و الذي هو "نوع من المعرفة التي ترصد العلاقات الخفية أو الواضحة لنص معين مع غيره من النصوص"(2). أمّا "رولان بارت" (Roland Barth) فقد جعل خاصية التناص لصيقة بالنص، و يعتبرها أحد مكوناته سواء أكان جلياً ظاهراً أو ضمناً متخفياً، يقول في هذا الصدد: "إنّ كل نص هو تناص، و النصوص الأخرى تترأى فيه بمستويات مختلفة، أو بأشكال عصيّة على الفهم، بطريقة أو بأخرى، إذ نتعرف فيها على نصوص الثقافة السالفة و الحالية، فكلّ نص ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة"(3).

و قد كان (رولان بارت) متحفظا في التعامل مع مصطلح التناص، فعلى الرغم من اهتمامه به إلا أنّه لم يصرح به كمصطلح و لم يذكره إلا في كتابه (لذة النص 1973).

كما جاء "جاك ديريدا" (Jack Dirida) بمصطلح (التكرارية) بدل (التناص)، فالنصوص عنده - هو الآخر- متداخلة مع بعضها البعض مما جعله يلغي الحدود بين نص ما و نص آخر، "ويقوم التناص عنده على الاقتباس، و (تداخل النصوص)، لأن النص عرضة للنقل إلى سياق آخر، في زمن آخر؛ وكلّ نص أدبي هو خلاصة تأليف عدد من الكلمات التي هي سابقة للنص في الوجود، كما أنّها قابلة للانتقال إلى نص آخر؛ وهي بذلك تحمل تاريخها القديم والمكتسب. وينتج عن هذا أن أيّ نص هو خلاصة لما لا يُحصى من النصوص قبله...؛ وتتلاحم (التكرارية) مع الأثر\* كقوى خفية للنص، لأنّها حتمية تلقائية تحدث كالطريق ترسمه أقدام العابرين على التراب، ومن خلال قصيدة واحدة نقرأ مئات القصائد فنجد فيها ما لا يُحُدّ من سياقات تحضرها الإشارات المكررة"(1).

(1) حسين جمعة: المشبار في التّقْد الأدبي (دراسة في نقد النقد للأدب القديم و التناص). ص 139.

(2) محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: الشركة العالمية المصرية، الإسكندرية، 2000. ص 152.

(3) بوجعة بوعيو و آخرون: صورة الزعيم في الخطاب الشعري الجزائري الحديث، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د.ت. ص 95.

\* الأثر: هو القيمة الجمالية التي تجري وراءها كل النصوص، و يتصيدا كل قراء الأدب.

(1) محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003. ص 126-127.

و يرى (ليتش) أنّ "النص ليس ذاتا مستقلة أو مادة موحدة و لكنّه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى... (2)".

### 3/ مفهوم التناص عند العرب

إذا كان التأصيل المعرفي للتناص في مصادره و مرجعياته الأولى من حيث حدوده و آفاقه و إجراءاته التطبيقية أفضى إلى اختلاف منهجي و علمي، فكيف يكون الحال بالنسبة للنقد العربي الذي مازال يعتمد على هذه المصادر و المرجعيات الغربية في تشكيل مفهومه و أدواته النقدية و الإجرائية؟ إنّ المشكلة الأساسية تتحدد في نقل المصطلح النقدي و تحديد معناه و دلالاته، إذ يمكن أن تجد للمصطلح أو المفهوم أسماء كثيرة تختلف باختلاف المترجم و خلفيته المعرفية و فهمه للمصطلح أو المفهوم، فبعضهم يترجم مصطلح (intertextualité) بـ"التناص"، و البعض الآخر بـ"التناصية"، و فريق ثالث "النصوصية"، و هناك من يسميه "تداخل النصوص"، إلا أنّ الترجمة الأولى "التناص" أكثرهم شيوعا و انتشارا؛ و امتد هذا الاختلاف إلى تعريفاتهم بهذا المصطلح، فقد عرّفه (محمد بنيس) بأنّه "تلك العناصر الموجودة على حدود النص، داخله و خارجه في آن، تتصل به اتصالا يجعلها تتداخل معه إلى حدّ تبلغ فيه درجة من تعيين استقلاليته، و تنفصل عنه انفصالا يسمح للداخل النصي كبنية و بناء أن يشتغل و ينتج دلاليته" (3).

أمّا (سعيد يقطين) فيستعمل مصطلح (التفاعل النصي) مرادفا لما شاع تحت مفهوم "التناص"، لأنّ هذا الأخير في نظره ليس إلا واحدا من أنواع التفاعل النصّي الذي يراه أعمق في حمل المعنى المراد الإيحاء به بشكل سوي و سليم (4)، و يرى أنّ للتفاعل النصي أنواعا ثلاثة هي: (5)

1- المناصة (paratextualité): و هي تلك البنية النصية التي تشترك و بنية نصية أصلية في مقام و سياق معينين و تجاورها محافظة على بنيتها كاملة و مستقلة، و هذه البنية النصية قد تكون شعرا أو نثرا، و قد تنتمي إلى خطابات عديدة كما أنّها قد تأتي هامشا أو تعليقا على مقطع سردي أو حوار وما شابه.

2- التناص (intertextualité): إذا كان التفاعل النصي في النوع الأوّل يأخذ بعد التجاور، فهو هنا يأخذ بعد التضمن، كأن تتضمن بنية نصية ما عناصر سردية أو تيمية من بنيات نصية سابقة، و تبدو و كأنّها جزء منها، و لكنّها تدخل معها في علاقة.

(2) محمد عزام: النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي). ص30.

(3) محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته و إبدالاته، ج1، التقليدية، دار توفيق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990. ص76.

(4) سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي (النص و السياق)، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2001. ص29 - 93.

(5) المرجع السابق. ص99.

3- الميتانصية (métatextualité): و هي نوع من المناصه لكنّها تأخذ بعدا نقديا محضا في علاقة بنية نصية طارئة مع بنية نصية أصل.

كمّا خصّص (محمد مفتاح) فصلا في كتابه (تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص) و هو الفصل السادس الذي كان بعنوان "التناص"، عرض فيه إلى التداخل الكبير بين التناص و بعض الحقول النقدية الأخرى مثل "المثاقفة" و "السرقا" و مع إشارته إلى إمكان التناص في بعض الملامح للسرقا الأدبية مع التناصية، إلّا أنّه يرى ضرورة التأكيد على الدراسة العلمية التي تقتضي أن يميّز كلّ مفهوم من غيره و يحدّد مجاله لتجنب الخلط، و لهذا يرى أنّ التناص "ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط و التقنين، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي و سعة معرفته و قدرته على الترجيح"<sup>(1)</sup>. و يؤكّد أنّ إنتاج أيّ نص مرهون بمعرفة صاحبه بالعالم،... و حدّد بعض المفاهيم المتعلقة بالتناص و هي: المعارضة، المعارضة الساخرة، السرقا و المناقضة، أمّا آلياته فهي عنده: التمطيط، الشرح، الاستعارة، التكرار، الشكل الدرامي، أيقونة الكتابة<sup>(2)</sup>.

نجد بالإضافة إلى ذلك، كتاب (دراسات في النص و التناصية) ل(محمد خير البقاعي)، جمع فيه مجموعة من المقالات المترجمة حول (النص و التناصية)، و هو يرى أنّ "وجود التناص يعني أنّ فضاء رحبا من (الأدب على الأدب) يفتح في وجه القارئ الفضولي و (الناقد)"<sup>(3)</sup>.

و إذا كان وجود الشيء أسبق من الوعي به - كما يقال - فقد اقتفى كثير من الباحثين المعاصرين العرب أثر التناص في الأدب القديم و أظهروا وجوده فيها تحت مسميات أخرى و بأشكال تقترب بمسافة كبيرة من المصطلح الحديث، فقد أوضح (محمد بنيس) ذلك و بيّن أنّ الشعرية العربية القديمة قد فطنت لعلاقة النص يغيره من النصوص منذ الجاهلية و ضرب مثلا بالمقدمة الطلالية، و التي تعكس شكلا لسلطة النص و قراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها و للتداخل النصي بينها، "فكون المقدمة الطلالية تقتضي ذات التقليد الشعري من الوقوف و البكاء و ذكر الدمن فهذا إنّما يفتح أفقا واسعا لدخول القصائد في فضاء نصي متشابك ووجود تربة خصبة للتفاعل النصي"<sup>(4)</sup>.

(1) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005. ص131.

(2) المرجع السابق. ص121-127.

(3) محمد خير البقاعي: دراسات في النص و التناصية، مركز الإنماء الحضاري، ط1، حلب، 1998. ص116.

(4) محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته و إبدالاته، ج1. ص183.

## الفصل الثالث: التناص و المقامية في 'سجع الكهان'

كما رأى (الغذامي) أنّ الاحتذاء\* عند الجرجاني هو ذاته (التناص) في مفهومه المعاصر، و يشير إلى أنّ "الموروث الفني للجنس الأدبي الذي يتقمصه النص يعلي جانب البعد التاريخي للكلمة لكنّه لا يسجنها فيه، فهي بقدر ما تترفع عن البعد المباشر فإنّها تتجاوزته منفتحة على المستقبل، و رصيدها الموروث يمكنها من منح إيجاءات متعددة المضامين، و هذا يفتح مجالها لتكون قادرة على الدلالة على أي شيء يتخيّله متلقيها، حتى لكأنّها تدل على كلّ شيء، أو لا تدل على شيء أبدا"<sup>(1)</sup>.

لقد وردت في تراثنا العربي، مصطلحات عديدة تقارب مصطلح (التناص)، سواء أكان ذلك في الحقل البلاغي (كالتضمين، والتلميح، والإشارة، والاقْتباس... الخ)، أو في الميدان النقدي (كالمناقضات، والسرققات، والمعارضات... الخ). وكلها تقترب قليلاً أو كثيراً من مفهوم (التناص)؛ و قد وصلنا من كلام علي -رضي الله عنه- أنّه قال: "لولا أنّ الكلام يعاد لنفد"<sup>(2)</sup>، و هذه إيماءة صريحة إلى ظاهرة التناص الأمر الذي يثبت تجذّرها في تراثنا النقدي، و لعلّ هذا ما يمنحه الخلود، عندما يجد فيه كلُّ عصر ما يتغيه على ضوء مفهوماته المستحدّة.

و من نافلة القول إنّ النقاد العرب يرون "أنّه لا تداخل نصّياً في النحو والصرف وقواعد الإعراب، لأنّه ليس في شيء من ذلك خصوصية ترتبط بالمبدع؛ ومن هنا دخل الغلط على مَنْ جعل هذا من قبيل التداخل النصّي، وحكم بالأخذ أو السرقة، إذ هي أمور مشتركة لا تدخل مجال التمايز والفضيلة، ولا اختصاص لها بفرد دون آخر، أو بجيل دون آخر. كما يخرج من دائرة التداخل النصّي الإطار الإيقاعي الخارجي للشعر، لأنّ الوزن مثل الهيئة التصويرية للبنية الشعرية، ليس داخلياً في منطقة الفصاحة"<sup>(3)</sup>. 4/

### أنواع التناص:

إنّ التناص يرتكز على مبدأي الشكّل و المضمون إذ "لا مضمون خارج الشكّل، بل إنّ الشكّل هو المتحكّم في المتناص و الموجه إليه و هو هادي المتلقي لتحديد النوع الأدبي و لإدراك التناص و فهم العمل الأدبي تبعاً لذلك"<sup>(4)</sup>؛ و عليه فقد صنّف بعض النقاد التناص إلى نوعين: "أولهما يقوم على العنوية و عدم القصد، إذ يتم التسرّب من الخطاب الغائب إلى الحاضر في غيبة الوعي، أو يتم ارتداد النص الحاضر إلى الغائب في نفس الظرف الذهني... أمّا الآخر فهو يعتمد على الوعي و القصد، بمعنى أنّ الصياغة في

\* الاحتذاء: أن يتدبّر الشاعر في معنى له و غرض أسلوباً، فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيحيه به في شعره. / عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني. ص428.

(1) عبد الله الغذامي: الخطيئة و التكفير (من النبوية إلى التشريحية)، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998. ص328.

(2) محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني. ص137.

(3) محمد عزام: النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي). ص43-44.

(4) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). ص130.

## الفصل الثالث: التناص و المقامية في 'سجع الكهان'

الخطاب الحاضر تشير -على نحو من الأنحاء - إلى نص آخر، و بل و تكاد تحددّه تحديدا كاملا يصل إلى درجة التنصيص"<sup>(1)</sup>.

و قد أضاف الناقد الفرنسي "جيرار جينيت" لذلك أن حدّد أصنافا للتناص هي:<sup>(2)</sup>

- الاستشهاد و هو الشكل الصريح للتناص.

- السرقة و هو أقل صراحة.

النص الموازي علاقة النص بالعنوان و المقدمة و التنبيه و التقديم و التمهيد.

- الوصف النصي: العلاقة التي تربط بين النص و النص الذي يتحدث عنه.

- النصية الواسعة: علاقة الاشتقاق بين النص (ب) و النص (أ) السابق عليه.

- النصية الجامعة: العلاقة البكماء بالأجناس النصية التي يفصح عنها التنصيص النصي الموازي.

و في ضوء ما تقدم يمكننا صياغة مفهوم للتناص كونه "دراسة الخطاب الأدبي بوصفه جزءا من سياق إبداعي أشمل، و يبحث التناص عن مظاهر و شروط انضواء النص موضوع الدراسة في سياقه العام و أشكال استفادته من النصوص السابقة عليه أو كيف استحالت في داخله عناصر و خصائص من تلك النصوص و ما أنتجه النص الجديد من معنى أدبي نتيجة ذلك كله، و ما كسبته التجربة الجمالية من ابتكار الشاعر أو الكاتب"<sup>(3)</sup>، فهو "إمّا أن يكون اعتباريا يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي و إمّا أن يكون واجبا يوجه المتلقي نحو مظانه، كما أنّه قد يكون معارضة مقتدية أو ساخرة أو مزيجا بينهما، و سواء ارتكز الباحث في دراسته على الذاكرة أو على المؤشرات، و مهما كان نوعه فإنّه ليس مجرد عملية لغوية مجانية و إمّا له وظائف متعددة تختلف أهمية و تأثيرا بحسب مواقف التناص و مقاصده"<sup>(4)</sup>. و باختصار يبحث التناص في كيفية استفادة النص الجديد من نصوص سابقة.

إنّه من الصعب إذن الحديث عن إبداع أصيل خالص للمبدع، و من هنا فإنّ التناص يجعل أدبية النص تكمن في البناء اللغوي وصولا إلى مستويات التعبير الجمالية، و ليس الهدف من التناص هو إبراز التداخل النصي فقط، و إمّا البحث في شعريته و دوره في السياق و حضور القارئ في البنية النصية.

و عليه، فقد آثرنا في هذا الفصل الإشارة إلى عنصر آخر من عناصر النصانية و هو "المقامية" أو ما يعرف في البحث اللغوي الحديث بـ"السياق"، لنخلص بعدها إلى معرقة مدى تجلّي هذين العنصرين في مقالات "سجع الكهان". فما هو السياق؟ و ماهي أنواعه؟ و هل هناك فرق بين السياق و المقام؟

(1) محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني. ص153.

(2) محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته و إبدالاته، ج3(الشعر المعاصر). ص188.

(3) رمضان الصباغ: في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 1998. ص338.

(4) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). ص131-132.

5/ مفهوم المقام/السياق :

تعدّ الكلمة موروثاً رشيقي الحركة من نص إلى آخر، فهي تقبل تغيير هويتها و وجهتها حسب ما هي فيه من سياق<sup>(1)</sup>، و ربّما هذا ما دفع "جون ليونز" (John Lyons) إلى القول: "اعطني السياق الذي وردت فيه هذه الكلمة و سأخبرك عن معناها"<sup>(2)</sup>، إذن فالكلمة يتحدّد معناها من خلال السياق الذي ترد فيه، حيث إنّ للكلمة عدّة استعمالات سياقية و كلّ سياق يظهر أو يحدّد أحد هذه المعاني أو وجهها منها، وكما يقول الفيلسوف الألماني "فرتجنشتين" (*wittgenstein*): "معنى الكلمة يكمن في استعمالها في اللغة"، و يقول أيضا: "لا تسأل عن المعنى ولكن سل عن الاستعمال"<sup>(3)</sup>؛ ويذهب "مارتيني" أبعد من ذلك ورأى أنّه "خارج السياق لا تتوفّر الكلمة على المعنى"<sup>(4)</sup>.

كما اهتمدى علماء العربية في وقت مبكر من تاريخ العلوم اللغوية والبلاغية إلى ما يحفّ بظاهرة الكلام من الملابسات، كالسامع والمقام وظروف المقال وكلّ ما يقوم بين هذه العناصر غير اللغوية من روابط، والأمثلة كثيرة على أصالة هذا المبدأ الفني في التراث البلاغي العربي؛ فقد تحدّث علماء القرآن عن أسباب النزول وأفردوه بالتأليف، وتحدّث علماء الحديث عن أسباب الورد كما تحدّث الأدباء والنقاد عن أسباب وظروف الإنشاد.. و من ذلك ما أورده الجاحظ في كتابه من أجوبة فيها توجيه لما نحن فيه، فمما نقله عن بعض أهل الهند قولهم: "جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول، و قلة الحرف بما التبس من المعاني أو غمض، و بما شرد عليك من اللفظ أو تعدّر"<sup>(5)</sup>؛ وأن "لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة... ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم"<sup>(6)</sup>. كما فطن المفسرون إلى الفرق بين ظاهر القرآن وباطنه، فكان فهمهم لهذا الفرق تفريقا منهم بين المعنى المقالي والمعنى المقامي.

أمّا النحاة فقد اعتنوا بدورهم بالمقام الذي تتشكل فيه العناصر اللغوية، مشيرين بذلك إلى تأثير دلالة سياق النص اللغوي وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف والتقديم

\* نستعمل في هذه الدراسة مصطلحي السياق و المقام بمعنى واحد هو جملة الظروف الحافة بالنص/المقال بما فيها السامع نفسه.

(1) عبد الله الغدامي: الخطيئة و التكفير (من البنيوية إلى التشرحية). ص328.

(2) John Lyons : linguistique générale « introduction a la linguistique », tr: F.Dubois-Charlier et David Robinson, librairie Larousse, Paris,1970. P 314 .

(3) محمد محمد داود: العربية و علم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2001. ص 197.

(4) عبد الجليل منقور: علم الدلالة "أصوله و مباحثه في التراث العربي" اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001. ص88.

(5) الجاحظ: البيان و التبيين، ت: درويش الجويدي، ج1، ص63.

(6) المرجع السابق. ص65-66.

## الفصل الثالث: التناص و المقامية في 'سجع الكهان'

والتأخير والتعريف و التنكير وغير ذلك مما درسه ما يعرف بعلم المعاني إذ يدرس أحوال الإسناد الخبري وأحوال المسند إليه وأحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل.

و تعدّ نظرية النظم عند "عبد القاهر الجرجاني" خير شاهد على معرفتهم بالسياق اللغوي حيث يقول: "اعلم أنّ ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه و أصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها"<sup>(1)</sup>. فلاحظ هنا مدى الاهتمام بصحّة الكلام، و صحّة الكلام مرتبطة بصحّة المعاني الناتجة عن فكرة الموقعية، فهذا سياق لغوي.

إنّ أبرز الملامح في النظر البلاغي عند العرب قام على اشتراط (مواقفة الكلام لمقتضى الحال)، و الأخذ بالمقولة السائدة (لكلّ مقام مقال)، ورصد على وجه التفصيل ما يكون من تأثير السياق، سياق الحال خاصة، وهي حال المتكلم والمخاطب وسائر ما يأتلف منه (المقام) ورصد ما يكون من تأثير ذلك في تشكيل الكلام وتأليفه على هيئات في القول تتنوع وفقا لتنوع المقامات. لكن ما المقصود بمقتضى الحال عند البلاغيين؟

يقدم (محمد عبد المطلب) جوابا عن هذا التساؤل قائلا: "المقصود به: الاعتبار المناسب للحال الذي يستدعي بالضرورة بناء لغويا معينا، فكلّ اعتبار له ناتج صياغي يتوافق معه."<sup>(2)</sup>

فمطابقة الكلام لمقتضى الحال هو أساس البلاغة كلّها، وهو الذي يجب مراعاته في الكلام حتى يصبح بليغا يتعدى مرحلة الإفهام. وبهذا يكون "اللغويون العرب عند اعترافهم بفكرة (المقام) متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم، لأنّ الاعتراف بفكرتي (المقام) و (المقال) باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"<sup>(3)</sup>، حيث تزعم "فيرث" (*Firth*) فكرة السياق و أصل دراسة المعنى من خلال إطار منهجي معتمدا على تفكير علماء الأنثروبولوجيا خاصة "مالينوفسكي" (*B.Malinowski*) الذي طوّر نظريته لسياق الحال (context of situation) والتي على أساسها ترجع معاني الكلمات إلى وظائفها المختلفة في سياق الحال الخاص الذي يستعمل فيه.

والعلاقة بين (المقام) و (المقال) تسير في اتجاهين على نحو مستمر، فكما أنّ المقال دليل على المقام فكذلك نجد المعرفة بالمقام جوهرية في فهم المقال، وتظل العلاقة الجدلية قائمة بينهما طوال عملية الممارسة

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ت: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية للطباعة و النشر، بيروت، 2002. ص128.

(2) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997. ص 70.

(3) تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001. ص337.

## الفصل الثالث: التناص و المقامية في 'سجع الكهان'

اللغوية؛ فكلّ من المقام والمقال متمم للآخر، وكلّ منهما يفترض الآخر مسبقاً، وتعتبر النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أمّا السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون و الكتاب في مواقف معينة.

ولهذا أصبح لزاماً على الكاتب أو القارئ -عندما يتعلق الأمر بالنصوص المدونة التي فقدت عنصر المقام الاجتماعي فخفي علينا من ظروف قولها أشياء كثيرة - أن يعيد تكوين هذا المقام بتصوير ما يمكن تصوره من أحداث بغية الوصول إلى أكبر قدر ممكن من المعاني.

غير أنّ البعض يرى أنّ هناك فروقاً بين ما كان يقصده البلاغيون العرب (المقام) و ما يقصده التداوليون في البحث اللغوي الحديث (السياق)، و هذا ما يبيده (تمام حسان) إذ يرى "أنّ الفيصل في ذلك الاختلاف بين مفهومي المقام و السياق، هو معرفة ما تنطوي عليه الثقافة، ففيها يرتبط كثير من المواقف بالاستعمال اللغوي، مما يحدّ من إخضاع المقام للمعيارية التي تلتصق بتعريفات البلاغيين العرب"<sup>(1)</sup>.

و يُعدّ (تمام حسان) فهم البلاغيين للمقام أو مقتضى الحال، يعدّه فهماً سكونياً قلبياً نمطياً مجرداً، و أمّا المقامات التي يتحدثون عنها بقولهم "لكل مقام مقال" ما هي إلا نماذج مجردة و أطر عامة و أحوال ساكنة، ثم يصوغ تعريفاً للمقام بقوله: "فالذي أقصده بالمقام ليس إطاراً و لا قالباً، و إنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءاً منه، كما يعتبر السامع و الكلام نفسه، و غير ذلك مما له اتصال بالتكلم، و ذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كلّ عملية الاتصال..."<sup>(2)</sup>.

أمّا (محمد عبد المطلب) فيرى "أنّ البلاغيين لم يحدّدوا المقام في الإطار الخارجي المصاحب، بل إنهم تحركوا به إلى داخل التركيب عن طريق مقولتهم الدقيقة: إنّ (لكل كلمة مع صاحبها مقام) و هذه المقولة تجعل المقام الداخلي كائناً متحركاً، لا يعرف الثبات الذي كان له في الحالة الأولى المصاحبة، ذلك أنّ احتمالات التوالد التركيبي غير نهائية، و كل احتمال يخلق مقامه الذي يربط بين الكلمتين عن طريق التجاور، و كلّ تغيير في علاقة المجاورة يصاحبه تغيير في المقام، فحضور المقام حضور وهمي يتدخّل في خفاء حال التركيب ليمارس فاعليته في إنتاج المعنى..."<sup>(3)</sup>.

يدلّ هذا دلالة واضحة على أنّ "مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهئة يباين مقام التعزية و مقام المدح يباين مقام الذم و مقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يباين مقام الكلام بناء على الاستخبار أو

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2004. ص41.

(2) المرجع السابق. ص41.

(3) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى. ص71.

الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر<sup>(1)</sup>؛ و على العموم فإنه يمكننا القول إن مصطلح السياق/المقام يطلق على مفهومين: سياق/مقام لغوي و آخر غير لغوي.

## 6/ أنواع السياق:

### 1.6 / السياق اللغوي: (Verbal Context)

يعرّف "محمد علي الخولي" السياق اللغوي بأنه "البيئة اللغوية التي تحيط بصوت أو فونيم أو مورفيم أو كلمة أو عبارة أو جملة"<sup>(2)</sup>. أي أنّ السياق بهذا المفهوم "تجسيد لتلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب، من وحدات صوتية و صرفية و معجمية، و ما بينها من ترتيب و علاقات تركيبية"<sup>(3)</sup>.  
بعبارة أخرى، يتحدّد معنى الكلمة في السياق اللغوي من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى في النّظم. و كمثل على ذلك نأخذ الفرق من الناحية البيانية في استخدام لفظة (إنّا رسول، إنّا رسولا، إنّي رسول) في قصة موسى وهارون-عليهما السلام- :

"مثل هذا التعبير ورد في ثلاث مواقع في القرآن الكريم: قال تعالى في سورة طه: (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)) وفي سورة الشعراء (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16)) وفي سورة الزخرف قال تعالى ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (46)).

المسألة تتعلق بالسياق ففي سورة طه السياق كلّه مبني على التثنية من قوله تعالى: (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي دِكْرِي (42)) إلى قوله: (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)) ، وقوله: (قَالُوا إِن هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطِرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى (63))، أما في سورة الشعراء فالسياق كلّه مبني على الإفراد والوحدة من قوله تعالى: (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18))، مع العلم أنّ أوائل السورة فيها تثنية من قوله تعالى: (قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15)) إلى قوله: (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16))، ثم يُغيّب هارون وتعود إلى الوحدة ويستمر النقاش مع موسى وحده ( قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُحْتَوُونَ (27)) ثم يوجّه فرعون الكلام إلى

(1) أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ص73.

(2) لحسن توبي: التعريف المصطلحي في بعض المعاجم العربية. [www.arabization.org.ma](http://www.arabization.org.ma)

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب. ص40.

موسى مهدداً إياه وحده (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29)) (قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (30)) (قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34))<sup>(1)</sup>.

لقد اختار عزّ و جل الكلمة المناسبة في السياق المناسب، فالسياق في سورة (طه) قائم على التثنية والسياق في سورة (الشعراء) قائم على الجانبين أفراد ثم تثنية ثم أفراد، و(موسى)-عليه السلام- هو الذي بلغ الرسالة؛ أمّا في سورة (الزخرف) فلم يأت ذكر هارون في سياق السورة كلّها أصلاً فقال تعالى (إِنِّي رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ). وهذه الآيات الثلاثة لا تعارض فيها، وإتّما هي لقصة واحدة، ذهب موسى وأخاه هارون-عليهما السلام- إلى فرعون وفي كل سورة جاء جزء من القصة بما يقتضيه السياق في السورة؛ وهذه اللقطات إمّا هي مشاهد متعددة يُعبّر عن كل مشهد حسب السياق وليس في الآيات الثلاثة ما يخالف العربية؛ كما تجدر الإشارة إلى أنّ كلمة (رسول) في اللغة تُطلق على الواحد المفرد وعلى الجمع.

ومن السياق اللغوي ما يسمّى "المصاحبات اللفظية" أو "التلازم اللفظي" (Collocation) ويعرّفه (فيرث) بأنّه: "الارتباط الاعتيادي بكلمة ما في لغة ما، بكلمات أخرى معينة" أو "استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين، يأتي استعمالهما عادة مرتبطين الواحدة بالأخرى"<sup>(2)</sup>.

ومن أمثلة ذلك كلمة "مجلس": مجلس العلم، مجلس الكلية، مجلس الجامعة، مجلس التأديب، مجلس الشعب، مجلس الأمن،... إلخ؛ و هو ما يدلّ على أهميّة السياق اللغوي ودوره في تحديد المعنى و فهمه.

## 2.6 / السياق غير اللغوي:

وهو يمثّل الظروف و الملابسات و المواقف التي تمّ فيها الحدث اللغوي و تتّصل به، وهو ما أطلق عليه البعض: "المسرح اللغوي"<sup>(3)</sup>، ويسمّيه (فيرث): "سياق الحال" ويعرّفه بأنّه "جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر شخصية المتكلّم و السامع، و تكوينيهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلّم و السامع - إن وحدوا - وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، و العوامل و الظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة و السلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي، وكحالة الجو إن كان لها دخل، والوضع السياسي، وكمكان الكلام"<sup>(1)</sup>.

من خلال التعريف الذي قدّمه (فيرث) نستطيع تقسيم السياق غير اللغوي إلى سياقات متنوعة تتمثل

في:

## 1.2.6 / السياق العاطفي أو الانفعالي: (Emotional Context)

(1) فاضل صالح السمرائي: لمسات بيانية في القرآن الكريم. www.islamiyyat.com

(2) محمد محمد داود: العربية و علم اللغة الحديث. ص 198.

(3) المرجع السابق. ص 199.

(1) المرجع السابق. ص 199.

يرتبط هذا السياق بدرجة قوّة الانفعال المصاحبة للأداء الفعلي للكلام من حيث ما يقتضيه من تأكيد أو مبالغة أو اعتدال، يقول (ستيفان أولمان): "السياق وحده هو الذي يوضّح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنّها تعبير موضوعي صرف أو أنّها قصد بها أساسا التعبير عن العواطف و الانفعالات و إلى إثارة هذه العواطف والانفعالات؛ و يتّضح هذا بخاصة في مجموعة معينة من الكلمات، نحو: "حرية و عدل" التي قد تشحن في كثير من الأحيان بمضامين عاطفية، بل إنّ بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية قد تكسب نعمة عاطفية قويّة وغير متوقّعة في المواقف الانفعالية" (2)؛ كما كلمة (يكره) غير كلمة (يبغض) رغم اشتراكهما في أصل المعنى و هو (الكره).

### 2.2.6 / سياق الموقف (Situational Context):

وهو الإطار أو (الموقف) الخارجي الذي يقع فيه الكلام، فالجملة الآتية (تلك الطاولة كثيرة الضحك) إن وردت وحدها معزولة عن أي سياق فلن يكون لها أيّ معنى، و سيرفضها السامع فورا، مع أنّها من الناحية النحوية الخالصة صحيحة جدا، لكن سبب رفضنا لها نابع من كوننا نعرض هذه الجملة على مجموعة من المعطيات المنطقية التي تجعل من هذا التركيب تركيبا مرفوضا من حيث المعنى، أمّا إذا كنا نجلس -مثلا- في مطعم و كان الجالسون حول إحدى الطاولات يضحكون و يصخبون، ثم لفظ أحدنا هذه الجملة مشيرا إلى ما يفعله الجالسون هناك، فإنّ المعنى يكون مفهوما جدا و مقبولا، و بناء عليه فإنّ سياق الموقف يجعل من التركيب غير ذي معنى تركيبا ذا معنى؛ و من ثمّ رأى البعض أنّ "السياق الخارجي بما في ذلك سياق عصر النص و ظروف الكتابة ثمّ أخيرا سياق عصر القراءة له دور أساسي في مسار و كيفية تأويل النصوص" (3).

### 3.2.6 السياق الثقافي (cultural Context):

يقتضي السياق الثقافي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، فكلّ لغة تضم ألفاظا و عبارات يتمتع ترجمتها إلى غيرها من اللغات لأنّها تمثّل خصوصية لمجتمع معيّن وترتبط به في كلّ نواحي الحياة المادية و المعنوية؛ و كمثال على ذلك نأخذ الأمثال العربية التالية: "كلّ الصيد في جوف الفرا"، "عند جفينة الخبز اليقين"، "دقوا بينهم عطر منشم" ... (1)، فهذه الأمثال و أشباهها لا يمكن فهمها أو ترجمتها إلّا بعد الرجوع إلى ثقافة هذا المجتمع.

(2) أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت. ص 156.

(3) حميد حميداني: القراءة و توليد الدلالة (تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي). ص 88.

(1) شرف الدين علي الراجحي: في علم اللغة عند العرب ورأى علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002. ص 137.

## الفصل الثالث: التناص و المقامية في 'سجع الكهان'

لقد اتّضح من خلال ما سبق اعتماد النص والسياق أحدهما على الآخر وكيف أنّ للسياق علاقة مباشرة بتفسير الوحدات الكلامية على مستويات مختلفة ومتعددة، "فمعنى الكلام لا يتأتى فصله بأية حال من الأحوال عن السياق الذي يعرض فيه" (2)؛ بل إنّ السياق "هو الرصيد الحضاري للقول و هو مادة تغذيته بوقود حياته و بقاءه و لا تكون الرسالة بذات وظيفة إلاّ إذا أسعفها السياق بأسباب ذلك و وسائله... و لكلّ نص أدبي سياق يحتويه، و يشكّل له حالة انتماء و حالة إدراك" (3).

إنّ الحديث عن التناص و المقامية دون التعمّق فيهما يعدّ ضرباً من الاعتداء عليهما، لكنّ المقام في هذا الفصل لا يسمح بمثل تلك المغامرة، لذلك سنكتفي بما أوردناه، لنفسح المجال للكشف عن تجليات هذين العنصرين في مدونة البحث.

### 7/ التناص و المقامية في "سجع الكهان":

يقول الكاتب في مقدمة مقالته الأولى: "لا أقسم بذات الحفيف، و الجناح الخفيف، المشاركة في جوّها للكفيف، و بالسر المودع في التجاويف و التلايف، و بالمغيرات صبحا عليها التحايف، و المغيرين على الحق كالعاهر ابن العفيف. و بالسابغات و السوابغ من الدروع و الجلايب، و بالأخذين أمس من تل أبيب بالتلايب، و بالبحر و السفينة، و الحبر و (الدينية)، إن أبا الطيب لمن موالينا، و ممن تلقى الكهانة عن أولينا؛ و إنه ما دعي بالمتنبي إلاّ لأنه كان شاعرا كاهنا، ليناقض النبي الذي لم يكن كاهنا و لا شاعرا، و قد نفيا عن النبي مجتمعين، فثبتا في المتنبي مجتمعين...، و إن قوله: وقعت على الأردن منه بليّة، هو من الكهانة الكاهنة (بالحالة الراهنة)، قالوا أراد أسدا قانصا، و قلنا أراد رجلا ناقصا، قالوا أراد كلبا، روّع قلبا، و مزّق قلبا، و أوسع المهج سلبا، و قدّم ضراغمة غلبا، أوطنها غابات غلبا و ذاد عنها أشاوس غلبا، قلنا: إنّما أراد رجلا ركب صعبا، و باع شعبا، و عقّ لؤيا و كعبا، و سلك بنو أبيه شعبا، و سلك وحده شعبا، و خذلهم في الجلى فملاً القلوب رعبا، و اشتف صباية المال، فلم يدع لبائس حلسا و لا لبائسة قعبا... لم يرد أسدا خادرا، و إنّما أراد رجلا سادرا، يظهر في زمن نحس، و يبيع ضفتي الأردن بثمان بنحس، و أين ليث عقّره بدر بسوط، من شخص كقره صدر بنوط.

أيتها البحيرة، مالك في حيرة؟ لقد شهدت لبدر بن عمّار بالفتوة، فهل تشهدين لأبي الطيب بالنبوة؟... و حدّثي الولي يا (ولية)، أيّهما كان عليك بلية، ذاك الذي وردك زائرا، أم هذا الذي وردك خائرا؟ إنّهما لا يستويان؛ ذاك أسد غاب، رزقه في الناب، و هذا حلف وجرار، رزقه على الجار؛ ذاك يعيش على فرائسه، و

(2) محمود السعران: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار الفكر لعربي، القاهرة، د.ت. ص 290.

(3) عبد الله الغدامي: الخطيئة و التكفير (من النبوية إلى التشريحية). ص 10.

## الفصل الثالث: التناص و المقامية في 'سجع الكهّان'

هذا يعيش على فضلات سائسه؛ ذاك رمز إقدام، و هذا موطع أقدام؛ ذاك ورد الفرات زئيره، و هذا جاوز الفرات تزويره؛ ذاك مشغول البال بتربية الأشبال، و هذا مشغول... بعرس الغول.

أيها الصاعد في العقبة، المجاحش عن خيط الرقبة، البائع لجار السوء صقبه، لا يكن صوتك الصيت، و لو أحييت البحر الميت.

أيها الخاذل للغزّي، ما أنت لهاشم... إنما أنت لعبد العزّي، أغضبت سراة الحي، و أزعجت الميت منهم و الحي، من لؤي إلى أبي نمي، فويحك، أما تخاف أن تهلك، يوم يقال: يا محمد إنه ليس من أهلك" (1).

إنّ القارئ الذي له إلمام بسيط بنظم القرآن الكريم خاصة السور المكية منه، يدرك بيسر أنّ الكاتب قد أخذ طرفا من أسلوبها أو لِنَقْلُ يتناص معها في أكثر من موضع، ففي قوله: "لا أقسم بذات الحفيف، و الجناح الحفيف، المشاركة في جَوْها للكفيف..."، نجد عبارة قرآنية كثيرا ما ترددت في سوره، بل كلّ القسم في القرآن ورد باستخدام (لا) كقوله تعالى: (لَا أُقْسِمُ بِمَدَا الْبَلَدِ) [سورة: البلد - الآية: 1]، و قوله عزّ و جلّ: (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) [سورة: القيامة - الآية: 1]، وهكذا في القرآن كله، ولم يرد قوله (أقسم بـ) أبداً؛ و اختلف النحاة في دلالة (لا): فهناك من يرى أنّ (لا) زائدة لتوكيد القسم بمعنى (أقسم) مثال قولنا: والله لا أفعل معناها لا أفعل، ولو قلنا: لا والله لا أفعل معناها لا أفعل، لا يختلف المعنى... و قسم يقولون هي للنفي (أي نفي القسم)، والغرض منه أنّ الأمر لا يحتاج للقسم لوضوحه فلا داعي للقسم، و قسم قال إنّها تنفي لغرض الاهتمام، كأن تقول لا أوصيك بفلان (بمعنى لا أحتاج لأن أوصيك). و في سور القرآن تدور (لا) في كل هذه الأمور على أنّها توكيد للقسم بمعنى (أقسم)، فقد يكون الشيء من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج لقسم، و في هذا تعظيم للشيء نفسه. (1)

و أمّا الموضع الآخر فقوله: "و بالمغيرات صباحا..."، فقد وردت هذه العبارة في قوله عزّ و جلّ: (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا# فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا# فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا) [سورة: العاديات - الآية: 1، 2، 3]؛ و إن كان البعض يرى في هذه العبارة أنّها أفحمت بين هذه الأسجاع فاحشوشنت و اثقوقلت و نبا بها المقام حتى كأنّها ببيان معلق على جناح الفضاء (2)، إلا أنّنا نرى صاحب هذا الرأي -الذي نحترمه و نعترف له بمكانته العلمية- قد جانب الصواب في حكمه، فهذه العبارة و إن لم تكن -فرضا- تعبيرا صالحا مستقيما و ليست من الفصاحة بمكان محمود، إلا أنّها من أهمّ مستلزمات "سجع الكهّان" و اقتداء بطريقتهم من حيث توظيف الألفاظ المبهمة و القسم بالظواهر الطبيعية المختلفة كالكواكب و النجوم و

(1) أحمد اطلب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص520-521.

(1) فاضل صالح السمرائي: لمسات بيانية في القرآن الكريم. www.islamiyyat.com

(2) عبد الملك مرتاض: نخضة الأدب العربي المعاصر. ص134-135.

## الفصل الثالث: التناص و المقامية في 'سجع الكهان'

غيرها مما يُلفت النظر و يبعث على التعجب من القسم بهذه الأمور؛ لذلك نستبعد أن يكون الإبراهيمي قد وقع في هنات أدبية كان ينبغي أن يتسامى عنها، و إنما لكل مقام مقال.  
و لا و لن يحطّ هذا من منزلة ناقدنا و أستاذنا الفاضل عبد الملك مرتاض، و إنما ألسنة الرجال قد تزلّ أحيانا و لو كانوا عظاما.

بالإضافة إلى ذلك نجد تناصا آخر في قول الإبراهيمي: " يظهر في زمن نحس، و يبيع ضفتي الأردن بثمان بخس"، فالقارئ لعبارة: "بثمان بخس" يستدعي من محفوظنا للقرآن الكريم قوله عزّ و جلّ في سورة يوسف: (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) [سورة: يوسف - الآية: 20]  
كما يتجلى التناص مع آي القرآن الكريم في آخر هذا المقال و ذلك في قول الكاتب: " فويحك، أما تخاف أن تهلك، يوم يقال: يا محمد إنه ليس من أهلك"، فهو تناص مع قوله تعالى في سورة "هود": (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [سورة: هود - الآية: 46].

و من التناص مع القرآن في هذا المقال ينقلنا الإبراهيمي إلى التناص مع الشعر، و بالتحديد إلى قصيدة للمتنبّي يمدح فيها و بها " بدر بن عمّار"، فقد خرج هذا الأخير "إلى أسد فهرب الأسد منه، و كان قد خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع و ثقل فوثب إلى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط و دار به الجيش" (3).

فبعد أن اقتبس الكاتب -بطريقة أقلّ ما يُقال عنها إنّها رائعة- صدر بيت المتنبّي الذي يقول فيه:

وَقَعَتِ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ نُضِدَتْ\* بِهَا هَامُ الرَّفَاقِ تُلُولَا

أخذ يتناص مع أبيات أخرى من نفس القصيدة من ذلك قوله: " و أين ليث عقّره بدر بسوط، من شخص كقرّه صدر بنوط"، فهو تناص مع قول المتنبّي:

أَمْعَقَرَّ اللَّيْثَ الْهَزْبِرِ بِسَوِّطِهِ لِمَنْ أَدَّخَرَتِ الصَّارِمَ الْمَصْفُولا

ومعنى عقّره: مرّغه في التراب (1)، فهو يقول: "يقول: إذا كنت تصرع الأسد بالسوط و هو أشدّ الحيوان حلقة و أهوله بأسا فلمن خبّأت سيفك؟" (2).

(3) ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان المتنبّي: م1، دار و مكتبة الهلال، بيروت، 2000. ص 285.

\* نضدت: أي جمع بعضها فوق بعض؛ يقول إنه كان بليّة على هذا النهر فقد أكثر القتلى من المسافرين حتى اجتمعت رؤوسهم هناك مثل التلول.

ناصر اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان المتنبّي، م1. ص 287.

(1) ابن منظور: لسان العرب، م4. ص 584.

(2) ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان المتنبّي، م1. ص 287.

## الفصل الثالث: التناص و المقامية في 'سجع الكهّان'

و في موضع آخر من هذا المقال يقول الكاتب: "ذاك ورد الفرات زئيره، و هذا جاوز الفرات تزويره.." و هذا تناص مع قول المتنبي:

وَرَدَّ إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِبًا      وَرَدَّ الْفُرَاتَ زَيْبُهُ وَ النَّيْلَا

"الوردُ: الذي يضرب لونه إلى الحمرة، و المراد بالبحيرة: بحيرة طبرية... يعني أنّه يزأر في طبرية فيبلغ زئيره العراق و مصر"<sup>(3)</sup>.

كما لم يخل هذا المقال من التناص مع الحديث النبوي الشريف، و ذلك في قول الإبراهيمي: "أيها الصاعد في العقبة، المجاحش عن خيط الرقبة، البائع لجار سوء صقبه..."، فعن إبراهيم بن ميسرة، عن عمرو بن الشريد، عن أبي رافع، أنّ سعداً ساومه بيتاً بأربعمائة مثقال فقال: لولا أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الجار أحق بصقبه) لما أعطيتك"<sup>(4)</sup>. و عن هذا الحديث قال ابن الأنباري "أراد بالصَّقب المِلاصَّة و القُرْب و المراد به الشُّفَعَةُ كأنه أراد بما يليه؛ و قال بعضهم: أراد الشريك؛ و قال بعضهم أراد المِلاصِيق."<sup>(5)</sup> أمّا كلمة "المجاحش" فمأخوذة من: "جحش عن القوم: تنحّى... و الجحيش: المنتحى عن الناس..."<sup>(6)</sup>.

أمّا فيما يتعلّق بالمقام أو السياق، فإنّ القارئ لهذه المقالة سيلاحظ تحكّم السياق في دلالة بعض المفردات و التراكيب، من ذلك اقتباسه لصدر بيت المتنبي الذي أشرنا إليه آنفاً، فقد أبدع الكاتب في استخراجه من السياق الذي قيل فيه و وضعه في سياق آخر يتماشى مع الهدف الذي أنشئت من أجله هذه المقالة، فكتسب بذلك دلالة جديدة توحى بشخصية ذلك الملك الذي ظهر في زمن نحس، و باع ضفّتي الأردن بثمن نحس، كما أنّه ركب صعبا، و باع شعبا، و عقّ لؤيّتا و كعبا، و إن كان الكاتب قد أشار إلى نسب هذا الملك الذي ينتمي لهاشم بن عبد مناف، فقد أفصح في موضع آخر من المقالة الثانية عن اسمه من خلال اقتباسه لبيت ابن خلكان الذي قال فيه:

كسّور عبد الله بيع بدرهم      صغيرا فلما شبّ بيع بقيراط

و قد علّق الإبراهيمي على ذلك بقوله: "و قال: إن عبد الله هذا لم يعرف أحد من هو. فمن لقي ابن خلكان فليخبره أن كاهن الحي عرف عبد الله صاحب السنور..."<sup>(1)</sup>

(3) المرجع السابق. ص287.

(4) أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب الخيل، باب في الهبة و الشفعة، ج9، دار و مطابع الشعب، القاهرة، د.ت. ص35-36.

(5) ابن منظور: لسان العرب، م1. ص525.

(6) المرجع السابق. م6. ص270.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص523.

و من الأمثلة الدالة على تحكّم السياق في دلالة بعض المفردات، قول إبراهيمي: "و حدّثي الولي يا (ولية)..."، إذ قد يلتبس على القارئ معنى كلمة "ولية" خاصّة و أنّها لم تضبط بالحركات التي تساعد على فهمها، لذلك تكون العودة إلى السياق أمراً واجبا لبيان المراد منها، و الراجح في نظرنا أنّها تصغير لكلمة: "ولاية"، أي "وَلِيَّةٌ" على وزن "فُعَيْلَةٌ"، و الحُجَّة في ذلك أنّنا لم نجد في معجم "لسان العرب" و غيره من المعاجم ما يدلُّنا على معنى يتلاءم مع هذا السياق، فقد ورد أنّ "الوَلِيَّةُ ما تُحَبُّهُ المرأة من زاد لِضَيْفٍ يُحَلُّ"<sup>(2)</sup>، و قيل: "الوَلِيَّةُ: البرذعة و الجمع ولايا... و قيل: الوَلِيَّةُ: التي تحت البرذعة، و قيل: كلّ ما وُلِيَ الظهر من كساء أو غيره فهو وَلِيَّةٌ"<sup>(3)</sup>، فالملاحظ أنّ جميع هذه المعاني لا تتفق مع ما يرمي إليه الكاتب، و الأمر الآخر أنّ القارئ قد يتوهّم أنّ كلمة "وَلِيَّةٌ" تأتيث لكلمة "وَلِيٌّ" و هذا مُستبعد أيضا لأنّ "الوَلِيّ: المتوَلَّى لأُمور العالم و الخلائق القائم بها... و الوَلِيّ: الصديق و النصير،... و الوَلِيّ: ضد العدو"<sup>(4)</sup>، فليس في هذا المقام ما يدل على ذلك.

بالإضافة إلى ذلك نجد تكرارا لكلمة (غلبا) في قوله: "...وقدم ضراغمة غُلبًا، أوطنها غابات غُلبًا و زاد عنها أشاوس غلبًا،..."، فقد يظن القارئ أنّها تكررت بنفس المعنى، لكن السياق يوحي بغير ذلك، فكلمة (غُلبًا) الأولى وصف لشكل الضراغم (الأسود) التي تقدّمها هذا الأسد، إذ يُقال: "أسد أغلب إذا كان غليظ الرقبة"<sup>(1)</sup>، و هذا دليل على كبر حجم تلك الأسود فما بالك بقائدها؟! أما (غُلبًا) الثانية فهي تبيان لحال تلك الغابات، فقد ورد في (لسان العرب): "حديقة غُلباء أي عظيمة متكاثفة ملتقّة"<sup>(2)</sup>، و أمّا (غلبا) الثالثة فيمكن ضبطها بالحركات على النحو الآتي: (غُلبًا)، و ذلك لأنّ معنى (الأسُوس): "الجريء على القتال، الشديد"<sup>(3)</sup>، فكان هذا المعنى مناسباً لكلمة (غُلبًا) التي تدلّ على كثرة الغُلبَة<sup>(4)</sup>.

من خلال ما سبق تتأكد أهميّة السياق في معرفة المعنى المناسب لللفظ، إذ كان اعتمادنا في الوصول إلى معنى كلمة (غلبا)، مستندا إلى ما جاورها من كلمات داخل التركيب الجملي.

و لما كانت المقالة الثانية امتدادا للمقالة الأولى من حيث الموضوع أي (المملكة الأردنية)، فقد اكتفى الكاتب بتناص واحد مع حديث شريف في قوله: "ويل للعرب، من حبل قد اضطرب، و شرّ قد حلّ و

(2) ابن منظور: لسان العرب، م15. ص415.

(3) المرجع السابق، م15. ص411.

(4) المرجع السابق، م15. ص406-411.

(1) المرجع السابق، م1. ص467.

(2) المرجع السابق، م1. ص652.

(3) المرجع السابق، م6. ص116.

(4) المرجع السابق، م1. ص251.

لا أقول قد اقترب"؛ فقد ورد في صحيح البخاري قوله: "حدثنا مالك بن إسماعيل: حدثنا ابن عيينة: أنه سمع الزهري، عن عروة، عن زينب بنت أم سلمة، عن أم حبيبة، عن زينب بنت جحش رضي الله عنهن أنها قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمراً وجهه يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه). وعقد سفيان تسعين أو مائة، قيل: أهلك وفيما الصالحون؟ قال: (نعم، إذا كثرت الخبث)"<sup>(5)</sup>؛ وكأني بالإبراهيمي يحذر الأمة العربية من خروج أمثال هذا الملك إلى الوجود و تكاثرهم في البلدان العربية، فيُفعل بالشعوب بعد هذا الخروج، ما يَفْعَله يأجوج و مأجوج.

كما اشتملت بداية هذه المقالة على سلسلة من التعبيرات استعمل فيها الكاتب بعض الألوان كرموز للدلالة على أشياء لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى ما يحيط بها من كلمات و تراكيب، فيقول: "جنت على الأصفر ناره، و على الأبيض ديناره، و على الأسود فدامته و اغتراره، و على العربي ركه البطي و لسانه النبطي"؛ ونرى أنه ربما قصد الإبراهيمي ب(الأصفر) الروم، و (الأبيض) الفرس، و (الأصفر) الحبشة و غيرهم من ذوي البشرة السوداء، و يعضد هذا التأويل ما ورد في معجم (لسان العرب) حيث يشير (الأبيض) إلى "ملك فارس، و إنما يقال لفارس الأبيض لبياض ألوانهم"<sup>(1)</sup>، أما (الأصفر) فيشير إلى "الروم، و قيل ملوك الروم"<sup>(2)</sup>؛ فضلا عن ذلك نجد قبل هذه العبارة ما يرجح المعنى الذي ذهبنا إليه، إذ يقول الكاتب: "قسم الويل على العميم و الخويل. فويل للعرب من ملوكهم، و ويل للعجم من سلوكهم، و ويل للروم من صعلوكم"، حيث يمثل هذا القول إجمالاً لتفصيل يأتي بعده و هو قوله: "جنت على الأصفر ناره، و على الأبيض ديناره، و على الأسود فدامته و اغتراره، و على العربي ركه البطي و لسانه النبطي"، فقد بيّن الإبراهيمي أسباب هذا الويل الذي وقع على الروم و المتمثل في (النار)، و هي ترمز في هذا المقام إلى قوة السلاح التي نشر بها الروم أو (الدول الغاصبة) نفوذهم في بعض المناطق العربية و غير العربية مما جعل الشعوب تثور ضدّهم و تطالب بحرياتها و استقلالها خاصة بعد الحرب العالمية الثانية؛ أما الأبيض (الفرس أو مُلك فارس) و المتمثلة اليوم في (دولة إيران)، فقد جنى عليه (ديناره) و الذي نراه يرمز هنا إلى البترول أو الثروة النفطية التي تساهم بأكثر من 90% من القيمة الكلية لصادرات إيران، الأمر الذي جعلها محل أطماع العديد من الدول في مقدمتها بريطانيا و الاتحاد السوفياتي (سابقاً) اللتان قامتا بغزو إيران عام 1941م و من ثم سيطرت بريطانيا على صناعة النفط في المنطقة؛ و أما الأسود (الخبشة أو ما

(5) أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفتن. ج9. ص60.

(1) ابن منظور: لسان العرب، م7. ص125.

(2) المرجع السابق، م3. ص386.

## الفصل الثالث: التناس و المقامية في 'سجع الكهان'

يعرف بإثيوبيا حالياً) فقد جنت عليه "فدامته و اغتراره"، و ربّما كان الموصوف هنا هو الإمبراطور "نافاري" الذي اعتلى العرش ولقب نفسه "هيلا سيلاسي الأول" على إثر وفاة الإمبراطورة "زوديتو" في عام 1930م، وسار "هيلا سيلاسي" على النهج السياسي للإمبراطور "مينليك الثاني"<sup>(3)</sup>، و وضع سنة 1931م أول دستور مكتوب؛ لكن اغترار "هيلا سيلاسي" بما فعله الإمبراطور "مينليك الثاني" جعله يستهين بالجيوش الإيطالية التي شرعت بتوسيع مستعمراتها في القارة الإفريقية، إلى أن قامت بغزو إثيوبيا عام 1935م، فدخلت أديس أبابا سنة 1936م، فهرب الإمبراطور "هيلاسيلاسي" ناجياً بنفسه إلى السودان ثم بريطانيا.

ثم يحتتم الكاتب عبارته ببيان أسباب الويل الذي وقع على العرب، إذ جنى عليه "ركبه البطي و لسانه النبطي"، و ربّما كان المقصود هو تخلفهم عن مسايرة التطور الذي شهدته الدول الغربية في جميع المجالات، مما جعل هذه الأخيرة تقوم باحتلال العديد من الدول العربية بدعوى نشر الوعي و التقدم و تحسين مستوى المعيشة؛ أمّا المراد من قوله "لسانه النبطي"، فيحتمل أن تكون هذه إشارة من الإبراهيمي إلى عاصمة النبطيين في القديم و هي (البتراء) أو ما يُعرف حالياً بالمملكة الأردنية الهاشمية، فقد كان ملك هذه الأخيرة عبداً للعرب لا عبداً لله كما يدل على ذلك اسمه، و ليس ذلك افتراءً عليه و إنّما هي حقائق تَبَّأنا بها التاريخ، وخير شاهد على ما نقول موقفه من القضية الفلسطينية و موقفه من الصراع العربي ضد العدو الإسرائيلي؛ أفلا يكون مثلاً هذا الملك "غراب بيّن و جالب حَيّن" كما قال الكاتب؟

و قد يزيد من صحة هذا التأويل أيضاً، أنّ كلاً من الأصفر(الروم)، و الأبيض(الفرس)، و الأسود(الحبشة)، كانوا يشكّلون إمبراطوريات بسطت نفوذها على أرجاء واسعة من العالم؛ أي أنّ الكاتب جمع بين ألوان ثلاثة تشترك في كونها تعبّر عن شيء واحد وهو (الإمبراطورية) مشيراً بعد ذلك إلى كيفية سقوطها.

و بالانتقال إلى المقالة الثالثة نجد قوله: "و لم تغن النذر و المثلات و التجارب... فهو تناس مع قوله عزّ و جل: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ

(3) مينليك الثاني: اعتلى العرش عام 1889م وعاد لتوحيد الإمبراطورية الإثيوبية، وذلك بالسيطرة على الممالك الصغيرة.

وفي عام 1896م حقّق الإمبراطور مينليك الثاني انتصاراً ساحقاً على الجيش الإيطالي وذلك في المعركة التي دارت بين الطرفين في "أدوا" حيث كان الجيش الإيطالي يسيطر على جزء من الأراضي الإثيوبية. و كان من نتائج هذه المعركة أنها أكسبت الإمبراطور المنتصر الكثير من الاحترام من قبل شعب بلاده. كما أنّها ساعدت على توسيع سيطرته على باقي البلاد.

ومن الجدير بالذكر أنه في عهد الإمبراطور مينليك الثاني، استطاعت إثيوبيا التوسع بضم الممالك الصغيرة، ونتج عن ذلك أن زادت رقعة البلاد من ناحية الجنوب والشرق. واستطاع مينليك الثاني أن يجعل من أديس أبابا عاصمةً للبلاد، وبدأ العمل في بناء خط للسكة الحديدية ربط بين أديس أبابا وجيبوتي و فضلاً على ذلك، أسّس الإمبراطور أول المدارس الحديثة والمستشفيات في دولة إثيوبيا. / الموسوعة العربية العالمية، نسخة إلكترونية. 2004.

عَلَى ظَلَمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) [سورة: الرعد - الآية: 6]، و قوله أيضا عزّ وجل في سورة القمر: (حِكْمَةٌ بِالْعِزَّةِ فَمَا تُغْنِي التَّنْذِرَ) [سورة: القمر - الآية: 5]، كما نجد تناسلا آخر مع قوله تعالى (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) [سورة: المؤمنون - الآية: 44]، و ذلك حين قال الكاتب: " جاءتكم النذر تترى..."، بالإضافة إلى ذلك نجد في نفس المقالة تناسلا آخر في قوله: "فيا أرض ابلعي زيتك، و أحي ميتك،..." وهو تناسل مع قوله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [سورة: هود - الآية: 44]؛ و أما قوله: "أيها العرب: أطعمتم الكبراء فأضلوكم..." فيستدعي من محفوظنا قوله جلّ جلاله: ( وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا) [سورة: الأحزاب - الآية: 67].

و قد كان للسياق في هذه المقالة دور هام في فهم دلالة بعض المفردات من ذلك قوله: "إن غضبة العاجز لا تُبكي و لا تُنكي، تشتعل في الحنايا و لا تهدم الحنايا، تحرق صاحبها و لا تحرق الناس، و تلك هي غضبتكم حين تغضبون"؛ فقارئ هذه العبارة يلاحظ تكرار كلمة "الحنايا" مرتين، مما يسمح لنا بالقول إن لكل واحدة منهما معنىً مختلفاً عن الآخر، فلو أراد الكاتب التعبير عن معنىً واحداً لقال مثلاً: "تشتعل في الحنايا و لا تهدمها" أي بإضافة الضمير "ها" الذي يعود على "الحنايا"، لذلك نرى أن الإبراهيمي قصد بـ"الحنايا" الأولى "القوس"<sup>(1)</sup> الذي تُرمى به السهام، و هو هنا في هذا المقام يرمز إلى السلاح بصفة عامة، أما "الحنايا" الثانية فاستعملها الكاتب للدلالة على "الحانوت"<sup>(2)</sup>، و تجدر الإشارة هنا أن العرب كانت تسمي بيوت الحمارين "الحوانيت"، لنخلص بذلك إلى أنّ معنى هذه العبارة أنّ غضبة العرب لا تأمر بمعروف و لا تنهى عن منكر، بل إنّها قد تؤذي صاحبها و لا تصيب أهدافها لأنّه لم يحسن استخدامها. ويرى الكاتب أنّه لو تسنى للعرب تجسيد غضبهم فإنّه لا يُنتظر منهم الخير الكثير، فمَثَلُ هذه الغضبة كمَثَلِ سحابة كثيرة البرق. عديمة القطر؛. و. هذا معنى قوله: "و. لو افتتت. كلّ بارقة منكم عن صاعقة لما حمد شائموها\* القطر".

كما أنّ إحاطة الإبراهيمي بكثير من الأحداث التاريخية حوّلت الإشارة إلى بعض منها بحسب ما يقتضيه المقام من ذلك قوله: "فيا أرض ابلعي زيتك، و أحي ميتك، و إلّا حرّب (أبرهة) الغرب بيت الله و بيتك"؛ فقد أجاد الكاتب في توظيف حادثة محاولة تحطيم "أبرهة الأشرم" للكعبة المشرفة، إذ ألبس أبرهة

(1) ابن منظور: لسان العرب، م14. ص203.

(2) المرجع السابق، م14. ص204.

\* شائموها: شام السحاب و البرق شيما: نظر إليه أنّ يقصد و أين بمطر/ المصدر السابق، م12. ص330.

## الفصل الثالث: التناص و المقامية في 'سجع الكهان'

ثوب الغرب، و أخذ يحذّر العرب حُكّاما و شعوبا من أفعاله؛ فمقام التحذير في هذه الفقرة دفع الكاتب إلى استدعاء هذه الحادثة مبينا أنّ "أبرهة الغرب" لن يكتفي هذه المرّة بتخريب بيت الله و إنّما سيخرب كل بيت اشتّم فيه رائحة الزيت (البترو)، و هو ما عليه حال العراق اليوم؛ فهل من مجيب لنداء الإبراهيمي؟ أم سيكتفي العرب بالقول: "للكعبة ربّ يحميها"؟!

أمّا في المقالة الرابعة و المقالة التي تليها، فقد نقلنا الإبراهيمي بأسلوبه الجزل في رحلة إلى تاريخ اليمن و حضارتها القديمة، معرّفا بمُدُنّها و أمرائها، مادحا للأسلاف، و منتقدا للأخلاف. و من بين المدن التي تحدّث عنها مدينة (سبأ) التي ورد ذكر سورة باسمها في القرآن الكريم، لذلك نجد العديد من العبارات التي يتناص فيها الكاتب مع هذه السورة، بالإضافة إلى سورة النمل التي تضمنت قصة "بلييس" ملكة (سبأ) آنذاك، و ذلك في قوله: "سل سبأ، هل جاءها النّبأ،..." فهو تناص مع قوله تعالى (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حُطِّ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ) [سورة: النمل - الآية: 22]، و كذلك قوله: "هذه آثار أسلافكم مجفّوة و هذه قدورهم الراسيات مكفّوة"، تناص مع قوله عزّ و جل: (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَنَمَائِيلٍ وَجِحْفَانٍ كَالْجُؤَابِ وَفُؤَادٍ رِاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ) [سورة: سبأ - الآية: 13]، و أمّا قوله: "فإن أصحابها إصاححة الناشد، فقل: دهمكم السيل فلکم الويل" و قوله في المقالة الخامسة: "و يا سبأ، هل كنت من السيل العرم على ميعاد؟... أين الجنتان عن يمين و شمال؟ و أين البلدة الطيبة؟ إنّها اليوم رمال؛ و أين القرى الظاهرة و العمارة المتكاثرة؟ إنّها اليوم قفار؛ و أين تقدير السير بالأميال، لتسيير الاتصال؟ إنّها اليوم مجاهل، يضلّ فيها القطا، و يقطع فيها من المطايا المطا. أجدبت الحمط و الأثل، فضلا عن الكرم و النخل".

فهو تناص في مجمله مع قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ # فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ) [سورة: سبأ - الآية: 15 - 16]، و قوله عزّ و جل: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لَيْالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ) [سورة: سبأ - الآية: 18]؛ ويستمر التناص مع آي هذه السورة حين يقول: "أعرض أسلافكم عن هدى الله فباعد بين أسفارهم، و جعلهم أحاديث، و مرّتهم كل ممزق." فهو تناص مع قوله تعالى: (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [سورة: سبأ - الآية: 19].

ونظرا لغياب الحركات التي تزيل العُجْمَة عن معاني الكلمات، فقد كان لزاما العودة إلى السياق لضبط هذه الكلمات تارة و استنباط معناها الدقيق تارة أخرى، و كمثال على ذلك قوله في المقالة الرابعة: "

## الفصل الثالث: التناص و المقامية في 'سجع الكهان'

و أمّا صنعا، فما أحسن بُنُوها صنعا، قد أصبحت خرقاء، و عطّلت من طوقِ الورقاء، و عَقَمَتْ  
أَنْ تَتَمَخَّضَ عَنِ الْمَعِيَّةِ (زرقاء)، ما حَاكَتْ فِي عَبْقَرِيٍّ الْأَزْمِنَةِ و لا وَشَتْ، و طَارَ النَّاسُ فَمَا حَبَّتْ و لا  
مَشَتْ". و قد فرض تصورنا لمعنى هذه العبارة ضبطها بالحركات السابقة، حيث نرى أن الكاتب يصف  
الحال التي آلت إليها "صنعا"، إذ ساد فيها الجهل و عمّ الحمق، و مثل لذلك بفقد الحمامة لطوقها و فقد  
زرقاء اليمامة لألمعيتها بعد أن كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام كما تقول الأسطورة.

و يؤيد هذا التأويل ما ورد في معجم (لسان العرب) حيث وجدنا أن "الأورق من كلّ شيء: ما كان لونه  
لون الرماد"<sup>(1)</sup>، و قيل "للحمامة و الذئبة ورقاء"<sup>(2)</sup>، لكننا رجّحنا "الحمامة" في هذا السياق لورود كلمة  
"طوق"، ليكون المراد بذلك "الحمامة المطوقة"؛ أمّا قوله: "عطّلت" فقد جاء في لسان العرب: "العطل:  
فقدان الحلي"<sup>(1)</sup>. و ربّما سأل سائل عن علاقة "زرقاء اليمامة" بـ"الحمامة المطوقة"، و الجواب أنّ  
لتسميتها بهذا الاسم - زرقاء اليمامة - قصة معروفة هي أنّه مر بها سرب حمام سريع فأبعته نظرها وعدّته  
واحدة واحدة فأحصته تسعا وتسعين حمامة، ولما جاؤوا الثمد - وهو موضع الماء الذي ورده الحمام - عدّوه  
فوجدوه كما زعمت. و تجدر الإشارة إلى أنّ هذا النوع من الحمام يكثر في المناطق الحارة و المدارية، و هو  
المناخ الذي تتميز به اليمن<sup>(2)</sup>.

و بذلك يتّضح لنا أنّ السجع الإبراهيمي ليس مجرد سجع يعتمد على رصف كلمات و تراكيب  
منتهية بحرف واحد، و إنّما هو تعبير فنيّ مقصود.

كما ذكر الكاتب في هذه المقالة أسماء بعض القبائل التي كانت سائدة في اليمن منذ القدم كـ"يافع، و  
ظفار، و غامد،... إلخ" مشيرا أيضا إلى أمرائها و ملوكها في ذلك الوقت، مستشهدا في الآن نفسه بما  
حدث لقوم عاد و ثمود فيقول: "أما اليمانون فلهم من الإسلام محجة، و عليهم من زمانهم ألف حجة، فهم  
كثمود، حين لاح لهم من البرهان عمود، فضلوا؛ أو كقوم هود، حين أخذت عليهم العهود فزلّوا".  
لكن لماذا لم يستشهد الإبراهيمي بغير هؤلاء من الذين وردت قصّتهم في القرآن الكريم كقوم لوط، أو  
أهل مدين، و غيرهم؟

تذكر كتب التاريخ الأدبي أنّ قوم (عاد) كانوا يسكنون اليمن، و أنّ ديار (ثمود) كانت غير بعيدة  
عن ديار (عاد)، بل إنّه قد "عُثر على نقوش ثمودية في اليمن، و يدلّ وجود هذه الكتابات هناك على

(1) ابن منظور: لسان العرب، م10. ص377.

(2) المرجع السابق، م10. ص386.

(1) المرجع السابق، م11. ص454.

(2) يقع اليمن بين خط الاستواء ومدار السرطان، يتميز هذا الموقع بارتفاع الحرارة صيفاً وانخفاضها شتاءً.

وجود صلات بين اليمن و ثمود، و لعلّهم كانوا يقيمون في اليمن كذلك"<sup>(3)</sup>؛ و بما أنّ الكاتب بصدّد الحديث عن تاريخ اليمن و ما آلت إليه، فقد استدعى المقام ذكر هؤلاء القوم دون غيرهم.

كما يخاطب الإبراهيمي قوم (عاد) في المقالة الخامسة قائلاً: "يا عاد أودى درم فما عاد،..."، و معنى قوله: "أودى درم" مثل يُضرب لكلّ من فُقد، و "(درم) رجل في عاد غاب و لم يرجع، و (أودى): هلك"<sup>(4)</sup>؛ و نلاحظ هنا أنّ الكاتب قد أحسن اختيار المثل في هذا المقام، فهو يذكّر شعب اليمن بقوم (عاد) -بما أنّهم من سكان اليمن القدامى- و ما حدث لهم تارة، ويشير إلى الخيرات التي كان ينعم بها الأسلاف و احتفت في زمن الأخلاف تارة أخرى، فكان هذا المثل خير ما يُعبّر به عن المقال في هذا المقام. ثم يتحدّث الكاتب في مقالته السادسة عن قضية فلسطين، مبيناً أنّها ضاعت بتخاذل العرب و افتراقهم، و منبّها إلى أنّ للغرب ثار في فلسطين فيقول: "ثار للغرب في فلسطين، لم تنبت عليه شجرة من يقطين، و شياطين تنزو للغراء إثر شياطين..."، و هنا نجد تناصاً مع قوله تعالى في سورة الصافات: ( وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ) [سورة: الصافات - الآية: 146]، كما لفت انتباهنا في هذه المقالة قوله: "جاء وكم على قلب رجل واحد، و جئتموهم بقلوب متنافرة..."، فقد استدعت عبارة "...على قلب رجل واحد...". قوله صلى الله عليه و سلم فيما روى عن الله تبارك و تعالى أنّه قال [يا عبادي! إني حرّمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا. يا عبادي! كلّمكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي! كلّمكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي! كلّمكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني. أكسكم. يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل و بالنهار، و أنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً... {<sup>(1)</sup>.

أما قوله: "...و أن من لم تبسط يدك لتقتله بسط يده لقتلك،..."، فهو تناص يذكّرنا بقصة (قاييل) و (هابيل) و ما دار بينهما من حديث قبل أن يُقدّم (قاييل) على قتل أخيه (هابيل)، قال تعالى حكاية عن (هابيل): (لَعْنٌ بَسَطَتْ إِيَّيْكَ يَدُكَ لِسَفْئَلِي مَّا أَدْنَا بِبَاسِطِ يَدَيْهِ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِيَّيْ أَخَافُ. اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [سورة: المائدة - الآية: 28].

(3) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1. ص329.

(4) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص530.

(1) محمد المدني: الاتحافات السنّية في الأحاديث القدسية، دار الجليل، بيروت، د.ت. ص294-295.

## الفصل الثالث: التناسل و المقامية في 'سجع الكهان'

كما كان للسياق في هذه المقالة أثر في الإشارة إلى بعض الأبيات و الأحداث دون غيرها، إذ أنّ المقام هنا مقام حديث عن تخاذل العرب و تخلفهم عن نصرة فلسطين، لذلك رأى الكاتب ضرورة لفت انتباههم إلى ما يوظفهم من سبائهم، و ينزع عنهم قيود الذلّ من أعناقهم، فكانت أبيات زهير بن أبي سلمى في آخر معلقته، و هي أبيات قيل عنها أنّها تشبه كلام الأنبياء، كما أنّها من أعمق شعره وأشدّه تأثيراً في النفس يقول<sup>(2)</sup>:

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ      يُضَرَّسَ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأَ بِمَنْسِمٍ  
وَ مَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرَضِهِ      يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمُ  
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَسْخَلُ بِفَضْلِهِ      عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعَنَ عَنْهُ وَيُذَمُّ  
وَمَنْ يُوْفِ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يُفْضِ قَلْبُهُ      إِلَى مُطْمَئِنِّ الرِّبِّ لَا يَتَّجَمِّمُ  
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمُنِيَّةِ يَلْقَاهَا      وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ  
و من يجعل المعروف في غير أهله      يكن حمده ذمّا عليه و يندم  
وَ مَنْ لَا يَذُدُّ عَن حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ      يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ  
وَ مَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ      وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ  
وَ مَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ      وَإِنْ خَالَهَا تُخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

يكاد يجزم القارئ أنّ المقصود من هذه الأبيات، في هذا المقام، هو البيت السابع بالتحديد في قوله:

وَ مَنْ لَا يَذُدُّ عَن حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ      يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ

ذلك أنّ ضياع فلسطين وقع عندما أمعن العرب في الرقاد، و أمعن اليهود في الاستعداد، فقادهم اليهود - إلى الظفر قائد واحد ورأي جميع، و قاد العرب إلى العار قوآد متشاكسون و رأي شتيت، بل إنّ الإبراهيمي يُقسم أنّها ضاعت قبل ذلك بقرون فيقول: "تالله ما ضاعت فلسطين اليوم، و لكنها ضاعت يوم وُعدوا بها، فركنوا إلى العمل، و ركنتم إلى الكلام، بل ضاعت قبل ذلك بقرون، منذ نبت قرن صهيون، فتماريتم بالندر، و لم تأخذوا الحذر" <sup>(1)</sup>.

و من الأحداث التي رأى الكاتب ضرورة الإشارة إليها في هذا المقام، موقعة (حطين) - قرية بفلسطين المحتلة حالياً، تقع إلى الغرب من بحيرة طبرية - سنة ١٠٩٩م، بين المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي والصليبيين؛ و اختار الكاتب هذه المعركة كونها أهمّ المعارك الحاسمة في الحروب الصليبية كلّها، لأنّها مهّدت الطريق لاسترداد بيت المقدس وسقوط المملكة اللاتينية الصليبية بالشام، والقضاء على مطامع

(2) مفيد قميحة: شرح المعلقات السبع، دار و مكتبة الهلال، بيروت، 2000. ص141-150.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص533.

## الفصل الثالث: التناس و المقامية في 'سجع الكهّان'

الفرنج الاستعمارية في المشرق؛ كما أنّه أراد أن ينبّه العرب إلى أنّ الغرب لم و لن ينسوا ذلك اليوم، و أنّهم عازمون على الأخذ بثأرهم، فاجتمعوا فظفروا، وافترق العرب وخسروا، و ما احتلال فلسطين أمس، ثم العراق اليوم، و إثارة الفتن في السودان إلا أكبر دليل على ما يطمحون إليه.

أما آخر هذه المقالات فقد جعلها الإبراهيمي عن الشعب الليبي و قاداته في ذلك الوقت، داعياً إياهم إلى الاتحاد و نبذ الخلاف، و عدم الاغترار بالوعود الخالبة من الدول الغالبة، فيقول: "أي جيران الشمال، و معاهد الآمال، أعيدكم بالعروبة و هي الأمّ، و بالوطن و هو همّ و الأمّ، و بعمر، حادي الزمر، عمر الشهيد، و ما عهدته بالعهد، و بما أرقتم من دموع و دماء، لم يبق منها إلا الدماء، و بالإسلام - و هو الدّمام- أن تختلفوا في الحق، فترضوا بالشقّ، أو توسعوا الشقّ، فتقعوا جميعاً في الرقّ؛ و أعيدكم أن تغتروا بالوعود الخالبة من الدول الغالبة، فإنما ذلك إبساس من الأيدي الخالبة، و أعيدكم أن تُنكروا التقسيم و أنتم منقسمون، و أعيدكم أن يكون غرب النيل كشرق الأردن... و أعيدكم أن ترضوا بالخفض، و لا تقبلوا (الضم)، إن الضم علامة (البناء)، و آية (استقرار) البناء، فاجهدوا في إثبات الضم و خلاكم دم. إنّ هؤلاء الأقوياء كلما عجزوا عن قيادة الجمع قادوهم بواحد... فاحذروا ذلك الواحد، و إن الجانب الغربي لكم عدوّ، فاتخذوه عدوّاً، و احذروه رواحاً و غدوّاً، و احذروه قلماً و هدوّاً".

إنّ الباحث عن التناس في هذه المقالة سيجد ضالته في آخر هذا المقطع عند قول الكاتب: "و إنّ الجانب الغربي لكم عدوّ، فاتخذوه عدوّاً"، فهنا نلمس تناساً مع قوله تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) [سورة: فاطر - الآية: 6]. و هو تناس يحمل في طياته دلالة مفادها أنّ الغرب كمثل الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم، لذلك و جب الحذر منه في جميع الحالات، و أن لا نأمنه في كلّ الأوقات.

كما أنّ القارئ لهذا المقطع قد يلتبس عليه معنى بعض المفردات إذا لم يتأمل السياق الذي وُضعت فيه، كقوله: "أعيدكم بالعروبة و هي الأمّ، و بالوطن و هو همّ و الأمّ"، فالملاحظ تكرار لفظ (الأمّ) مرتين؛ و نرى أنّ لكلّ منهما دلالة محدّدة، فقد ورد في لسان العرب: "الأمّ: كالأُمَّة... و أمّ الشيء: أصله"<sup>(1)</sup>، و "الأمّ: بالفتح: القصد... و الأمّ: العلم الذي يتبعه الجيش"<sup>(2)</sup>، قال ابن دريد: "كلّ شيء انضمت إليه أشياء فهو أمّ لها، و أمّ القوم: رئيسهم"<sup>(3)</sup>، و قال ابن شميل: "الأمّ لكلّ شيء هو المجمعّ و المضمّ"<sup>(4)</sup>.

لكن أيّ هذه المدلولات قصد الإبراهيمي؟

(1) ابن منظور: لسان العرب، م12. ص 27 - 28.

(2) المرجع السابق، م12. ص 22 - 24.

(3) المرجع السابق، م12. ص 31.

(4) المرجع السابق، م12. ص 33.

إنّ العودة إلى السياق في هذه الحالة هي الطريقة الوحيدة التي تكفل لنا معرفة المعنى المناسب لكلّ لفظة؛ و هنا، في هذه العبارة، نجد أنّ المقصود بـ(الأُمّ) الأولى (الأصل)، أي أنّ العروبة هي أصل كلّ من ينتمي إلى هذا الشمال الإفريقي، أمّا من يزعم غير ذلك بحُكم البربرية و بقايا الآرية التي كانت منتشرة فيه، فقد قضت عليها العروبة بقوّتها و روحانيتها و أدبها و سموّ خصائصها و امتداد عروقها، و فعل الزمن فعله حتى نسيّ الناس و نسيّ التاريخ أنّ في هذا الشمال جنسا غير عربي<sup>(5)</sup>.

أمّا (الأُمّ) الثانية فيقصد به (المجمّع و. المضمّم)، فالوطن هو الجمع و. المضمّم لكلّ أبنائه مهما كانت خلافتهم و طبائعهم.

و من الأمثلة الأخرى التي تدلّ على تحكّم السياق في دلالة بعض المفردات قوله: "...و بعمر، حادي الزمر، عمر الشهيد، و ما عهده بالعهد، و بما أرقتم من دموع و دماء، لم يبق منها إلا الدّماء، و بالإسلام - و هو الدّماء- أن تختلفوا في الحق، فترضوا بالشقّ، أو توسعوا الشقّ، فتقعوا جميعا في الرقّ".

إنّ المقصود بـ(عمر) هنا، هو (عمر المختار)، ذلك أنّ المقام- كما أشرنا في البداية- هو مقام الحديث عن ما يُعرف اليوم بـ(الجماهيرية الليبية)، حيث أنّ الكاتب قد ذكر أسماء مدينتين تقع إحداهما في الجنوبي الغربي و تسمّى (فزان)، و تقع الأخرى في القسم الشرقي من البلاد و تسمّى (بَرْقَة)، هذه الأخيرة وُلد بها (عمر المختار) الذي يعدّ من أشهر مجاهدي طرابلس الغرب (ليبيا) في حركتهم ضد الاحتلال الإيطالي، ولم يتمكن الإيطاليون منه إلاّ عام 1350هـ-1931م، عندما أسروه، وحاكموه، ثم أعدموه، بعد أن سطرّ صفحة بيضاء رائعة في تاريخ الجهاد الإسلامي والكفاح الوطني ضد الاحتلال.

و أمّا في قوله: "...أن تختلفوا في الحق، فترضوا بالشقّ، أو توسعوا الشقّ..."، فنلاحظ تكرار كلمة (الشقّ) مرتين لكن بمعنيين مختلفين؛ فالأولى بكسر الشين، و هي بمعنى "نصف الشيء"<sup>(1)</sup>، و يدلّ على ذلك ما ورد قبلها في التركيب الجملي، فالكاتب يعيد الشعب الليبي من أن يختلفوا في الحق- و هو هنا حقّ الاستقلال- فيؤدي ذلك بهم إلى القبول بنصفه دون أخذه كاملا؛ أمّا الثانية فهي بفتح الشين (الشقّ)، أي بمعنى "الصدع البائن، و قيل غير البائن، و قيل هو الصدع عامة"<sup>(2)</sup>، إذ أنّ الاختلاف و تقديم المصالح الشخصية على المصلحة العامة يؤدي إلى اتّساع الهوة بين الشعوب و حكامهم من ناحية، و فيما

(5) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3. ص428.

(1) ابن منظور: لسان العرب، م10. ص182.

(2) المرجع السابق، م10. ص181.

## الفصل الثالث: التناس و المقامية في 'سجع الكهّان'

بين الشعوب من ناحية أخرى؛ و قد أشارت بعض المراجع التاريخية إلى أنّ السنوسي\* أراد أن يشكّل حكومة سنوسية وراثية متحالفة مع بريطانيا في مدينة (برقة)، فبدأ يتصل ببريطانيا لتطبيق آرائه السياسية هذه، فأرسل رئيس ديوانه عام 1948م لمناقشة موضوع استقلال برقة، وفي خطاب عام أمام أعضاء المؤتمر البرقاوي العام في مدينة بنغازي عام 1949م، أعلن السنوسي رسمياً قيام الدولة السنوسية في برقة، وكانت بريطانيا أول دولة اعترفت بهذا الاستقلال وبالحكومة السنوسية.

لكنّ الشعب الليبي و العديد من الدول والجمعيات والهيئات الغربية رفضوا أسلوب تجزئة الكيان الليبي، وعمّت المظاهرات الأرض الليبية ضد هذا المشروع وطالب الجميع بالوحدة الليبية ضمن دولة ليبية وطنية مستقلة.

يتّضح بعد ذلك غرض الكاتب من هذا التحذير و النهي عن الانقسام و الفرقة، فهو لا يريد أن يكون "غرب النيل كشرق الأردن"، أي أن لا تكون ليبيا(الواقعة غرب نهر النيل) كالأردن (الواقعة شرق نهر الأردن)، و هو بهذا الصنيع يحيلنا إلى المقالة الأولى التي تحدّث فيها الكاتب عن الأردن و ملكها، فعدت هذه السلسلة محكمة النسيج يرتبط أوّلها بآخرها.

---

\* على الرغم من أن عمر المختار طالب بسيادة وطنية على ليبيا المتحدة تحت زعامة إدريس السنوسي، لكن السنوسي عندما تسلم إمارة برقة بعد موافقة بريطانيا وترتيباتها، وافق على أن يحكم برقة حكماً داخلياً مطلقاً، ولم تكن علاقة السنوسي بالقوى الوطنية في برقة وغيرها علاقة طيبة، بل كانت علاقة يخيم عليها الشك والريبة./ الموسوعة العربية العالمية، نسخة إلكترونية. 2004.

## الخاتمة

في ختام هذا الفصل يمكن استخلاص بعض النقاط أهمها:

- وُجد مصطلح (التناص) بصورة واضحة مع الناقدة البلغارية الأصل "جوليا كريستيفا" (J. KRISTEVA) التي كانت تدججه مع كلمة أخرى هي (idéologème) و تعني لديها تلك الوظيفة للتداخل النصي، التي يمكننا قراءتها ماديا على مختلف مستويات بناء كل نص تمتد على طول مساره مانحة إياه معطياته التاريخية و الاجتماعية.
- يشترط في القارئ أن يكون ذا زاد معرفي يؤهله لمعرفة مواطن التناص، و ما إذا كان هذا الأخير عفويا أو مقصودا يرمز به الكاتب إلى دلالات معينة.
- لمعت في الغرب أسماء عديدة احتضنت مصطلح "التناص" مثل جوليا كريستيفا، وجيرار جينيت و رولان بارت، وميشيل أريفي، ولوران جيني، وجان ريكاردو، وميشيل ريفاتير، وغيرهم كثير، و يختلف مفهوم التناص من واحد لآخر، بل إنّ البعض منهم وضع مصطلحات أخرى تقابل مصطلح "التناص" مثلما فعل "جيرار جينيت" (G.Genette) الذي جاء بمصطلح "التعالوي النصي"، و "جاك دريدا" (Jack Dirida) الذي جاء بمصطلح التكرارية.
- اختلف دلالة مصطلح (intertextualité) عند النقاد العرب باختلاف المترجم و خلفيته المعرفية و فهمه للمصطلح، فبعضهم يترجمه بـ"التناص"، و البعض الآخر بـ"التناصية"، و فريق ثالث "النصوصية"، و هناك من يسميه "تداخل النصوص"، إلا أنّ الترجمة الأولى "التناص" أكثرهم شيوعا و انتشارا.
- كما وردت في تراثنا العربي، مصطلحات عديدة تقارب مصطلح (التناص)، سواء أكان ذلك في الحقل البلاغي (كالتضمين، والتلميح، والإشارة، والاقْتباس... إلخ)، أو في الميدان النقدي (كالمناقضات، والسرققات، والمعارضات... إلخ)، وكلها تقترب قليلاً أو كثيراً من مفهوم (التناص).
- يتناص الكاتب مع القرآن الكريم في مواطن كثيرة، ثم يليها التناص مع الحديث الشريف، و بدرجة أقل التناص مع الشعر.
- إنّ للسياق أو المقام دورا مهما في معرفة المعنى الدقيق للكلمة أو الجملة، بل إنّ البعض قد أسرف في ذلك ورأى أن خارج السياق لا تتوفر الكلمة على المعنى على حدّ تعبير "مارتيني".
- إنّ الأمثلة كثيرة على أصالة هذا المبدأ الفني في التراث البلاغي العربي، و لعلّ من أبرز ملاحظه تعريفهم للبلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، و قولهم إنّ لكلّ مقام مقال.
- يرى البعض أنّ هناك فروقا بين ما كان يقصده البلاغيون العرب بـ"المقام" و ما يقصده التداوليون في البحث اللغوي الحديث بـ"السياق"، و هذا ما أبداه (تمام حسان)؛ إلا أنّ البعض الآخر يرى عكس ذلك

## الفصل الثالث: التناص و المقامية في 'سجع الكهّان'

إذ لا فرق بين المقام و السياق وهو ما أخذت به في هذه الدراسة، ذلك أنّ كليها يشيران إلى مدلول واحد و لكن بمصطلحين مختلفين، اقتضتتهما طبيعة الثقافة و البيئة و العصر.

- يمكن تقسيم السياق /المقام بصفة عامة إلى قسمين أحدهما "لغوي" و الآخر "غير لغوي"، و يتفرّع عن هذا الأخير أنواع ثلاثة هي: السياق العاطفي أو الانفعالي، و سياق الموقف، و السياق الثقافي.

- يمكن السياق الباحث من معرفة المعنى المراد خاصة إذا كانت الكلمات غير مضبوطة بالحركات التي تساعده على فهمها.

- أشار الكاتب من خلال بعض الكلمات إلى بعض الأحداث و الشخصيات التاريخية مثل (موقعة حطين، بدر بن عمّار، أبرهة الأشرم)، فكان لزاما العودة إلى سياقها التاريخي لمعرفة مدلولاتها في هذه المقالات.

كانت هذه أهمّ النتائج المتوصّل إليها في هذا الفصل، لنصل بعدها إلى الخاتمة العامة و التي سنُجمل بواسطتها ما أمكننا الوصول إليه من خلال هذه الدراسة المتواضعة.

الله

الله

### المقدمة

ليس من المبالغة القول إنّ دراسة الخطاب الإبراهيمي تحتاج إلى فريق عمل يتكوّن من مختصين في مجال فقه اللغة، و البلاغة و النحو، و الثقافة الإسلامية، و الفكر السياسي، و التصوف، و الفلسفة، و التاريخ؛ يعمل كلّ حسب اختصاصه لاكتشاف النسيج الفريد لهذا الخطاب، فالبشير الإبراهيمي قبل أن يكون مفكراً مصلحاً، و سياسياً محنّكاً، كان أديباً شاعراً، و خطيباً مفوّهاً، عالماً فقيهاً في العربية، خبيراً بأسرارها، متضلّعاً في آدابها و فنونها؛ و ليس ذلك بعزيز على رجل ولد في بيت من بيوتات العلم و الدين، عاش بين المشرق و المغرب يمتح من معين الأدباء و العلماء و الشعراء.

و تعدّ مقالات الإبراهيمي التي نشرت في (عيون البصائر) صوراً من إبداعه الأدبي، و سمو بيانه العربي، نحتت كلماتها من لآلئ النثر الفني، و رسمت عباراتها بروائع الذوق الشعري، فهي تضرب بجذورها في أعماق التراث العربي القديم، في الوقت الذي تبسط فيه أغصانها المتعددة على فروع المعرفة الحديثة.

من بين تلك المقالات، ما نُشر في الفترة الممتدة من 28 فيفري 1949 إلى 25 جويلية 1949، وقد وسمها الكاتب بـ"سجع الكهّان"، و قال عنها: "إن لا تكن فيها روح الكاهن ففيها من الكاهن سجعه، و إن لا يجلب في جوانبها صدى الكهانة ففيها من ذلك الصدى رجعه، فيها الزمزمة المفصحة، و التعمية المبصرة، و فيها التقرّيع و التبكيث، و فيها السخرية و التنكيث، و فيها الإشارة اللاحة، و فيها اللفظة الجاحمة، و فيها العسل للأبرار، و ما أقلهم، و فيها اللسع للفقار، و ما أكثرهم. فلعلّها تهزّ من أبناء العروبة جامداً، أو تؤزّ منهم خامداً، فنحني شيئاً من ثمرة النية، و نغيّر أواخر هذه الأسماء المبنية".<sup>(1)</sup>

و في ضوء هذا كلّه كان جديراً بالدارسين أن تكون لهم وقفة بل وقفات متأنية عند هذا الأديب، بوصفه أمير البيان و مفخرة الجزائر عبر الأزمان على حدّ تعبير عبد الملك مرتاض، و هو ما حملني على المشاركة بهذه الدراسة المتواضعة لإبراز سمو الخطاب الإبراهيمي، هذا الأخير -محمد البشير الإبراهيمي- سعى إلى جعل اللغة أداة فاعلة يهدف من خلالها إلى إبلاغ رسالة على نحو ما إلى المتلقي بحيث يمكنه من إدراك تلك الرسالة كما يقصدها و يريدتها في مناسبة معينة؛ الأمر الذي فرض علينا مقارنة (نصية أو نصّانية كما يسمّيها البعض)، تتمثّل مهمّتها في وصف العلاقات الداخلية و الخارجية للأبنية النصّية بمستوياتها المختلفة و المتمثّلة في: المستوى النحوي، و المستوى الدلالي، و المستوى التداولي؛ هذه المستويات نرى أنّها تتجسد في معايير النصّانية التي تحدث عنها (دييوغراند و دريسلار) و هي: السبك (cohesion)، الحبكة (cohérence)، القصص (Intentionnalité)، المقاميّة (Situationalité)، التناس (Intertextualité)، الإخباريّة (Informative)، و الاستحسان (Acceptabilité). لكننا اقتصرنا في هذا البحث على أربعة معايير و هي: السبك، الحبكة، المقامية، و التناس، و ذلك بعدّها أكثر

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997. ص518.

أهمية و أدق تجسيدا للمستويات التي أشرنا إليها؛ كما أننا نرى أنّ هذه المعايير تشتمل في مضمونها على المعايير الباقية و هي: القصد و الإخبارية و الاستحسان.

وإذا كانت "البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص، إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص و تحديد وظائفها المتعددة، [فإننا] نؤثر [في هذه الدراسة] مصطلح علم النص، لأنّ كلمة البلاغة ترتبط حالياً بأشكال أسلوبية خاصة، كما كانت ترتبط بوظائف الاتصال العام ووسائل الإقناع."<sup>(1)</sup> بل "إنّ إحلال مصطلح علم النص محل البلاغة أو وضعه بجوارها بعد تحديدها على الأقل، مؤشر ضروري للتحويل في التاريخ العلمي، و انعطاف نحو أفق منهجي مخالف للمسار القديم، مما تفرضه نظريات العلم و نماذجه، و تدعو إليه بقوة حركة الإبداع في النصوص المنتمية للأجناس المختلفة، و الفكر الذي يدور حولها، و يتمثل كيفية إنتاجها"<sup>(2)</sup>.

لقد بُني هذا البحث على مدخل و ثلاثة فصول، يبدأ كل فصل منها بتمهيد و ينتهي بخاتمة تعرض فيها و من خلالها أهمّ النتائج المتوصل إليها.

أبان المدخل عن نبذة موجزة من حياة الأديب و عوامل نبوغه الأدبي و ذكر لأهم مؤلفاته؛ بالإضافة إلى التطرّق إلى دور الصحافة في تطور النثر الجزائري، و الإشارة إلى الفرق بين المقالة الصحفية و المقالة الأدبية.

أمّا الفصل الأوّل فقد خُصّص للحديث عن "السجع"، حيث تعرّضنا إلى مفهوم السجع كشكل من الأشكال البلاغية، و أقسامه، و الفرق بينه و بين سجع الكهّان، و مكانته في الخطابات الأدبية المعاصرة، ثم بيان مدى تجلّيه بأنواعه في مدوّنة البحث.

و بما أنّ جميع التعريفات تراهن على أنّ النص وحدة متكاملة تشدّها خاصية الترابط، فقد أردنا أن يكون الفصل الثاني بحثاً عن "خاصية الترابط في سجع الكهّان" سواء أكان هذا الترابط من خلال السبك (cohésion) أي الترابط الرصفي القائم على النحو في البنية السطحية، بمعنى التشكيل النحوي للجمل وما يتعلّق بالإحالة والحذف والاستبدال وغيره؛ أو من خلال الحبك (cohérence) وهو حبك عالم النص، أي الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص، و ذلك من خلال الترتيب الزمني أو تعالق العوامل الممكنة، أو الربط المنطقي للأفكار التي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية الخطاب، و غيره مما سنشير إليه في متن البحث. ثم حاولنا الكشف عن هذه المظاهر في مقالات "سجع الكهّان".

و قد تولّى الفصل الثالث الوقوف عند معيارين هاميين من معايير النصّانية وهما "التناس و المقامية في سجع الكهّان"؛ بمعنى البحث عن علاقة نصّ الكاتب بنصوص غيره، بالإضافة إلى كيفية تحكّم المقام

(1) صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992. ص253.

(2) المرجع السابق. ص253.

في دلالات بعض مفردات و تراكييب النص؛ و أشرنا في هذا الفصل إلى نشأة التناص، و مفهومه عند الغرب ثم العرب، كما تطرقنا إلى أنواعه، بالإضافة إلى الحديث عن السياق أو المقام و أقسامه. ثم درسنا بعد ذلك مدى تمظهرهما في المقالات موضوع الدراسة.

أمّا خاتمة البحث فقد كانت معرضا و بجمعا لأهمّ النتائج المتوصل إليها في خواتم الفصول، و ليس معنى ذلك تكرار كلّ ما ورد في تلك الخواتم، و إنّما اقتصرنا على ما رأيناه مفيدا للقارئ و معيناً له إذا ما أعياه التنقل بين الصفحات و حال دون قراءتها ضيق الأوقات.

ولستُ بهذه الدراسة ممن يدّعي استقصاء جميع جوانب الموضوع، فلربّما طرقت بابا و أهملت أبوابا، و ليس ذلك تكاسلا مّيّ و إنّما هي ندرة المراجع و أحصّ التطبيقات منها، و صعوبة فهم الكتب المترجمة التي غالبا ما تكون ترجمة حرفية لا غير. أضف إلى ذلك تعنت بعض المكتبات و صرامة قوانينها.

و إذا كان لا بدّ من الإقرار بالفضل لأهل العقل و من التنويه بذويه، فإنّي أحصّ بالشكر الجزيل أستاذي الفاضل الدكتور علي منصور، الذي كان نعم الموجه و نعم المعين، رغم بعد المسافات و كثرة الانشغالات؛ و الشكر موصول أيضا إلى أساتذتي الأفاضل بقسم اللغة العربية و آدابها بالمركز الجامعي سوق أهراس، و أساتذتي بقسم اللغة العربية و آدابها بجامعة أم البواقي، و جميع أعضاء لجنة المناقشة، و كلّ من ساهم في إنجاز هذا البحث.

## قائمة المصادر و المراجع

### قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم (رواية حفص)

الحديث الشريف:

- أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحيل / باب في الهبة و الشفعة، كتاب الفتن، ج9، دار و مطابع الشعب، القاهرة، د.ت.

- أبو داود: صحيح سنن المصطفى، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

أولاً: المصادر:

أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1-ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

ثانياً: المراجع:

1) إبراهيم (عبد الله): التلقي و السياقات الثقافية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2000.

2) إسماعيل (عز الدين): الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992.

3) ابن أبي الحديد (عزّ الدين عبد الحميد): شرح نهج البلاغة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2004.

4) ابن الأثير (ضياء الدين): المثل السائر، ت: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، ج1، ط1، مكتبة نهضة مصر، القاهرة. 1959.

5) ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، ت: عبد الحميد هندراوي، م1، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003.

6) ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، ت: حامد أحمد الطاهر، ط1، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2004.

7) ابن طباطبا (محمد بن أحمد): عيار الشعر، ت: محمد زغلول سلام، ط3، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.

8) ابن قينة (عمر): صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

9) ابن قينة (عمر): في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

10) الأنصاري (ابن هشام): السيرة النبوية، ج1، دار الفكر، القاهرة، د.ت.

11) الباقلائي (أبو بكر محمد بن الطيب): إعجاز القرآن، ت: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، 1964.

## قائمة المصادر و المراجع

- 12) البقاعي (محمد خير): دراسات في النص و التناسية، مركز الإنماء الحضاري، ط1، حلب، 1998.
- 13) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان و التبيين، ت: درويش جويدي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 2003.
- 14) الجرجاني (عبد القاهر): أسرار البلاغة، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2004.
- 15) الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز في علم المعاني، ت: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، 2002.
- 16) الخفاجي (ابن سنان): سر الفصاحة، ت: النبوي عبد الواحد شعلان، دار قباء، القاهرة، 2003.
- 17) الراجحي (شرف الدين علي): في علم اللغة عند العرب ورأى علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.
- 18) الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
- 19) الزنّاد (الأزهر): نسيج النص، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1993.
- 20) السعران (محمود): علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار الفكر لعربي، القاهرة، د.ت.
- 21) السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد): مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- 22) الشهري (عبد الهادي بن ظافر): استراتيجيات الخطاب، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2004.
- 23) الصباغ (رمضان): في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء، ط1، 1998.
- 24) العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله): كتاب الصناعتين، تح: مفيد قمحة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989.
- 25) العقاد (عباس محمود): فرنسيس باكون، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
- 26) العلوي (يحيى بن حمزة): كتاب الطراز، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- 27) الغدامي (عبد الله): الخطيئة و التكفير (من النبوية إلى التشريعية)، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
- 28) الفقي (صبحي إبراهيم): علم اللغة النصي، ج1-ج2، ط1، دار قباء، القاهرة، 2000.
- 29) القزويني (جلال الدين): الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، ج4، ط3، دار الجليل، بيروت، 1993.
- 30) القزويني (جلال الدين): التلخيص في علوم البلاغة، ت: عبد الرحمن البرقوقي، ط2، دار الفكر العربي، د.ت.

## قائمة المصادر و المراجع

- 31) المدني (محمد): الاتحافات السنّية في الأحاديث القدسية، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- 32) بجري (سعيد حسن): علم لغة النص، ط1، الشركة المصرية العالمية لونجمان و مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997.
- 33) بنيس (محمد): الشعر العربي الحديث بنياته و إبدالاته، ج1، التقليدية، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990.
- 34) بنيس (محمد): الشعر العربي الحديث بنياته و إبدالاته، ج3، الشعر المعاصر، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990.
- 35) بوبعيو (بوجمة) و آخرون: صورة الزعيم في الخطاب الشعري الجزائري الحديث، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د.ت.
- 36) تحريشي (محمد): أدوات النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.
- 37) جمعة (حسين): المسبار في النّقد الأدبي (دراسة في نقد النقد للأدب القديم و التناص)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
- 38) حسان (تمام): مقالات في اللغة و الأدب: ج1، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2006.
- 39) حسان (تمام): اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001.
- 40) حساني (أحمد): مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.
- 41) حسين (طه): جنة الشوك، ط11، دار المعارف، القاهرة. د.ت.
- 42) خطايي (محمد): لسانيات النص، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006.
- 43) خليل (إبراهيم): في اللسانيات و نحو النص، ط1، دار المسيرة، الأردن. 2007.
- 44) خمري (حسين): فضاء المتخيل "مقاربات في الرواية"، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر. 2002.
- 45) داود (محمد محمد): العربية و علم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة، القاهرة. 2001.
- 46) ركيبي (عبد الله): تطور النشر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. 1983.
- 47) شرف (عبد العزيز): أدب المقالة، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997.
- 48) حميداني (حميد): القراءة و توليد الدلالة -تغيير عادتنا في قراءة النص الأدبي-، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب. 2003.
- 49) مرتاض (عبد الملك): نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 - 1954، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.

## قائمة المصادر و المراجع

- 50 عبد المجيد (جميل): البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية. 1998.
- 51 عبد المطلب (محمد): البلاغة العربية قراءة أخرى، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997.
- 52 عبد المطلب (محمد): قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة العالمية المصرية، الإسكندرية، 2000.
- 53 عبد الواحد (عمر): التعلق النصي، ط1، دار الهدى، مصر، 2003.
- 54 عزّام (محمد): النص الغائب (تجليات التناسخ في الشعر العربي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001.
- 55 عزّام (محمد): تحليل الخطاب الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
- 56 علي (جواد): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8-ج9، ط2، جامعة بغداد، 1971.
- 57 فضل (صلاح): نظرية البنائية في النقد العربي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998.
- 58 فضل (صلاح): بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992.
- 59 قميحة (مفيد): شرح المعلقات السبع، دار و مكتبة الهلال، بيروت، 2000.
- 60 مبارك (زكي): النشر الفني في القرن الرابع، ج1، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- 61 مفتاح (محمد): التلقي و التأويل، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. 1994.
- 62 مفتاح (محمد): تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناسخ)، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. 2005.
- 63 مصايف (محمد): النشر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. 1983.
- 64 منقور (عبد الجليل): علم الدلالة "أصوله و مباحثه في التراث العربي"، إتحاد الكتاب العرب، دمشق. 2001.
- 65 ناصف (مصطفى): محاورات مع النشر العربي، عالم المعرفة، الكويت. 1997.
- 66 نويهض (عادل): البشير الإبراهيمي، ط1، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت. 1986.
- 67 وغليسي (يوسف): الشعرية و السرديات، منشورات مخبر السرد العربي، قسنطينة/الجزائر، 2006.
- 68 يقطين (سعيد): انفتاح النص الروائي (النص و السياق)، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2001.
- المراجع المترجمة:

## قائمة المصادر و المراجع

- 69) ج. ب. براون و ج. يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزيتوني و منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض. 1997.
- 70) دي بوجراند: النص والخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة. 1991.
- 71) رولان بارث: درس السميولوجيا، تر: عبد السلام بلعيد، دار توبقال، ط3، المغرب. 1993.
- 72) فان دايك: النص و السياق: تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب. 2000.
- 73) فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض. 1999.
- 74) كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2005.
- 75) ياكوبسون: قضايا الشعرية، تر: محمد الولي و مبارك حنون، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء. 1988.

### المراجع الأجنبية:

- 76) Jacques Durrenmatt : Stylistique de la poésie, édition Belin, Paris, 2005.
- 77) Lyons John : linguistique générale, « introduction a la linguistique», tr: F. Dubois-Charlier et David Robinson, librairie Larousse, Paris, 1970.
- 78) Shirley Carter-Thomas : La cohérence textuelle, L'Harmattan, Paris, 2000.

### المعاجم:

- 79) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد): لسان العرب، م1، م2، م4، م5، م6، م7، م10، م11، م12، م13، م14، م15، ط1، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، د.ت.
- 80) الفراهيدي (الخليل بن أحمد): كتاب العين، ت: عبد الحميد هندراوي، م2، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002.
- 81) مطلوب (أحمد): معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2000.
- 82) Henri Morier : Dictionnaire de la poésie et de rhétorique, 5<sup>e</sup> édition, Presses Universitaires de France, 1998.
- 83) Michel Pougeoise :Dictionnaire de rhétorique, Armand Colin, Paris, 2001.

## قائمة المصادر و المراجع

---

### المجلات:

- 84) مجلة الموقف الأدبي، العدد 416، أكتوبر، 2005.  
85) مجلة فصول، العدد الثاني، ج1، م15، القاهرة، 1996.  
86) مجلة أقلام، العدد التاسع، بغداد، أيلول، 1981.

### الدواوين الشعرية:

- 87) السيّاب (بدر شاكر): ديوان بدر شاكر السيّاب، م1، دار العودة، بيروت، 1971.  
88) اليازجي (ناصر): العرف الطيب في شرح ديوان المتنبي، م1، دار و مكتبة الهلال، بيروت، 2000.

### مواقع الانترنت:

[www.arabization.org.ma](http://www.arabization.org.ma)  
[www.islamiyyat.com](http://www.islamiyyat.com)  
[www.oqlf.gouv.qc.ca.com](http://www.oqlf.gouv.qc.ca.com)  
[www.ditl.info.com](http://www.ditl.info.com)  
[www.franparler.org](http://www.franparler.org)  
[www.gulflobby.com](http://www.gulflobby.com)  
[www.binbadis.net](http://www.binbadis.net)

- الموسوعة العربية العالمية، نسخة إلكترونية. 2004. (قرص مضغوط).

## الفهرس

أ	مقدمة.....
ب	مدخل.....
	أولاً: التعريف بالإبراهيمي و جوانب نبوغه الأدبي.
	ثانياً: دور الصحافة في تطور النشر الجزائري.
	ثالثاً: الفرق بين المقالة الصحفية و المقالة الأدبية.
	الفصل الأول: السجع
01	تمهيد.....
03	1/ مفهوم السجع و سجع الكهان: .....
16	2/ أقسام السجع.....
20	3/السجع في الخطابات الأدبية المعاصرة:.....
22	4/السجع في الخطاب الإبراهيمي:.....
33	خاتمة الفصل الأول .....
	الفصل الثاني : السبك و الحبك في "سجع الكهان"
36	تمهيد.....
37	أولاً: المستوى الشكلي:.....
37	1/ مفهوم الاتساق أو السبك (cohésion):.....
39	2/ مظاهر السبك (أدواته).....
39	1.2/ التكرار:.....
43	2.2/ الإحالة :.....
46	3.2/المصاحبة المعجمية أو التضام (collocation).....
49	4.2/التوازي: .....
50	5.2/ الحذف:(élimination) .....
53	6.2/ الاستبدال أو الإبدال أو الإحلال (substitution).....
53	1.6.2/ أنواع الاستبدال:.....
55	ثانياً: المستوى الدلالي:.....

55.....	1/ مفهوم الانسجام أو الحيك (cohérence)
56.....	2 / مظاهر الحيك أو الانسجام:
56.....	1.2/ التضمن:
56.....	2.2/ التطابق الإحالي:
56.....	3.2/ تعالق الوقائع (أو الأحداث):
57.....	1.3.2/ الترتيب الزمني:
57.....	2.3.2/ تعالق العوالم الممكنة.
57.....	3.3.2/ علاقة السبب والنتيجة.
58.....	4.3.2/ النشاط المتماثل.
58.....	5.3.2/ علاقات التعميم-التخصيص أو الإجمال-التفصيل.
58.....	6.3.2/ موضوع التخاطب.
3 /	مظاهر السبك و الحيك في نماذج من "سجع الكهّان":
60.....	60.....
الفصل	خاتمة
79.....	الثاني:
	الفصل الثالث: التناص و المقامية في "سجع الكهّان"
82.....	تمهيد:
83.....	1 / نشأة التناص:
84.....	2 / مفهوم التناص عند الغرب:
86.....	3 / مفهوم التناص عند العرب:
88.....	4 / أنواع التناص:
90.....	5 / مفهوم المقام/السياق.
93.....	6 / أنواع السياق:
93.....	1.6 / السياق اللغوي: (Verbal Context)
94.....	2.6 / السياق غير اللغوي:
95.....	1.2.6 / السياق العاطفي أو الانفعالي: (Emotional Context)

95.....	2.2.6 / سياق الموقف (Situational Context)
95.....	3.2.6 السياق الثقافي ( cultural Context)
96.....	7 / التناس و المقامية في "سجع الكهّان"
111.....	خاتمة الفصل الثالث:
114.....	خاتمة عامة:
116.....	ملحق:
.....	قائمة المصادر و المراجع: